بلاد الهند

في العصر الإسلامي

دكتور

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي

الناشر

عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

دكتور
عصام الدين عبد الرؤوف الفقي
أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

بلاد الهند في العصر الإسلامي

منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري

١٩٨٠

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

إهـــداء

الى روح أبى الطاهـــرة النقية أقدم هـــذا الكتـــاب
مجددا العهـــد بمواصلة احيـــاء التراث الاســـلامى
ونشر الثقافـــــة الاســـــلامية .

المؤلف

محتـــويات الكتـــاب

الموضـــوع | صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أفضل المرسلين .
وبعد ، هذا كتاب يتضمن دراسة للدول الاسلامية فى بلاد الهند فى العصر الوسيط من الناحيتين السياسية والحضارية ، شجعنى على تأليفه لقاء علمى طريف بينى وبين بعض أساتذة التاريخ الاسلامى الهنود منذ عدة سنوات خارج مصر ، وقد دارت مناقشبات بيننا حول قضايا فى التاريخ الاسلامى ، ولاحظت اهتمامهم الكبير بدراسة التاريخ الاسلامى لمصر ، وأبدوا اسفهم لافتقار المكتبة العربية الى كتاب اكاديمى عن تاريخ الاسلام فى الهند ، وقد دفعنى ذلك الى تأليف كتاب عن التاريخ السياسي والحضارى ، لبلاد الهند فى العصر الوسيط ، فقضيت وقتا أجمع فيه مراجع الموضوع المعاصرة والقريبة من المعاصرة ، والمصنفات الاخرى ـ ومعظمها بالطبع غير عربية ـ وعكفت عدة سنوات على تأليف هذا الكتاب ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا العمل .

وبدأت هذا الكتاب بالحديث عن الفتح العربى لبلاد الهند ودور الغزنويين والغوريين فى توسيع رقعة الاقليم الاسلامى فى بلاد الهند ، ونشر الاسلام فى هذه البلاد ، وتحطيم الأصنام . وقد لعب السلطان محمود الغزنوى دورا كبيرا فى تحطيم وتدمير قلاع الوثنية فى بلاد الهند ، وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

واعقب حكم االغوريين فى الهند ، اول دولة مستقلة فى هذه البلاد ، وهى دولة الملوك المماليك ، وهى أول دولة اسلامية مستقلة فى الهند ، حاضرتها دهلى ، وحكم الملوك المماليك هذه البلاد فى الفترة ما بين (١٢٠٦ ـ ١٢٩٠م) .

ولما ضعف شأن المماليك ، انتزع الخلجيون الحكم منهم ، وأعلن جلال الدين فيروز نفسه سلطانا على دهلى ، واعقبه السلطان علاء الدين ، ويعتبر من أعظم سلاطين الهند المسلمين ، قام بتوسيع رقعة دولته فى بلاد الهند ، ودرء الخطر الخارجى عنها ، وقمع الفتن والثورات فى بلاده ، وأصلح الجهازين الادارى والمالى فى مملكته ، ولم يأل جهدا فى سبيل

تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، كما بذل جهدا كبيرا فى نشر الثقافة فى بلاده ، وشجع رجال العلم والفكر على تأدية مهامهم العلمية نحو الوطن والمواطنين .

وبوفاته ضعفت الدولة الخلجية حتى انهارت ، وسيطر تغلق ـ أحد كبار القواد فى سلطنة دهلى ـ على مقاليد الامور فى البلاد ، وأقام الدولة التغلقية على أنقاض دولة الخلجيين . وتعاقب سلاطين آل تغلق فى الحكم حتى غزا تيمور لنك دهلى ، ودمرها تدميرا .

وبعد أن تحدثت عن الحياة السياسية فى سلطنة دهلى ، درست مظاهر الحضارة بها ، فتناولت بالبحث نظم الحكم والادارة ، والحياة الاقتصادية ، والمظاهر الاجتماعية ، والنهضة الثقافية .

وقسمت الكتاب الى أربعة أبواب ، تناولت فى الباب الاول الحكم الغزنوى والحكم الغورى لبلاد الهند ، ومهدت لهذا الباب بنبذة عن الفتح العربى لبلاد الهند . وفى الباب الثانى تكلمت عن الحياة السياسية فى سلطنة دهلى الاسلامية منذ قيامها حتى الغزو التيمورى ويتضمن هذا الباب ، سلطنة دهلى الاسلامية فى عهد الملوك المماليك والسياسة الداخلية فى السلطنة فى عهد الخلجيين والتغالقة وضعف السلطنة وتدهورها وفى ختام هذا الباب كتبت عن الامارات المستقلة فى الهند عن دهلى .

ويتضمن الباب الثالث ، العلاقات الخارجية لسلطنة دهلى الاسلامية مع دول الهند المستقلة ، ومع المغول .

وفى الباب الرابع بحثت النظم والحضارة فى سلطنة دهلى الاسلامية ويتضمن هذا الباب ، نظم الحكم والادارة ، والحالة الاقتصادية فى سلطنة دهلى ، والمظاهر الاجتماعية ، والحياة الثقافية . وبالجملة فقد أوضحت فى هذا الباب الانجازات الكبيرة التى حققتها دول الاسلام الهندية فى مجال الحضارة الاسلامية وأثر ذلك على ازدهار الحياة الاسلامية فى بلاد الهند .

ولم أدخر جهدا عند تأليفى لهذا الكتاب فى الحصول من المراجع الاصلية المعاصرة والقريبة من المعاصرة على المادة العلمية ، على الرغم من الصعوبات التى واجهتها . وكتبت باللغتين الفارسية والأردية . وقرأت المراجع الاوربية التى كتبت عن الاسلام فى الهند سواء للاساتذة الهنود او الاوربيين .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فى كتابى هذا ، وما توفيقى الا بالله .

د. عصام الدين عبد الرءوف
مصر الجديدة ١٩٧٩/٢/٢٠م

تمهيـــد

فجر الاسلام فى بلاد الهند

البـــاب الاول

الغزنويون والغوريون فى بلاد الهند

١ ـــ الغـــزنويون ٠

٢ ـــ الغـــوريون ٠

تمهيد

فجر الاسلام فى بلاد الهند

ويرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند الى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد شنوا عدة حملات على اطراف هذه البلاد .على ان اول حملة نظامية على بلاد الهند بدات فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، اذ اذن للحجاج بن يوسف الثقفى — عامله فى بلاد العراق — بايفاد حملة الى الهند ، فأرسل عدة حملات لم تصل كلها الى نتيجة حاسمة (١) ، فأعد جيشا اسند قيادته الى ابن اخيه محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ سنة ٧١١ م وعنى الحجاج بتزويد هذا الجيش بما يحتاج اليه من المؤن والمعدات حتى الخيوط والقطن المحلوج المنقوع فى الخل (٢) .

احتشدت القوات الاسلامية فى شيراز ، وزحفت الى ثغر مكران ومنه اتجهت جنوبا الى ديبل ، وانضم الى المسلمين جموع كثيرة من الميد والجات وتسميهم المراجع العربية الزط ، وهما قبيلتان عربيتان هجرت ديارها فرارا من بطش وجور الحكومة البرهمية التى كانت تعتبرهم فى عداد المنبوذين ، وتحرم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء الملابس الراقية ، ولا يمارسون الا أحط المهن (٣) .

قوى شأن المسلمين بالميد والجات ، واتجهوا الى ديبل ، واشتبك الجيش العربى مع داهر — ملك السند — فى معركة عنيفة ، واستخدم المسلمون أسلحة قوية من بينها منجنيقا يسمى العروس يديره خمسمائة جندى ، وانتهت المعركة بهزيمة داهر ، واستولى المسلمون على ديبل واقام بها محمد بن القاسم مسجدا ، وترك بها حامية تتكون من اربعة آلاف جندى (٤) . واصبحت ديبل اول مدينة عربية فى الهند .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) Lane Peole : Medieval India P. 8.

(٣) Chand : Influence of Islam in India P. 32.
Lane Peole : Medieval India P. 8.

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص٤٤٢

على أن داهر لم يستسلم للهزيمة ، بل عول على مقاومة الزحف الاسلامى ، فاتجه الى الداخل ، وأعد العدة لاستئناف القتال فى موضع يقع شرق مصب السند ظنا منه أن النهر يعرقل عبور المسلمين له ، لكن محمد بن القاسم تمكن هو وجنده من عبور النهر على عدد من الزوارق . ولما شعر داهر باقتراب القوات الاسلامية منه لجأ الى حصن الرور فباغته المسلمون ، وعلى الرغم من استخدام الهنود الفيلة والنبال والنقط فانهم هزموا شر هزيمة (١) ، واستولى المسلمون على الرور ، وتقدم محمد بن القاسم صوب الشمال وتمكنت قواته من الاستيلاء على برهماناباد (٢) ، وواصل العرب تقدمهم صوب الشمال يستولون على البلدان التى فى طريقهم حتى بلغوا الملتان ، واستولوا عليها عنوة وغنموا منها مغانم كثيرة (٣) .

كان لاستيلاء العرب على الملتان اهمية كبيرة ، نظرا لأهميتها الكبيرة عند الهنود من الناحية الدينية ، اذ يوجد بها المعابد الكبيرة يحج اليها الهنود من كل حدب وصوب ، ويهدون الاموال الى الصنم المقام هناك ، وينذرون له النذور ، ويطوفون به ، ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده . وبسقوط الملتان في أيدى العرب أصبح وادى السند بأكمله فى حوزتهم ، ورحب الهنود بحكم المسلمين لهم لانهم قاسوا كثيرا من ظلم وجور الهندوس ، وتجلى ذلك فى اقبالهم على محمد بن القاسم يدقون الاجراس ، ويقرعون الطبول ، ويرقصون رقصاتهم الشعبية (٤) .

عول محمد بن القاسم بعد أن أقر الامور فى البلاد التى فتحها على غزو مملكة قنوج ــ أعظم امارات الهند ــ لكن مشروعه لم يقدر له أن يتحقق ، ذلك أن الحجاج توفى سنة ٩٥ هـ وبعد ذلك بقليل توفى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وخلفه اخوه سليمان بن عبد الملك ، الذى كان يعترض على سياسة سلفه ، فعهد بحكم العراق الى صالح بن عبد الرحمن ، وعزل محمد بن القاسم عن السند ، وولى بدلا منه يزيد بن أبى كبشة وامره بالقبض على محمد بن القاسم ، وارساله اليه وسيق فاتح السند مقيدا بالسلاسل الى واسط حيث أودع فى السجن ولقى حتفه (٥) بعد ذلك بقليل .

---

(١) Lane Peole : Medieval India. P. 9.

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

(٤) Lane Peole : Medieval India. P. 10.

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٤٦ .

ومما لا شك فيه أن عزل محمد بن القاسم عن السند كان خساره كبيرة اصابت مركز المسلمين فى هذه البلاد ، ذلك أن البلاد التى دخلت فى حوزة المسلمين ، انتقضت على الحكم الاسلامى ، وانشغل الولاة الأمويين فى المحافظة على ممتلكات المسلمين فى السند ، بدلا من أن ينطلقوا فى الفتح ، على أن الحكم بن عوانة كان من خيرة ولاة السند بنى مدينتى المحفوظة والمنصورة على شاطىء السند ، وصارت الاخيرة حاضرة للمسلمين فيما بعد ، وقد سار فى الناس سيرة حسنة ، وأطلق للهنادكة حرية العبادة (١) .

ولما سقطت الدولة الاموية ، وقامت الدولة العباسية ، حافظ خلفاؤها على بلاد الهند الاسلامية ، وعملوا على توسيع رقعتها ، ففى عهد الخليفة المنصور دخلت كشمير فى حوزة العباسيين ، وأكد العباسيون سيطرتهم على الملتان (٢) ، وتتابعت غزوات المسلمين فى بلاد الهند ، ففى عهد الخليفة المهدى سنة ١٥٩ هـ استولى المسلمون على مدينة باربد ، وأحرقوا تمثال بوذا ، وما زالت فتوحات المسلمين تتتابع فى بلاد الهند فى عهد المأمون والمعتصم حتى سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان (٣) .

ولما ضعف الدولة العباسية ، عجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على أطرافها لذلك استقل حكام الاقاليم عن بغداد ، وقامت فى السند امارتان مستقلتان ، احداهما فى الجنوب وعاصمتها المنصورة ، وامارة فى الشمال وعاصمتها الملتان ، واستقرت امورهما نتيجة لتحسن أحوالهما الاقتصادية ، والنشاط التجارى بين السند والشرق والغرب وازدهرت فيهما العلوم والحضارة ، وآوى اليهما الفارون من بطش الخلافة (٤) .

أهمل الخلفاء العباسيون فى العصر العباسي الثانى شئأن اقليم السند حتى أن الخليفة الضعيف المعتمد أقطعها ليعقوب بن الليث الصفار مع بعض البلدان المجاورة ، حتى لا يتطلع الى السيطرة على العراق (٥) .

---

(١) البلازرى ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .
(٢) البلازرى ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .
(٣) البلازرى ، فتوح البلدان ص ٢٥٠ .
(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى جـ٢ ص ٢٥٢ .
(٥) الساداتى ، تاريخ المسلمين فى الهند جـ ١ ص ٧٥ .

وترتب على اهمال الخلفاء لبلاد السند نشاط الاسماعيليين بها ، فقامت فى الملتان حكومة اسماعيلية فى القرن الرابع الهجرى ، اذ كانت ارضا خصبة راجت فيها المبادىء الاسماعيلية ، ووجد فيها الدعاة الاسماعيليون استجابة قوية ، والتف حولهم القرامطة الذين قدموا الى السند من البحرين وبلاد فارس ، ومكنوا القائد الاسماعيلى جلم بن شيبان من السيطرة على مقاليد الامور فى الملتان (١) . أما امارة المنصورة فقد تعرضت لكثير من الاضطرابات نتيجة لضعف حكامها واختلافهم على أنفسهم .

عاود المسلمون فتوحاتهم فى بلاد الهند فى النصف الاخير من القرن الرابع الهجرى ، اذ قوى شأن الاتراك الغزنويين فى افغانستان ، وكلما قويت أفغانستان زحفت قبائلها تغزو فى بلاد الهند ، واذا ضعف شأنها وتدهورت أمن الهنود (٢) . اما وقد عظم شأن سبكتكين وابنه محمود فى أفغانستان وصار لهما جيش قوى ، فقد ازداد النشاط الاسلامى فى بلاد الهند ، وكان الشمال الغربى فى بلاد الهند منقسما بين أمراء كثيرين من الراجبوتيين معترفين لراجادهلى بالغلبة والتفوق .

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٥ .

(٢) Panikar : Asurvey of India. pp. 122-123.

الباب الأول

الغزنويون والغوريون فى بلاد الهنـــد

١ ـ الغـزنويون : ـ

أعتمد السامانيون على الاتراك فى أمور دولتهم ، فكان قوام جيشهم منهم ، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة ، فزاد نفوذهم ، وعلا شأنهم فى دولة آل سامان . والمعروف أن الاتراك من العناصر التى كانت مصدرا للقلاقل والاضطرابات فى الدول التى استعانت بهم ، ومن بينها الدولة السامانية ، فقد أضعفوها ، وعملوا على زوالها (١) .

ومن أبرز هؤلاء الاتراك الذين ارتفع شأنهم فى الدولة السامانية ، أليتكين ، كان يعمل فى الجيش السامانى (٢) ، وما زال يرتقى فى سلك الوظائف حتى ولى منصـــب حاجب الحجاب للامير عبـد الملك بن نوح (٣٤٣ ـ ٣٥٠ هـ و ٩٥٤ ـ ٩٦١ م) ومن ثم ارتفع شأنه ، وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره (٣) ، ويلتزم بتنفيذ تعليماته وتوجيهاته (٤) .

لم تصف الأمور لأليتكين ، اذ خشي الامير عبد الملك بأسه ، وعول على ابعاده عن حاضرة دولته ، فأسند اليه ولاية خراسان فى عام ٣٤٩ هـ / ٩٦١م (٥) . ولما توفى الامير عبد الملك سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م تشاور الامراء فى الدولة السامانية مع أليتكين ـ الذى كان اكبرهم ـ فيمن يراه مناسبا لتوليه أمر الدولة السامانية ، فوقع اختيار أليتكين على عم الامير المتوفى ، ورفض اختيار منصور بن عبد الملك خلفا لأبيه ، لانه شاب حدث لم تحنكه

(١) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٨٥ .

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 12.

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 7.

(٤) Kncy. of Islam. Art Alb-Tegin.

(٥) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج٢ ص ١١٨ .

التجـــارب . على أن اقتراح أليتكين لم يعمــل به ، ذلك أن الامراء واوا منصورا دون أن ينتظروا وصول أليتكين (١) . لذلك نشأ العداء بين الامير الجديد ، منصور بن عبد الملك وبين أليتكين ، الذى رفض اختياره ــ كما قلنا ــ أميرا على السامانيين ، ولم تجد محـاولات أليتكين التودد للامير الساماني (٢) .

خشي الامير منصور من انتقاض أليتكين عليه فى خراسان فاستدعاه الى بلاطه ، ولما علم أليتكين أن الامير السامانى يضمر له السـوء ، رفض التوجه اليه ، واظهر التمرد والعصيان فعزله منصور عن خراسان ، وأسند ولايتها الى أبى الحسين سيمجور ، فقصد أليتكين بلخ (٣) . وعول الامير السامانى على اخضاع هذا القـائد الثائر ، فأرسل اليه جيشا ، اشتبك معه وهزمه ، فتوجه أليتكين الى غزنة (٤) ، وحاصرها واستولى عليها من حاكمها السامانى ، أبو بكر لويك ، ولم يكتف بذلك بل غزا بلستان واقام بها امارة مستقلة عن سادته الســـامانيين عاصمتها غزنة (٥) . على أن الامير منصور السامانى لم يقف مكتوف اليدين ازاء تمرد أليتكين (٦) ، فبذل عدة محاولات لسحق تمرده ، باءت كلها بالفشل ، فكف عنه (٧) . وبذلك قوى شأن أليتكين فى امارته ، وتوطد فيها سلطانه .

ولمـا توفى أليتكين سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م خلفه فى حكم غزنه ابنه أبو اسحق ابراهيم ــ قائد جيوش خراسان السامانية ــ غير انه لم يستطع السيطرة على مقاليد الامور فى غزنه (٨) ، اذ ثار عليه أهلها ، وطردوه من بلدهم ، فاستنجد بالامير منصور بن نوح ، فأمده بجيش مكنه من استرداد غزنه وحكمها باسم الســـامانيين (٩) . وبذلك استرد السامانيون نفوذهم على غزنه . .

---

(١) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .
(٢) فاميرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ .
(٣) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .
(٤) فاميرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ .
(٥) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث ٣٥١ هـ .
Ency. of Islam. Art Ghaznavids.
(٧) العروض السمرقندى : جهار مقاله ص ٢٣ .
(٨) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٥٦ .
(٩) Ency. of Islam. Art Ghaznavids.

على أن أبا اسحق لم يلبث أن توفى دون أن يترك وريثا يعقبه فى حكم غزنه ، فحكمها بلكاتكين ــ أحد مماليكه ــ وضرب النقود باسمه فى غزنة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م وخلف بيرى بلكاتكين ، وهو فيما يبدو من اهالى غزنه ، غير أنه لم يستطع القيام بأعباء الحكم فثار عليه الجند ، وخلعوا طاعته (١) ، ونظروا فيمن يصلح لحكم غزنه ، فلم يروا أفضل من سبكتكين (٢) لما عرفوا من عقله ودينه وكمال الخلال فيه وصرامته . ومما يجدر ذكره أن سبكتكين هو أحد موالى أليتكين (٣) ، وكان حاجبا لابنه أبى اسحق « وعليه مدار أموره ، وبيده مناظم شؤونه » وولى سبكتكين امارة غزنه ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م (٤) .

لما أفضي الامر الى سبكتكين ، استطاع بحسن سياسته ، وبعد همته اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورة له ، ولم يلبث الخليفة العباسي أن اعترف بحكومته ، فاصطبغ حكمه بهذا الاعتراف بالصبغة الشرعية ، وتحققت أمنية له طالما اختلجت فى صدره فتلقب بناصر الدولة ، وبعث له الخليفة بالعقد والخلع التقليدية ، وأصبح سبكتكين المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية الشرعية (٥) . وعلي الرغم من استقلاله الفعلى فقد ظل يظهر ولاءه للسامانيين (٦) .

لم يكتف سبكتكين بحكم غزنه ، بل عمل على بسط نفوذه على البلاد المجاورة (٧) ، فبسط سيطرته على قصدار القريبة من غزنه كما سيطر علي خراسان ، وشرع فى غزو أطراف الهند ، وسيطر على كثير من المعاقل والحصون هناك « فاتسعت رقعة ولايته ، وعمرت أرض خزائنه ، واشفقت النفوس من هيبته » وتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م واليه يرجع الفضل فى وضع أساس امبراطورية الغزنويين ، اذ امتد سلطانه الى ناحية الهند

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٢) العتبى : تاريخ اليمينى ج ١ ص ٥٧ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٦٧ هـ .

(٣) Cambridge History of Iran. p. 6.

(٤) العتبى : تاريخ اليمينى ج ١ ص ٥٨ .
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ١٢٣ .

(٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ص ٢٦٣ .

(٦) Lane Peole : The Muhammadan Dynasties P. 286.

(٧) K. Ali ; A New History of Indo-Pakistan. p. 18.

حيث أسس بها حكومة فى بشاور ، كما امتد نفوذه باستيلائه على خراسان وما اليها ، وبعبارة أخرى أسس دولة كبيرة فى جنوب غرب آسيا .

ويهمنا فى دراستنا هذه أن نتحدث بالتفصيل عن فتوحات الغزنويين فى الهند ، فقد انشأ سبكتكين جيشا قويا من الافغان والترك ، ورأى ضرورة الانطلاق بتلك القوة الهائلة الى ميدان فسيح ، ولم يكن فى استطاعته الاتجاه نحو بلادالعراق لان البويهيين كانوا قد وطدوا نفوذهم فيها ، كما أن بلاد ما وراء النهر كان القرهخانيون يعملون على بسط سيطرتهم عليها ، وانتزاعها من السامانيين لذلك انطلق الغزنويون الى بلاد الهند من منطقتهم الوعرة كما سنرى (١) .

ومما لا شك فيه أن الرغبة فى الجهاد ورفع راية الاسلام فى غير بلاد الاسلام من أقوى الاسباب التى دفعت الغزنويين الى القيام بفتوحاتهم ، فمن الثابت أن محمود الغزنوى كان مسلما قوى العقيدة ، تواقا الى نشر الاسلام(٢)

سار سبكتكين سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م على رأس جيش كبير الى بلاد الهنادكة ، ويحكمها جيبال ـ راجا البراهمة ، وتقع مملكته فى شمال غرب الهند من الكنج الى الأفغان ومن كشمير الى الملتان (٣) ، وفتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال ، ومن بينها مدينة كابل ، وعاد الى بلاده سالما ظافرا(٤) . ولقد كان لاستيلاء سبكتكين على كابل أثر كبير فى اضعاف شأن مملكة جيبال ، ذلك أن كابل تسيطر على المسالك المؤدية الى السهل الهندى الخصيب (٥) ومما هو جدير بالذكر ان يعقوب ابن الليث الصفار لما مد فتوحه الى كابل سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م وجد أهل هذه البلاد لا يزالون على الوثنية ، فنشر الاسلام بينهم ، وتوطد فى عهد سبكتكين وابنه محمود كما انتشر فى كافة بلاد الأفغان (٦) .

غير أن جيبال عظم عليه استيلاء المسلمين على أطراف مملكته ورأى أن ذلك يشكل خطرا كبيرا على ملكه ، ان هو تغاضي عن ذلك فحشد جيشا كبيرا

---

(١) حسن أحمد محمود ، الاسلام فى آسيا الوسطى ص ٢٣٩ .

(٢) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢١٨ .

(٣) الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ٨٤ .

(٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج٢ ص ١١٩ .

(٥) Lane Peole : Medieval India. P. 17.

(٦) أرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ص ١٨٨ .

سار على رأسه الى حدود الدولة الغزنوية (١) ، فسار سبكتكين من غزته اليه ومعه جمع غفير من الجند والمتطوعة ونشب قتال بين الفريقين انتهى بانتصار المسلمين على أعدائهم (٢) ، وارسل ملك الهند الى سبكتكين يعرض عليه الصلح على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه (٣) . لكن محمود بن سبكتكين أقنع أباه برفض الصلح اذ أبى الا يكون فيصل الحرب عنوة وقهرا حمية للاسلام والمسلمين ، على أن جيبال عاد الى طلب الصلح ، وهدد بأن الهنادكة لا يهابون الموت اذا طرقهم طارق ، فهم سيفقأون أعين أفيالهم ويلقون بأطفالهم فى النار ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ثم يعرضون انفسهم على سيوفهم ورماحهم ، فيزهقون أرواحهم بأيديهم ، فلا يجد المسلمون حين يدخلون ديارهم الا تلالا خربة (٤) . عندئذ عدل سبكتكين وابنه محمود عن موقفهما ، وتم الصلح بين الفريقين (٥) على ألف ألف درهم وخمسين رأس من الفيلة يؤديها جيبال الى السلطان الغزنوى ويتنازل له عن عدد من البلدان والقلاع ، وسير معه سبكتكين من تسلمها (٦) .

غير ان جيبال نقض الصلح ، وقبض على المسلمين الذين وفدوا عليه لتنفيذ شروط الصلح ، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه الموجودين عند سبكتكين ، فلما نمى ذلك الى علم السلطان الغزنوى لم يقف مكتوف اليدين ، بل عول على النفاذ الى أرض العدو واعادة اخضاع جيبال ، فسار الى مملكته ، وعاث جنده فيها فسادا وتخريبا ، وقصد لمغان — وهى من أحسن قلاعهم — فاستولى عليها وهدم بيوت الاصنام ، وأقام فيها شعائر الاسلام ، وسار عنها يفتح البلاد ، وينكل بمن يعترض طريقه من الهنود ، وعاد الى غزته (٧) فاستعان جيبان على خصمه بأمراء أجمير ودهلى وكلنجر ، وأعدوا جندا جاوز المائة الف مقاتل ، ولكن سبكتكين باغتهم ، وشتت شملهم فاضطر الامراء المتحالفون الى طلب الصلح على أموال كثيرة طائلة عدا مائتين

---

(١) Habib : The Struggle for Empire. p. 3.

(٢) العتبى ، تاريخ اليمينى ج١ ص ٧٥-٧٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٦٦ هـ .

(٤) العتبى ، تاريخ اليمينى ج ٦ ص ٧٩-٨٤ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 3.

(٦) Lane Peole : Medieval India. P. 17.

(٧) العتبى ، تاريخ اليمينى ج ١ ص ٧٩-٨٤ .

Morel : A short Hist. India. p. 143.

من الفيلة وعشرة آلاف من رءوس الخيل (١) .

أسفرت غزوات سبكتكين لبلاد الهند عن امتلاكه بعض البلدان والقلاع فى الشمال الغربى من شبه القارة الهندية وتقع على وجه التحديد بين لمغان وبشاور ، مهدت لخلفائه سبيل فتح المزيد من البلدان الهندية كما ادت انتصارات سبكتكين على أعدائه الى ازدياد قوته وهيبته ، فأطاعه الافغانية والخليج واصبحوا مصدرا هاما يمده بالجند الضرورى لتحقيق سياسته(٢)

سار محمود الغزنوى على سياسة ابيه التى تنطوى على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند ، وساعد على ذلك قرب غزته من بلاد الهند الشمالية ، ووقوعها على قمة الهضبة التى تشرف على سهولها ورأى فى بلاد الهند ميدان الجهاد الاكبر فغزاها سبع عشرة غزوة فى مدى سبعة وعشرين عاما فيما بين عامى (٣٩١ — ٤١٧ هـ / ١٠٠٠ — ١٠٢٦ م) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية (٣) فأتم فتح اقليم كابلستان ، وفتح الملتان وكشمير ، وسعى الى نشر الاسلام واحلاله محل البرهمية فى كل مكان (٥) ، وأخضع البنجاب حيث استطاع خلفاؤه من بعده أن يثبتوا سلطانهم فى عاصمتهم لاهور طوال مائة وخمسين سنة واندفع فى فتوحاته الى ما وراء نهر الكنج ليختتم فتوحه فى الهند باحتلال كجرات (٦) .

ولتفصيل ذلك نقول : ان السلطان محمود الغزنوى لما فرغ من اقرار الامور فى خراسان وسجستان رأى أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فسار على رأس جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل (٧) وعند مدينة بشاور التقى بجيش جيبال الذى يتكون من اثنى عشرة الفا من المشاة معها ثلاثمائة من الفيول فنشب القتال بين الفريقين ، هزم الهنود وقتل منهم كثيرون ، وأسر جيبال ومعه جماعة من أهله وعشيرته ،

---

(١) العتبى ، تاريخ اليمينى ج١ص٨٤-٨٨ .

(٢) الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبة القارة الهندية ص٨٥ .

(٣) Munshi: The Struggle for Empire P. 4.

(٤) Hitti ; History of the Arabs. p. 376.

(٥) Lane Poole : Medieval India. p. 18.
Browne ; A litterary History of Persia Vol. I. p. 376.

(٦) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج٢ ص ١٢٠ .

(٧) Munshi : The Struggle for Empire P. 6.

وغنم المسلمون مغانم كثيرة ، واستولوا على عدد من البلدان الهندية . ولما وضعت هذه الحرب أوزارها ، وحطت من الظهور أثقالها ، وافق السلطان محمود على اطلاق سراح جيبال (١) بعد أن افتدى نفسه بمال كثير وعدد كبير من فيلة الحرب ، ولم يستطع الامير الهندوكي بعد أن أطلق سراحه أن يبقى على قيد الحياة بعد أن لحقه الذل والعار ، فألقى بنفسه فى النار فاحترق في شوال سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م (٢) .

ثم سار السلطان محمود نحو الهند وانتصر على أهلها ثم قصد اقليم الملتان وهو مركز مشهور للحجاج الهنود ، وقد وصف الاصطخرى (٣) صنم البراهمة فى الملتان فقال : ان أهل الهند يعظمون هذا الصنم ويحجون اليه من أقاصي بلدان الهند ، ويتقربون الى الصنم فى كل سنة بمال عظيم ينفق على بلد الصنم والمتعلقين به ، وصورته على خلقة الانسان متربع على كرسي من جص وآجر ، والصنم قد ألبس جميع بدنه جلدا ، لا يتبين من جثته الا عيناه ، فمنهم من يزعم أن جسده خشب ، ومنهم من يزعم أنه من غير الخشب الا أنه لا يترك بدنه ينكشف ، وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه اكليل ذهب ، متربع على ذلك الكرسي ، قد جعل ذراعيه على ركبتيه ، وقد قبض أصابع كل يديه كأنما يحسب أربعة .

لما قصد السلطان محمود الملتان ، غزا بهاطية ــ جنوب بلاد البنجاب ــ وصاحبها يسمى بحيرا ــ وهى مدينة حصينة عالية السور ، يحيط بها خندق عظيم فامتنع صاحبها بها ، ولما شدد المسلمون عليه الحصار ، وأدرك ضعفه ووهنه أمام القوات الغزنوية أخذ جماعة من ثقاته واعتصم بالجبال المجاورة ، فسير اليه السلطان الغزنوى فرقة من جيشه باغتته على غرة وانزلت به الهزيمة ، ودخلت بهاطية فى حوزة محمود بن سبكتكين ، وأقام بها حتى أصلح أمورها ورتب قواعدها ، ودعا أهلها الى الاسلام واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها تعاليم الدين الحنيف (٤) .

وفى العام التالى قصد السلطان محمود مدينة الملتان نفسها وانتصر

---

(١) Lane Pool : Medieval India. p. 14.

(٢) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٣٦١ - ٣٦٦ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) المسالك والممالك ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٦٦ - ٧٠ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٥ هـ .

وهو فى طريقه اليها على أنديال بن جيبال الذى رفض مرور القوات الاسلامية من بلاده (١) ووصلت القوات الغزنوية الملتان واستولت عليها ولاذ صاحبها بالفرار (٢) .

اتجه السلطان محمود بعد ذلك الى قلعة كواكير فاستولى عليها ، واحرق أصنامها . واعتصم وتحصن صاحبها فى قلعة منيعة فحاصره السلطان الغزنوى ، وضيق عليه الحصار وما لبث أن صالحه وعاد الى خراسان لانقاذها من غارات الترك (٣) وعهد الى نواسه شاه حفيد جيبال الذى أعتنق الاسلام ودخل فى طاعة السلطان الغزنوى بأن ينوب عنه فى حكم بلاد الهند الغزنوية ، لكن نواسه شاه لم يكن مخلصا لغزته ، فانتهز فرصة ابتعاد محمود بن سبكتكين عن بلأد الهند ، وارتد عن الاسلام ، ومالأ أهل الكفر والطغيان (٤) ، فلما علم محمود بذلك أسرع الى بلاد الهند ، ففر نواسه شاه من بين يديه ، واستعاد السلطان محمود تلك الولاية ، واعادها الى حكم الاسلام ، واستخلف عليها رجلا من ثقاته (٥) .

لما راى امراء الهند انتصارات السلطان محمود الغزنوى فى بلادهم وتهديده لاستقلالهم عقدوا العزم على الاتحاد والوقوف يدا واحدة أمام الخطر الغزنوى الزاحف على بلادهم ، لذلك حشدوا جيوشهم بأرض البنجاب فى حماس بالغ ، واشتبكوا مع القوات الغزنوية بقيادة السلطان محمود الذى حمل عليهم حملة لم يستطيعوا الصمود ازاءها ، ففر امراؤهم ، ولم يستطع جنودهم الثبات أمام ضربات الغزنويين القوية ، فلاذ من نجا منهم بالفرار ، واستولى السلطان محمود على عتاد وذخائر وكنوز الجيوش الهندية (٦) ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل بعض قواته فى اثر فلول العدو المهزومة فلحقت بابرهمن بال بن انديال (٧) فى قلعة بهيم نفر — وهى على جبل عال — وكان

---

(١) Defremery : Histoire des Ismaeliens. p. 30.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 25.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٦ هـ .

(٤) نفس المصدر ، حوادث سنة ٣٩٧ هـ .

أبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٦٦ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

(٦) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١ .

(٧) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ص ٩٤ — ٩٩ .

Lane Poole : Medievel India p. 20.

الهنود قد جعلوها مخزنا لصنمهم الاعظم ، فينقلون اليها أنواع الذخائر ، ونفيس الجواهر منذ سنين طوال ، تقربا الى هذا الصنم (١) ، فحاصر القلعة الجند الغزنوى ، وضيقوا على من بها الحصار حتى وهنوا واستسلموا وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة (٢) ، وحصلوا منها من نفيس الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم ومن الاوانى الذهبية والفضية الشيء الكثير ، وكان ذلك سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م (٣) .

وفى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م قام السلطان محمود بغزوة أخرى الى بلاد الهند فهاجم تارين ، واستولى عليها ، وحطم اصنامها ، ولما رأى صاحب تارين عدم استطاعته الوقوف فى وجه السلطان محمود عرض عليه الدخول فى طاعته وارسال عدد من الفيلة ومال عظيم وألف رجل من عسكره اليه كل عام . فأجابه السلطان محمود الى طلبه « وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند فى ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان»(٤).

لقت فتوحات السلطان محمود فى بلاد الهند حدا لم تبلغه رايات الاسلام المنصورة قبلا ، ودخل فى دين الله أفوا جعديدة من أهل الهند ومع ذلك لم يتوقف السلطان محمود الغزنوى عن سياسته فى مواصلة ضم المزيد من البلاد الهندية الى دولته ، فسار فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م على راس جيش كبير الى ناردين ، فسقط فى يد صاحبها ، لذلك آوى هو وجنده الى جبل عال صعب المرتقى ضيق المسلك ، لعله يعصمهم من بأس الجند الغزنوى (٥) وكتب الى قومه يدعوهم الى الوقوف الى جانبه ، فكثر جمعه ، وعظمت قوته ودخل مع المسلمين فى معركة دارت فيها الدائرة عليه ، وقتل من جنده كثيرون ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم ، وفتح المسلمون ناردين فتحا طرزوا به شعائر الاسلام ، ووجدوا فى بيت كبير صنما قيل : انه بنى منذ أربعين الف سنة دمره السلطان محمود (٦) .

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire p. 9.

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 29.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٨ هـ .

(٤) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ص ٩٤ — ٩٩ .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 9.

(٥) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٤.
Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 36.

حرص السلطان محمود على الوقوف فى وجه أمراء البلدان الهندية الذين يحاولون النيل من سلطانه فيها ففى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م سار السلطان محمود الى ثانيسر لاخضاع صاحبها الذى تمادى في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين (١) ، فلقى فى طريقه أودية وعرة المسالك وقفارا فسيحة قليلة الماء قاسي جنده فى قطعها مشقة (٢) بالغة وحمل الجند الغزنوى على اهل ثانيسر حملة ادت الى هزيمتهم ، وغنم المسلمون ما معهم من اموال وفيلة ، وعادوا الى غزنة ظافرين . وترتب على هذا الانتصار ان دان للمسلمين اقليم البنجاب وأصبح الطريق الى سهول الهند ممهدا أمامهم (٣) .

كان من أثر الانتصارات الرائعة التى أحرزها السلطان محمود فى بلاد الهند والغنائم الكثيرة التى حصل عليها جيشه المظفر ، أن كان جنده كثيرا ما يتركون وراءهم أوانى الفضة لثقلها اكتفاء بما كانوا يحملون من ذهب كثير وجواهر . والمعروف أن أوانى المعابد الهندية ، واكثر الآنية التى تزخر بها دور الاغنياء لم تكن فى الغالب الا من الذهب الخالص لذلك قدم على السلطان محمود من المتطوعة عشرين ألف مقاتل من بلاد ما وراء النهر وغيرها من البلاد ، فقوى بهم ، واعتزم غزو كشمير المجاورة لمتلكاته الهندية (٤) ، ولما بلغ بقواته بلاد الهند خشي أمراؤها بأسه ، فأرسلوا رسلا اليه يبذلون الطاعة والولاء له ، ولما بلغ مشارف كشمير أتاه صاحبها وأسلم على يديه ، وواصل السلطان الغزنوى زحفه ، وفي طريقه استولى على الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب فاستسلم صاحبه للسلطان محمود ، ودخل هو وقومه فى الاسلام ، وسار عنه السلطان الغزنوى الى قلعة كلجند (٥) ، والطريق اليها غياض ملتفة لا يمكن اجتيازها الا بشق الأنفس ، وكان صاحبها كما يقول العتبى (٦) من أعيان الهند وشياطينهم ، فسير

---

(١) K. Ali ; A New History of Indo — Pakistan p. 22.

(٢) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ١٤٨ — ١٥٢ .

السادانى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية جـ ١ ص ٩٢ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire p. 12.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 45.

(٤) K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. p. 22.

(٥) Lane Poole : Medieval India p. 24.

(٦) تاريخ اليمينى جـ١ ص ٢٦٧-٢٧٦ .

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 37.

جيشه الى أطراف تلك الغياض كي يمنع المسلمين من اجتيازها ، ولكن الجيش الغزنوى أحبط محاولة النيل منه ، وقد الحق بالعدو خسارة فادحة (١) ، وعمد كليجند الى زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه (٢) ، وسار محمود الى بيت الاصنام المشهورة بهذه البلاد به خمسة أصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وفيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألف وثلاثمائة مثقال فأخذ السلطان الغزنوى كل ذلك وأحرق الباقى (٣) .

لم يكتف السلطان محمود بما حققه من انتصارات ، أنما واصل سيره الى قنوج ، فغادرها راجيال — صاحبها — فاستولى عليها محمود وعلى قلاعها وأعمالها ، ثم سار الى قلعة البراهمة ، ودار قتال بين الغزنويين وبين أهلها ، دارت فيه الدائرة على الهنود ، ولم ينج منهم الا الشريد (٤) ثم اتجه الى قلعة آسي ، ولما لم يستطع جندبال مواجهة القوات الغزنوية ، لاذ بالفرار ، وعلى ذلك امتلك محمود الغزنوى حصنه ، ثم سار الى قلعة شروة ، ولم يستطع صاحبها أيضا الثبات أمام القوات الغزنوية ، وقتل أكثر جنده ، وغنم المسلمون ما معه من أموال (٥) وخيل ، وعاد محمود بن سبكتكين الى غزنة ظافرا ، وأنفق ما حصل عليه من هذه الغزوة من مال وفير فى تشييد مسجد كبير فى غزنه (٦) .

على أن ملوك الهند لم يستسلموا لما لحقهم من هزيمة ، وسقوط بلادهم البلدة تلو الاخرى في أيدى الغزنويين ، بل عولوا على التخلص من نفوذ وسيطره غزنة ، وقد تزعم هذه الحركة الاستقلالية بيدا — ملك كجوراهه — (٧) والتف حوله ملوك الهند ، غير أن راجيبال فاجأ حلفاءه وخرج عليهم ، وعاد الى الولاء الى الدولة الغزنوية (٨) فباغته ملك كجوراهه وقتله ، فازدادت قوته ورأى فيه ملوك الهند خير من يقودهم فى معركة

---

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ ه .

(٢) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ١٢ .

(٣) العتبى ، تاريخ اليمينى ج٢ ص ٢٦٧—٢٧٦ .
Lane Poole : Medieval India. p. 24.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. p. 15.

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 15.

(٦) العتبى : تاريخ اليمينى ج٢ ص٢٨١—٢٨٩ .

(٧) Lane Poole : Medieval India. p. 23.

(٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ .

تحرير بلادهم من سيطرة الغزنويين ، لكن السلطان محمـود بن سبكتكين لم يقف مكتوف اليدين ازاء هذا الخطر الداهم الذى يهدد دولته فى الهند ، بل سـار سـنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م على راس جيش كبير الى بلاد الهند ، وعبر نهر الكنج (١) ، والتقى بالقوات المتحالفة ولقد كان لظهور السـلطان محمود فى الميدان اثر كبير على أعدائه ، فأخذهم الهلع والفـزع ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئا ، اذ انقضـت عليهم القوات الغـزنوية ، والحقوا بهم الهزيمة ، ولما رأى ملوك الهند عدم جدوى التصدى للسلطان الغزنوى ، أرسلوا رسلهم اليه ، يبذلون الطاعة والاتاوة ، فقبـلَ منهم محمـود الصلح (٢) ، وسار فى اثر بيدا ، والتقى به فى موقعة كبيرة نصر الله فيها المسلمين على اعدائهم ، وغنموا أموالهم وسلاحهم واقتفوا فلول المنهزمين ، وباغتوهم فى الغياض والآجام ، وأكثروا فيهم القتل والاسر (٣) .

تتابعت غزوات وانتصارات السلطان محمود فى بلاد الهند ، واتسعت أملاك الدولة الغزنوية فى هذه البلاد ، وعظمت هيبته فى نفوس أهلها ، وتوقفوا عن مقاومة النفوذ الغزنوى ، على أن أعظم غزوات السلطان محمود حدثت سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م اذ فتح عدة حصون ومدن واستولى على الصنم المعروف بسومنات ، وهو أعظم أصـنامهم يحجون اليه كل ليـلة خسوف ، ويعتقد الهنود أن الارواح اذا فارقت الاحياء . اجتمعت فيه ، فينشئها فيمن يشاء ، وكانوا يحملون اليه نفـائس الجـواهر ، ويعطون سـدنته المال الوفير ، وله وقف يزيد على عشرة آلاف قرية ، يفد اليه البراهمة لعبادته ، واقامة الحفلات الدينية على بابه ، ويعتقد الهنود أن السلطان محمود فى غزواته كلما حطم صنما ، يعتقدون أن سومنات غير راض عنه ولو انه راض عنه لأهلك من قصده بسوء (٤) ، ويعتقدون أن هذا الصنم يحيى ويميت ، وانه اذا شاء أبرأ من جميع العلل ، ومن لم يصادف من

---

(١) Lane Poole : Medieval India p. 25.

(٢) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ص ٣٠١-٣٠٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ .

(٤) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٩٧٣ .

Morel : A Short History of India. p. 148.

أهل الهند انتعاشا احتج بالذنب وقال : انه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الاجابة ، ولا يوجد في بلاد الهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة الا قدم لهذا الصنم ما عز عليه من أموال وذخائر (١) .

لم يهاجم محمود الغزنوى سومنات لتدمير صنم أو الاستيلاء على ما فيه من أموال كما يدعى بعض المؤرخين ، ولكن لان سومنات كان أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكى فى وجه الزحف الاسلامى ، ومهما يكن من أمر سار السلطان محمود على رأس جيش كبير سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م فاقتحم صحراء جرداء قاحلة مترامية الاطراف هى صحراء الثار — أكبر صحراوات الهند — فلما اجتاز هذه الصحراء ، رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال ففتحها ودمر أصنامها ، وحصل منها على الماء والميرة اللازمتين لرجاله وسار الى انهلوارة ففر صاحبها منها ، واحتمى بحصن له ، فاستولى محمود على المدينة وسار الى سومنات (٢) ودمر فى طريقه عددا من الحصون فيها كثير من الاوثان فيما يبدو — حجابا ونقباء لسومنات — حسب اعتقاد الهنود — (٣) فقاتل من بها ، وفتحها ، وحطم أصنامها وسار الى سومنات (٤) ، وقضي على كل مقاومة اعترضت طريق الوصول اليه ، ولما بلغ حصن سومنات قاتل من به ، وأسرعوا الى صنمهم سومنات ليقاتلوا عنه ، وفعلا قاتلوا على بابه بعنف وضراوة (٥) وتضرع الهنود الى صنمهم لعله ينصرهم ، وحمل الجند الغزنوى عليهم حملة أخذت الكثير منهم ، وحطم السلطان محمود الصنم سومنات وأحرق بعضه ، وأخذ بعضه الى غزنة ، وجعله عتبة مسجد غزنة الجامع (٦) .

---

(١) سومنات : مدينة ساحلية واسعة بها علماء الهنود وعبادهم ، والصنم المعروف بها يسمى البد يجلس على كرسى من ذهب وهومضمخ بالمسك من رأسه إلى الكرس ومقلد بعقود الياقوت والجوهر وأمامه أطباق ذهب مملوءة من الأحجار الشريفة الثمينة والكرسى على مقعد مستدير يسع عشرة رجال ، وبيت الصنم مظلما ، والضوء الذى عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وعندها سلسلة ذهب فيها جرس كلما مضى وقت من الليل ، حركت السلسلة فيدق الجرس ، فيقوم طائفة من البرهميين إلى عبادتهم ، وعنده خزانة خاصة فيها عدد من الأصنام الذهبية والفضية .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 19.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤١٦ هـ .

(٣) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٣٠٤ — ٣٠٧ .

(٤) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٥) Hitti : History of the Arabs. p. 464.

(٦) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 51-53.

غير أن بعض ملوك الهند قد أغضبهم ما حاق بمعبودهم الأكبر فأعدوا العدة لمقاومة السلطان محمود ، فخرج صاحب انهلواره وقصد قلعة كنزهة ـ قرب سومنات ـ ولما نمى الى علمه أن السلطان محمود قصده ، فر الى بلاده (١) ، كما قصد السلطان الغزنوى المنصورة (٢) وكان صاحبها قد ارتد عن الاسلام ، وأعد العدة لمحاربة السلطان محمود ـ فسار السلطان الغزنوى الى المنصورة ، واشتبك مع صاحبها وهزمه ، وأخضعه لنفوذه ، ثم سار الى بهاطية ، فأطاعه أهلها ودانوا له بالولاء ، وعاد الى غزنة سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م (٣) .

أعجب محمود بجمال اقليم جوجرات ، وارتاح الى مناخه ، حتى انه فكر فى الاقامة فيه ، واستخلاف ابنه مسعود على غزنة لولا اعتراض قادته ، ومهما يكن من أمر فانه يمكن اعتبار محمود الغزنوى سلطانا هنديا خالصا ، فتح اقليم البنجاب ، ونشر الاسلام فى ربوع الهند ، وفتح طريقا سلكه بعده كثيرون (٤) . وقنع خلفاؤه بعد أن فقدوا أملاكهم فى فارس وافغانستان بالاستقرار في اقليم البنجاب (٥) ولم تكن غاية محمود من غزواته فى بلاد الهند جمع الاموال ـ كما يدعى بعض المؤرخين ـ حقيقة أن محمود غنم الكثير من غزواته ، لكن هدفه كان أولا وقبل كل شيء نشر الاسلام ، وتحطيم الاصنام ، بدليل انه رفض ما عرضه عليه الهنادكة من افتداء صنم السومنات بالاموال الطائلة ، وقال انه يؤثر بأن يصفه من يأتى بعده بأنه محطم الاصنام على أن يقولوا عنه بأنه بائع أوثان (٦) . وعلى ذلك يمكن القول بكل ثقة بأن محمود الغزنوى كان غازيا مجاهدا ، أخذ على عاتقه نشر الاسلام فى بلاد الهند ، والقضاء على الوثنية فيها . والحق أن محمود الغزنوى كان من خيرة قادة وزعماء الاسلام وبلغ فى فتوحه « الى حيث لم تبلغه فى الاسلام راية ، ولم تقل به قط سورة

---

(١) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule. p. 26 — 77.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤١٧ هـ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 4.

(٤) Cambridge History of. India Vol. III. p. 26-27.

(٥) Prasad : Medieval India. p. 71-72.

(٦) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية جـ ١ ص ٩٨ .
Advanced History of India. p. 103-104.

ولا آية ، فدحض عنها أجناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع ، واقام بدلا من بيوت الاصنام مساجد الاسلام ، ومن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان » (١) .

واصل مسعود بن محمود الغزنوى سياسة أبيه فى المحافظة على املاك الدولة الغزنوية فى بلاد الهند ، وضم المزيد من الاراضي الهندية الى الدولة الغزنوية ، وأقر احمد بن ينالتكين على بلاد الهند الغزنوية ، وقد قام هذا الوالى بالاستيلاء على منارس من ولاية الكنج التى لم تبلغها جيوش الاسلام قبلا (٢) .

قوى شأن احمد بن ينالتكين فى بلاد الهند ، وحدثته نفسه بالخروج على الدولة الغزنوية ، لكن السلطان محمود تصدى له وتخلص منه (٣) .

وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا يشكلون خطرا جسيما على الدولة الغزنوية فى عهد السلطان مسعود الا أن هذا السلطان لم يتقاعس عن مواصلة الفتوح فى بلاد الهند ولم يستمع الى تحذير رجال دولته بالبقاء فى غزنة حتى يكون قريبا من السلاجقة ، فسار الى بلاد الهند سنة ٤٢٩هـ ١٠٣٧م لتحقيق حلمه القديم وهو الاستيلاء على قلعة هانس وكانت تسمى بالقلعة العذراء ، لان أحدا لم يستطع فتحها من قبل . واستولى على هذا الحصن الهندوكى الكبير ثم زحف الى سيات عند الشمال الغربى من دلهى ، ففر أهلها الى الغابات المجاورة مما يسر للسلطان مسعود امر الاستيلاء على هذه البلدة (٤) .

على أن جهود السلطان مسعود فى بلاد الهند يسرت للسلاجقة تحقيق اطماعهم فى اقليم خراسان (٥) ، واستولوا على بعض بلدان خراسان وتطور الامر فى الدولة الغزنوية الى أسوأ من ذلك ، فقد هزم السلاجقة السلطان مسعود فى داندانقان سنة ٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٢) تاريخ البيهقى ص ٤٢٦ — ٤٢٧ .

(٣) تاريخ البيهقى ص ٣١٥ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٢١ هـ .

Lane Poole : Midieval India e. p. 41.

(٤) تاريخ البيهقى ٥٨٠ .

(٥) Lane Poole : Medieval India p. 43.

ولما رأى السلطان الغزنوى ضعف قوته ، قرر الرحيل الى الهند حتى يجمع الجموع ويعود الى غزو السلاجقة ، واسترداد خراسان ، لكنه قتل فى الطريق الى الهند ، فخلفه ابنه مودود ، وسار على سياسة ابيه فى المحافظة على أملاك الدولة الغزنوية فى الهند ، فتصدى لأخيه مجدود الذى ولى اقليم البنجاب منذ عهد أبيه ، وكان من أثر ثورة مجدود أن تشجع بعض أمراء الهنادكة وتحالفوا ، واعلنوا الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، وزحفوا الى لاهور ، لكن الجند الغزنوى ردوهم على أعقابهم ، وعادت الى المسلمين هيبتهم فى شمال شبه القارة الهندية (١) .

ولما ولى السلطان ابراهيم بن مسعود الحكم . أعاد الى الدولة الغزنوية هيبتها ونظم أمورها ، وأقر الامور فى هندوستان (٢) ، ولما توفى امتد النفوذ السلجوقى الى الدولة الغزنوية ، فواتت الفرصة الامراء الهنود لمحاولة الانفصال عن الدولة الغزنوية لكن السلطان بهرام شاه أدحض محاولتهم ، وقضي على الفتن التى حدثت فى البنجاب والملتان ، ورد عصبة الامراء الهنادكة عن لاهور وكانت الآمال قد بعثت فى نفوسهم من جديد لطرد الغزاة من بلادهم ، وهكذا استطاع بهرام شاه أن يحافظ على النفوذ الغزنوى فى بلاد الهند ، ويثبت أقدام الدولة الغزنوية فيها (٣) .

ولما ضعفت الدولة الغزنوية لجأ سلاطينها الى ولايتهم فى بلاد الهند للاعتصام بها أو الاستعانة بأهلها لرد الغزاة الطامعين فى غزنة — حاضرة ملكهم — فلما ولى السلطنة خسروشاه لجأ الى الهند على اثر اقتحام قبائل التركمان لحاضرة دولته ، كما انتهز الغور فرصة الفوضي التى عمت الدولة الغزنوية المتداعية ، فانقضوا على غزنة واعملوا فيها الخراب والدمار (٤) وقضي آخر ملوك الدولة الغزنوية أيامه الباقية فى لاهور وتفاقم خطر الغور ، واشتد ساعدهم فاستعاد زعيمهم غزنة من التركمان ، وظلوا يطاردون السلطان الغزنوى فى بلاد الهند حتى قبضوا

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٤٨٦ .

(٢) خوندمير : حبيب السير ج ٢ ص ٣٠
Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 104.

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٨٦ .

(٤) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule p. 46.

عليه ، وبذلك انتهت الدولة الغزنوية التى يرجع اليها الفضل فى توطيد إقدام المسلمين فى أرض الهند ، ونشر الاسلام فى تلك الديار .

والواقع ان حملات الغزنويين فى بلاد الهند واتخاذهم لاهور مقرا لهم يعتبر بدء حكم المسلمين الحقيقى فى هذه البلاد ، ذلك أن ملوك الغور الذين ورثوا الدولة الغزنوية تولوا سلطنة دلهى (١) ، ونشروا نفوذ المسلمين فى ارجاء بلاد الهند الشمالية قاطبة (٢) .

نتائج الفتوحات الغزنوية فى بلاد الهند

لا شك أن الاسلام انتشر بين الهنود نتيجة غزوات سلاطين بنى سبكتكين ودخل الهنود فى الاسلام عن طوع واختيار . حقيقة ساهم التجار المسلمون بدور كبير قبل أن يعمل الغزنويون فى بلاد الهند على نشر الاسلام ، وبنوا مساجد فى بعض مدن الهند ، كما أن حكومة الملتان الاسلامية كان لها السيادة فى بلاد السند منذ الفتح العربى فى عهد بنى امية ، وكان لها نصيب فى نشر الاسلام فى هذه البلاد . ولكن ينبغى ان نؤكد أن السلاطين الغزنويين خصوصا محمود بن سبكتكين كان لهم تأثير كبير على الهنادكة حتى أن جموعا غفيرة منهم أقبلوا على اعتناق الاسلام .

انتشر الاسلام فى بلاد الهند نتيجة لانتصارات راياته فيها ففى سنة ٤١٠ هـ أحرز السلطان محمود انتصارا رائعا على هرداتا — احد ملوك الهند — فوافق على اعتناق الاسلام ، وتقدم الى السلطان الغزنوى مع عشرة آلاف رجل ، واعلنوا رغبتهم فى التحول الى الاسلام ، ونبذ عبادة الاصنام (٣) ، ومما لا شك فيه أن بعض الهنود تركوا عبادة الاوثان واعتنقوا الاسلام تقربا لحكامهم الجدد .

ولقى الاسلام ترحيبا كبيرا من الطوائف الفقيرة الذين كان حكامهم الآريون ينبذونهم ويحتقرونهم وينقصون من شأنهم ، فأعلى الاسلام — دين المساواة — منزلتهم ورفع من شأنهم (٤) .

---

(١) Lane Poole : The Mohammedan Dynasties p. 284.

(٢) Prassad : Medieval India p. 48.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ هـ .

(٤) أونولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

كذلك انتشر الاسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم والعلماء والمتصوفة ورحلاتهم ، ومن أبرز واشهر هؤلاء الشيخ اسماعيل وكان من أهل بخارى ، وعرف بثقافته الدينية والدنيوية ، قدم الى لاهور سنة ٣٩٦ هـ ـ ١٠٠٥ م وظل بها يدعو النـــاس الى الاســلام ويعلمهم شرائعه ، وقد وفد عليه كثير من أهل الهند للاســـتماع الى مواعظه ، وسرعان ما هدى الله الكثير من الناس الى الاسلام على يديه (١) .

ولما كان الغزنويون سنيين متشددين ، فقد اعتنق الهنود الاسلام على المذهب السنى ، وحذوا حذو غزاتهم فى تعصبهم وتزمتهم . كذلك عرف أهل الهند اللغة الفارسية عن الغزنويين ، والمعروف أن هذه اللغة نمت وازدهرت فى بلاط سبكتكين فى غزنة ، كذلك وجد المتصوفون من الفرس والترك فى بلاد الهند خير موئل يلجأون اليه من بلادهم المضطربة ، ولقيت الصوفية ترحيبا من أهل الهند الذين يميلون اليها بطبيعتهم (٢) . كذلك أثر الترك فى الهنـود ، والهنود فى الترك ، وأخذ كل منهمـا عن الآخر ، اذ نقل الترك الى الهند الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية ، وبهذا انتشرت فى المجتمع الاسلامى بالهند اللغة الفارسية ـ لغة الثقـافة فى ذلك العصر (٣) ـ واللغة الاوردية التى هى خليط من الهندية والعربية والفارسية والتركية ، ولم تنتشر اللغة العربية وبالتالى لم تزدهر الثقافة العربية بالهند ازدهارها فى الاقاليم والدول الاسلامية الاخرى ، وساعد على هذا أن بعض الشيوخ والعلمـاء الذين وفدوا على الهند كانوا من علماء ما وراء النهر ، وهؤلاء كانوا أتباع مذهب أبى حنيفة يعتمدون على كتب فقهاء هذا المذهب ، كما كانوا شغوفين بعلوم اليونان القديمة والثقافة الفارســية ، وبهذا اصطبغت الثقافة الاسلامية بالهند بهذه الصفات الثلاث ، ولم تقم على أسس قوية من الثقافة العربية (٤) ، ونشأ فريق من المولدين يمثل حضـارة اسلامية ، مزيج من الحضارات التركية والفارسية والهندية ، وينعم بالتسامح الاسلامى ، وينبذ التفرقة التى كانت من أبرز خصائص المجتمع الهندى من قبل ، وظهـر مفكرون

---

(١) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

(٢) حسن أحمد محمود : الاسلام فى آسيا الوسطى ص ٢٦٩ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ — ٤١٨ .

(٤) جمال الشهال : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية فى الهند ص ٥١٧ .

يهاجمون الديانة البرهمية (١) ، واحترم الهنادكة عقائد المسلمين ، كما ان المسلمين استفادوا من فلسفة الهند ، وتقدم علمائهم في علم الفلك .

ولقد تأثرت الحياة الاجتماعية بالترك ، وتجلى ذلك في انتشار الحجاب بين النساء ، وتخلص المنبوذون من قيود النظام الطبقي وساهموا بحرية في ميادين الحياة المختلفة من سياسية واقتصادية ، واقتبس الهنود عن المسلمين أنظمتهم الادارية والمالية والقضائية ، وشهد الادب الفارسي ازدهارا ، زاد منه رحيل أدباء فارس الى الهند ، واصبحت الفارسية لغة التأليف والكتابة للمسلمين وغير المسلمين ، واستفاد المسلمون من السنسكريتية ، وترجموا عنها الى الفارسية كما ترجموا اليها ، وفي ميدان الفن استفاد المسلمون من الهنود والهنود من المسلمين ، وتجلى ذلك في المساجد والمعابد .

* * *

تجمعت عوامل متعددة ادت الى ضعف الدولة الغزنوية وانهيارها في آخر الامر ، ومن أبرز هذه العوامل المحاولات المتكررة التي بذلها ولاة الاقاليم في الدولة الغزنوية للاستقلال بالولايات التي يحكمونها ، ولم تكن هذه الحركات الانفصالية هي عوامل ضعف الدولة الغزنوية فقط ، بل ان امراء آل سبكتكين أيضا قاموا بدور كبير في تدهور شأن بيتهم العريق فقد حاربوا بعضهم بعضا حول الوصول الى السيادة والحكم وحاول بعضهم الاستقلال ببعض أقاليم الدولة الغزنوية بل استعان بعضهم على بعض بأعداء دولتهم المتربصين للنيل منها .

ومن أكبر العوامل التي عجلت بانهيار الدولة الغزنوية ظهور الاتراك السلاجقة وارتفاع شأنهم وسعيهم الى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية ، كما أن الغور خرجوا من عزلتهم الجبلية ، وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم ، وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم بلدان الدولة الغزنوية التي اخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى انهكت قواها ، ولم تعد تستطيع مقاومة أعدائها الاشداء .

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ — ٤١٨ .

واصل الغور سياستهم التوسعية على حساب الدولة الغزنوية المتداعية حتى استولى على غزنة ، وسقطت لاهور آخر معاقل الغزنويين سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م فى ايدى الغور وبسقوطها زالت الدولة الغزنوية وانتهت ايامها .

٢ ـ الغوريون :

تقع بلاد الغور فى افغانستان الحالية بين هراة وغزنة (١) ، وقامت دولة مستقلة فى هذه المنطقة تتخذ من فيروزكوه عاصمة لها ، وكان الغور لا يدينون بالاسلام حتى غزاهم السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م (٢) .

شكل الغور خطرا جسيما على الدولة الغزنوية فى عهد السلطان محمود بن سبكتكين ذلك انهم دابوا على شن الغارات على رعايا هذا السلطان ، واتخذوا من وعورة بلادهم وصعوبة مسالكها معصما يقيهم بأسه (٣) .

لما كثرت غارات الغور على بلدان الدولة الغزنوية انف السلطان محمود أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه ، وهم على هذا الحال من الكفر والفسوق والعصيان ، وعول على اخضاعهم ، واعد جيشا كبيرا سار على راسه الى بلاد الغور سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م والتقى بجحافلهم فى معركة عنيفة ، مزقهم فيها كل ممزق (٤) ، وأغلق الطرق المؤدية الى بلادهم ، بينما سار الجيش الغزنوى داخل بلاد الغور (٥) ، والتقى بأميرهم فى مدينة آهنكران ، وحدث اشتباك عنيف بين الفريقين تفوق فيه جند الغور ، لذلك أمر محمود بن سبكتكين جنده بأن يولوا الغور

---

(١) K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. p. 34.

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 32.

(٣) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 29.
Majumdab : An Advanced Hist. of India. p. 276.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. p. 9.

(٥) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ١٢٢ – ١٢٣ .

الادبار على سبيل الاستدراج ، وانسحب الجند الغزنوى ، فظن الغور أن ذلك هزيمة ، وساروا فى أثر جيش السلطان محمود حتى ابتعدوا عن بلادهم ، فواتت الفرصة الجند الغزنوى للانقضاض على الغور ، وفعلا باغتوهم ، ووضعوا السيوف فيهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، وشتتوا شملهم ، ووقع امير الغور اسيرا فى أيدى الغزنويين ، وامتلك السلطان محمود قلاع الغور وحصونهم . ومن ثم دخلت بلاد الغور فى حوزة سلطان غزته (١) .. ولما كان الغور حتى ذلك الحين على غير دين الاسلام ، فقد حرص محمود بن سبكتكين على نشر الاسلام بينهم (٢) : فاستخلف عليهم الفقهاء يعلمونهم الدين وشرائعه (٣) .

رفض امير الغور أن يقع اسيرا فى أيدى غريمه لذلك آثر الانتحار (٤) ، وابقى السلطان محمود حكم الغور فى أيدى بيتهم الحاكم ، ولكن فى ظل السيادة الغزنوية ، وارتفع شأن أمراء الغور فى الدولة الغزنوية حتى أنهم ارتبطوا بصلة النسب ببيت سبكتكين ، لكنهم رغم ذلك تطلعوا الى الاستقلال عن غزتة ، واخذوا يتحينون الفرص المناسبة لتحقيق سياستهم ، وفعلا تطورت الامور فى صالحهم (٥) ، ذلك أن الدولة الغزنوية انشغلت فى دفع خطر السلاجقة الزاحفين على اقليم خراسان فأعد الغور عدتهم للاستقلال ، وتحقيق أطماعهم التوسعية على حساب الدولة الغزنوية . ولما انهك السلاجقة قوى سلطان غزتة ، واستولوا على الكثير من ممتلكاته ، سار محمد بن الحسين ــ أمير الغور ــ الى غزتة بغية الاستيلاء عليها سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م لكن السلطان الغزنوى بهرام شاه أحبط محاولته وهزم جنده ، وقبض عليه وقتله (٦) .

استنكر الغور قتل السلطان الغزنوى لاميرهم ، وعولوا على الانتقام من بهرام شاه ، واعد سورى بن الحسين ــ امير الغور الجديد ــ العدة لذلك ، فقوى من أمر جنده ، وسار على راسهم الى غزتة بقصد الاستيلاء عليها ، والأخذ بثار أخيه (٧) ، ولما اقترب سورى من غزتة بجحافله ،

---

(١) تاريخ البيهقى ص ١١٨ – ١٢٠ .

(٢) خوندمير : جبيب السير جـ ٢ ص ٢٢ .

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 34.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. p. 117.

(٥) Habib : Sultan Mahmud. of Ghaznin. pp. 33-34.

(٦) Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47.

(٧) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291-292.

رأى بهرام شاه أنه لا يستطيع التصدى للغور الاقوياء ، فغـادر حاضرة دولته ، وذهب الى الهند الغـزنوية ليجمع منها جيشا قويا ، ويعود الى غزنة لتحريرها من قبضة الغور (١) .

أما الغور بقيادة سـورى ، فقد استولوا على غزنة ، لكن جند غزنة وأهلها سـاءهم احتلال الغـور لمدينتهم ، وانتزاعهم الحـكم من بيت سبكتكين ، وظلوا يتحينون الفرص للتخلص من الغور ، وواتتهم الفرصة حينما عاد السلطان بهرام شاه الى غزنة على رأس جيش كبير لاسـترداد حاضرة ملكة من الغاصبين (٢) ، ووقف جند غزنة وأهلها الى جانب بهرام شاه فى الاشتباك الذى حدث بينه وبين أمير الغور الذى اغتصب أعز قطعة من مملكته ، وقد انتهى القتال بهزيمة سورى (٣) ، وقبض بهرام شاه عليه وقتله وولى جنده الادبار الى بلادهم لا يلوون على شيء ، وعاد بهرام شـاه الى حاضرة ملكه ظافرا منتصرا سـنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وابتهج أهلهـا بمقدمه ، وبقهر الغزاة الطامعين (٤) .

لما قتل سورى خلفه علاء الدين الحسين بن الحسين فى حكم الغور ولم يتغاض عن قتل أخيه سورى وهزيمة جنده ، وطردهم من غزنة ، بل عول على الانتقام من السلطان الغزنوى واهل غزنة لتنكيلهم بجند الغـور واميرهم سـورى ، فسار على رأس جيش كبير الى غزنة ، واسـتولى عليها (٥) ، وولى السلطان الغزنوى بهرام شاه هاربا الى بعض البلاد المجاورة ليستجمع قوته ، ويعود الى حاضرة دولتـه . أما علاء الدين الحسين بن الحسين ، فقد أقر الامور فى غزنة ، وعاد الى بلاده بعد أن اسـتخلف على غزنة أخاه سيف الدين ، وأمره باقامة الخطبة له فى هذه المدينة (٦) كما طلب منه بأن يسير في الناس سيرة حسنة ، ويحكم بالعدل وفعلا نفذ سيف الدين تعليمات أخيه ، فأحسن الى أهل غزنة وأجزل على أعيانها الصلات النفيسة ، وخلع عليهم خلعا سنية (٧) حتى تطيب نفوسهم ، ويخلصوا للعهد الجديد .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٣ هـ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٣٨٨ – ٣٨٩ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47.

(٤) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٦ .

(٥) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291 - 292.

(٦) خوندمير : حبيب السير جـ ٢ ص ٣٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

على أن هذه السياسة لم تؤت ثمارها ، اذ كان أهل غزنة لا يزالون على ولائهم واخلاصهم لبيت سبكتكين ، ويعارضون حكم الغور لهم ، وأعدوا العدة للتخلص منهم ، فلما كان شتاء سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ وانقطع الطريق بين غزنة وبلاد الغور بعد أن غطاه الثلج ، أمن أهل غزنة عدم وصول النجدات العسكرية من بلاد الغور الى بلدهم ، ونادوا بشعار بهرام شاه (١) ، وارسلوا اليه يطلبون منه العودة الى حاضرة ملكه ، وتحريرهم من نير الغور المغتصبين للحكم من أصحابه الشرعيين ، فاستجاب بهرام شاه لنداء أهل غزنة ، وسار على راس جيش كبير الى غزنة ، ولما اقترب منها قبض أهل غزنة على سيف الدين ــ الحاكم الغورى ــ ومهدوا لبهرام شاه أمر دخول غزنة (٢) ، فدخلها ونكل بالغور وبذلك استرد بهرام شاه غزنة للمرة الثانية . على أن بهرام شاه لم يلبث أن توفى وولى بعده ابنه خسروشاه (٣) وكان علاء الدين الحسين بن الحسين ــ أمير الغور ــ قد أعد العدة للسير الى غزنة واستعادتها والانتقام من أهلها الذين قتلوا رجاله فلما علم خسروشاه بزحف أمير الغور على غزنة أسقط فى يده وخاف العاقبة وغادر غزنة وقصد لاهور واستقر بها ونقل اليها حكومته وجعلها حاضرة لدولته بدلا من غزنة (٤) . أما أمير الغور فقد استرد غزنة وضمها الى حوزته سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ولم ينس هذا الامير موقف أهل غزنة العدائى من قومه فالحق بهم ويلاته (٥) ، وأباحها لجنده ثلاثة ايام كاملة لقى خلالها اهلها سوء العذاب ولم يكتف بذلك بل دمر حاضرة بنى سبكتكين بما فى ذلك المنشآت التى انشأها سلاطين غزنة العظام حتى سماه أهل غزنة « محرق العالم » (٦) على أنه أصلح أمور غزنة بعد أن اسرف فى الانتقام من أهلها وراب الصدع (٧) ، ونقل الكثير من أهل غزنة ممن يخشي بأسهم الى بلاده واسكنهم بعض قلاعها وبذلك كفل بسياسته هذه اضعاف مقاومة سكان غزنة لحكم الغور وبقائها فى حوزته (٨) .

---

(١) براون : تاريخ الأدب الفارسى ج٢ ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٤) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.

(٥) K. Ali; A New History of Indo-Pakistan. p. 43.

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ .

(٨) Majumdab : An Advanced Hist. of India. p. 277.
A Short. of Hind-Pakistan. p. 122.

قويت دولة الغور فى عهد اميرها علاء الدين الحسين بن الحسين وتطلع الى توسيع رقعة دولته فسار على رأس جيش كبير الى خراسان وعاث جنده فسادا وتخريبا فى أعمال هراة ـ وسار الى بلخ وحاصرها وضيق عليها الحصار حتى استسلمت له وضمها الى حوزته على انه لم يحظ بحكمها طويلا فقد سار اليه السلطان السلجوقى سنجر ليستعيد بلخ من الغور ويمنعهم من التعرض لخراسان والتقى السلطان السلجوقى بالامير الغورى فى قتال عنيف هزم فيه الغور ووقع أميرهم أسيرا فى أيدى السلاجقة على أن السلطان سنجر لم يلبث أن عفا عنه وخلع عليه وأعاده الى فيروزكوه .

واصل امير الغور سياسته الرامية الى ضم مزيد من البلاد الى دولته على الرغم من الهزيمة التى لحقت به ونظم ادارة دولته واستعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا اخيه وهما غياث الدين محمد بن سام وشهاب الدين محمد فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة (١) . فلما استعملهما احسنا السيرة فى عملهما وعدلا بين الناس وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فأرسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا فسير اليهما جيشا لاخضاعهما والتقى الاخوان بجيش علاء الدين وأوقعا به الهزيمة ، عندئذ جاهرا بعصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وحدث اشتباك بين الفريقين انهزم فيه علاء الدين ووقع أسيرا فى أيدى ابنى أخيه وعقد صلح بين الامير الغورى والاخوين بمقتضاه تزوج غياث الدين من ابنة عمه علاء الدين وجعله ولى عهده (٢) .

لما توفى علاء الدين الحسين سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م خلفه غياث الدين محمد ، وأقيمت الخطبة له فى غزنة ، لكن الغور لم يلبثوا أن فقدوا غزنة ، ذلك أن الغز طمعوا فيها بعد موت علاء الدين الحسين ، واستولوا عليها (٣) ، وطردوا الغور منها ، وبقيت غزنة في أيديهم خمس عشرة سنة ساموا خلالها أهلها سوء العذاب كعادتهم فى كل بلد ملكوه .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٨٦٣ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 47.

وفى تلك الفترة كان غياث الدين محمد ـ أمير الغور ـ يعد العدة ، ويجمع الجيوش لاسترداد غزنة من مغتصبيها الغز (١) .

سار غياث الدين الى غزنة فى صحبة أخيه شهاب الدين ، واشتبك الغور مع الغز فى معركة الحقوا بهم الهزيمة ، وطردوهم من غزنة ، واستردوها ، وأحسن غياث الدين الى أهلها (٢) .

لم يكتف غياث الدين محمد أمير الغور ـ بامتلاك غزنة ، بل عقد العزم على امتلاك البقية الباقية من الدولة الغزنوية لتوسيع دولته الناشئة ، واستئصال شأفة آل سبكتكين حتى يضمن لدولته ـ التى قامت على أنقاض الدولة الغزنوية الأمن والاستقرار فأرسل جيشا استولى على بلدان الغزنويين غير الهندية ، وضمها الى دولته . ثم عبر شهاب الدين الغورى نهر السند معتزما الاستيلاء على ممتلكات الغزنويين فى الهند واتجه الى لاهور ـ قاعدة آخر سلاطين سبكتكين ـ وفى طريقه اليها استولى على ممتلكات الغزنويين الهندية ثم حاصر لاهور ـ آخر معاقل الغزنويين ـ فى جمع عظيم وحشد كبير ، حاصرها وضيق عليها الحصار ، وأرسل شهاب الدين الى خسروشاه وأهل لاهور يعرض عليهم الامان على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ان يسروا أمر استيلائه على لاهور ، وحذرهم عاقبة التعرض لقواته (٣) ، لكن خسروشاه وأهل لاهور أصروا على مقاومة الغور ، وبذلوا فى سبيل ذلك الأنفس والاموال ، غير أن مقاومتهم للغور اعتراها الضعف والوهن (٤) ، فأرسل خسروشاه ـ السلطان الغزنوى ـ الى شهاب الدين قائد الغور وفدا يطلب الامان فأجابه شهاب الدين الى طلبه ، ودخل الغور لاهور ، وقبضوا على خسروشاه . وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها ، وزالت الدولة الغزنوية بذلك فى الهند وغير الهند ، وامتد ملك الغور فى افغانستان وبلاد الهند على حساب الدولة الغزنوية (٥) . كما اتسع ملك الغور ، واستقر سلطانهم ، وكثر جندهم وقوى بأسهم ، وأمر غياث الدين أخاه

---

(١) Morel : A Short History of India. p. 152.
(٢) K. Ali : A New Historyof Indo-Pakistan p. 34.
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ .
(٤) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 293.
(٥) Morel : A short History of India. p. 152.

شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة (١) ، ولقبه الخليفة العباسي غياث الدين والدنيا ، معين الاسلام قسيم أمير المؤمنين ، ولقب السلطان غيات الدين أخاه شهاب الدين ، عز الدين . واكسب اعتراف الخليفة العباسي لسلطان الغور الصفة الشرعية لحكمه على البلاد التى دخلت فى حوزته (٢) . وبذلك قوى نفوذ غياث الدين .

لم يكتف الغور بما امتلكوه من بلدان ، بل سعوا الى توسيع دائرة نفوذهم ، فبعد أن استقر أمر لاهور ، سار السلطان غياث الدين محمد فى صحبة أخيه شهاب الدين الى هراة وشدد الغور عليها الحصار ، وكان يسيطر عليها جماعة من الترك السلاجقة يخضعون للسلطان سنجر ، وما زال الغور يحاصرون هراة ، ويضيقون عليها الحصار حتى طلب أهلها الامان ، فأمنهم غياث الدين محمد ، ودخل هراة ، وضمها الى دولته وتقدم سلطان الغور الى بوشنمنج واستولى عليها ، كما امتلك بادغيس وبعض البلدان المجاورة لها فى اقليم خراسان (٣) .

يتضح لنا مما تقدم أن امارة الغور الافغانية انضمت الى الدولة الغزنوية فى عهد السلطان محمود ، واعتنق أهلها الاسلام ، وترقبوا الفرص للعودة الى الاستقلال ، ولما ضعفت الدولة الغزنوية ، تمكنوا من الانفصال عنها ، بل وتجاوز أراضيهم الجبلية الوعرة الى البلاد الغزنوية فى أفغانستان وبلاد الهند حتى أدخلوها فى دائرة نفوذهم وضموا الى دولتهم كذلك أجزاء من اقليم خراسان واقليما هنديا .

الغور وبلاد الهند

يرجع الى الغور الفضل فى توطيد دعائم الحكم الاسلامى فى شمال الهند ، حقيقة ان السلاطين من بنى سبكتكين هم الذين فتحوا أمام قادة المسلمين من بعدهم سبيل التوسع والفتح فى بلاد الهند الا أن سياسة سلاطين بنى سبكتكين تختلف عن سياسة سلاطين الغور فى الهند ،

---

(١) Lane Poole : Medieval India. p. 152.

(٢) Munshi : The struggle for Empire. p. 118.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.

بوشنمنج وبادغيس من أعمال خراسان .

فالغزنويون لم يعملوا على تثبيت اقدامهم فى هـذه البـلاد ، بل وجهـوا اهتمامهم بالدرجة الاولى الى الحصول على المغانم الكثيرة من بلاد الهند ، أما الغور فقد اسـتقروا فى البـلاد الهندية التى ضموها الى حوزتهم ، ومن ثم احتفظت الهند بمالها وثرواتها واتسع سلطانهم فى بلاد الهند ، ورأى الهنادكة فى المسـلمين خلاصـا من نير أمرائهم الذين حرموهم من التدرج فى سلك الوظائف مهما كانت كفاياتهم ومعتقداتهم ، بينما يساوى الاسلام بين أبنائه .

وقبل أن نتحدث عن فتـوحات الغور فى بلاد الهند يجـدر بنا ان نناقش الدوافع والاسـباب التى وجهت أنظار المسـلمين الغور الى بلاد الهند .

لما كانت دولة الغور قد قامت فى أفغانسـتان فى منطقـة جبلية وعرة ، واتخذت لها قوة ضاربة قهرت الغزنويين ، وانتزعت ممتلكاتهم فى غزنة وما جاورها ، فمن الطبيعى أن يعمل الغور على البحث عن ميادين جديدة للتوسع ، ومن الطبيعى جدا أن تكون بلاد الهند هى ذلك الميدان ، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ بانيكار (١) اذ قال « كلما كانت أفغانستان قوية مدت نفوذها الى بلاد الهند ، والعكس كلما ضعف أمر أفغانستان أمنت الهند من غزوها لأراضيها » .

ومن الاسـباب التى دعت الغور الى الاتجاه الى بلاد الهند عدم استطاعتهم الزحف الى وسط آسيا حيث الدولة الخوارزمية ودولة الخطا تقومان فى هذه الجهات ، ولا تمكنان الغور من التوغل فى بلادهما .

وكان من الضرورى للغور ، ومن المنتظر أيضا أن يولوا وجوههم شطر الهند لان الغزنويين نقلوا مقر دولتهم الى لاهور ، وأخذوا فى العمل على تقوية امرهم لاسترداد البلاد التى انتزعها الغـور منهم فى أفغانستان ، فكان لابد اذن للغور من القضاء نهائيا على آخر معاقل الغزنويين فى الهند حتى يأمنوا على دولتهم الناشـئة من أية محـاولة قد يبذلها الغزنويون لاسترداد أفغانستان منهم .

وهناك أسباب أخرى شجعت الغـور على الاتجاه الى بلاد الهند ، فالامراء الهنود ــ كما سنرى ــ فى شمال الهند أضعفتهم وانهكت قواهم

---

(١) A Surrey of India, pp. 122-123.

الانقسامات والخلافات وعلى ذلك رأى الغور أنهم لن يواجهوا متاعب كثيرة فى تحقيق سياستهم فى بلاد الهند . ولا يفوتنا أن نذكر أن الغور كانوا حديثى عهد بالاسلام تحدوهم الرغبة والامل فى الجهاد فى سبيل نشر الاسلام فى غير بلاد الاسلام ، وبلاد الهند التى لا يزال معظم سكانها على الوثنية خير ميدان يجاهد فيه الغور من أجل رفع راية دينهم ونشره . ولقد انقسم القسم الشمالى من الهند حينما شرع الغور فى الزحف اليها الى ممالك متعددة منقسمة على نفسها ومستقلة عن بعضها ، فهناك مملكة البنجاب ويحكمها السلطان الغزنوى خسروشاه — آخر سلاطين بنى سبكتكين ومملكة الملتان ، وتحكمها أسرة اسماعيلية من القرامطة ، والسند وتحكمها اسرة هندية تسمى سمارس ، ، يضاف الى ذلك امارات يحكمها أمراء هنود من الراجبوتيين فى شمال الهند من أهمها مملكة دلهى وآجمير ومملكة قنوج وتضم بنارس ، ومملكة جوجرات ونهرواله ، ومملكة بند لخاند وتضم كالنجار وهانسي ومملكة بهار ، ومملكة البنغال ، ويسمى هذا القسم هندوستان ويشمل أخصب بقاع الهند وأكثرها سكانا (١) .

سار الغور بقيادة السلطان غياث الدين محمد الى الملتان سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م واستولوا عليها ، ثم ضموا بشاور الى دولتهم ، ولم يستطع بهيم ديوا — راجا نهرواله — وقف زحف الغور مما مكنهم من مواصلة تقدمهم فى أرض السند حتى استولوا عليها (٢) .

قصد السلطان الغورى بعد ذلك لاهور ، وتصدى له السلطان خسروشاه وأوقع به الهزيمة ، فاتجه سلطان الغور الى سيالكوت وانتزعها ، واتخذها قاعدة لشن الغارات على لاهور ، وبعد عدة سنوات استطاع سلطان الغور الاستيلاء على لاهور ، وبسقوط لاهور فى أيدى الغور ، اكتملت سيطرتهم على اقليم البنجاب بأكمله (٣) .

لما أتم السلطان الغورى ضم بلاد السند والبنجاب الى حوزته عهد الى أخيه شهاب الدين بحكم هذه البلاد نيابة عنه فاتخذ من لاهور مركزا له ، وعمل شهاب الدين منذ أن ولى امر هذه البلاد على تثبيت أقدام

---

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 35-36.
(٢) I B D. P. 36.
(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 118.

الغور فيها وتوسيع ممتلكاتهم فى الهند (١) .

فطن الامراء الراجبوتيون الى خطر الغور وخشوا من ازدياد نفوذهم وراوا فى ذلك خطرا يهـدد سلطانهم فتحالفوا فيما بينهم ونسوا خلافاتهم وعقدوا العزم على طرد الغـور من بلاد الهند قبـل أن يهاجموا ديارهم وينتزعوا بلادهم أو بعبارة أخرى يتغذوا بالغور قبل أن يتعشوا بهم . وفى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م حشد الامراء الراجبوتيون امراء شمال الهند أصحاب دلهى وآجمير وقنـوج وبهـار والبنغـال والكجرات وبندلخاند ، حشدوا قواتهم عند سرهند على حدود البنجاب الشرقية(٢) واستنفروا الهنادكة بالانضمام اليهم فأقبلوا عليهم من كل حدب وصوب على الصعب والذلول ، فلما علم شهاب الدين بنوايا الامراء الراجبوتيين نحـوه وتجمعهم لملاقاته سار اليهم على رأس جيش كبير ودارت معركة عنيفة بين الفريقين انتصر فيها الهنـادكة على الغور وقتـلوا وأسروا من المسلمين كثيرين وأصيب شهاب الدين بجراح شـديدة ، وكاد أن يلقى مصرعه لولا أن بعض جنده حمله الى خارج ميدان القتال ، ودارت المعركة عند (تارين) على مقربة من (ثنيسر) (٣) .

على أن غياث الدين سلطان الغـور لم يتغاض عن هزيمة جنده فى الهند ، بل رأى ضرورة محاربة أعدائه واخضاعهم ، واعادة نفوذ الغور فى الهند الى ما كان عليه من القوة والغلبة ، فأعد جيشا مكونا من مائة وعشرين الف مقاتل من الافغان والترك والخلج والفرس ، سار على راسـه شهاب الدين فى العام التالى ، والتقى بأعدائه فى نفس الموضع الذى نشبت فيه معركة العام السابق ، وعلى الرغم من التفوق العددى للهنادكة واستخدامهم الفيلة فى الحرب الا أن قوات الغور أحرزوا انتصـارا رائعا على الهنادكة وقتلوا الوفا منهم من بينهم بعض الامراء وخر أمير آجسيمر صريعا ، وغنم الغور مغانم كثيرة (٤) .

وكان لهذه الواقعـة آثار بعيـدة المدى فى شمال بلاد الهند ، فقد تقلص نفـوذ وسـلطان الامراء الراجبوتيين فى هذه الجهات ، كما امتد

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 36.
(٢) Lane Poole : Medieval India. p. 51.
(٣) Munshi : The struggle for Empire. p. 118.
(٤) Lane Poole : Medieval India. p. 53.

سلطان الغور الى بلاد سروستى وسـمنه وكهرام وهنسي وآجمير (١) ، وحطم شهاب الدين الاصنام فى هذه البلاد التى امتلكها ، وشيد مساجد يذكر فيها اسم الله ، وحطم معابد الشرك (٢) . كذلك أصبح الطريق مفتوحا امام الغور للزحف الى دلهى « وهى كرسي الممالك التى فتحها الغور فى بلاد الهند » وفعلاً تمكن الغور من ضم دلهى الى حوزتهم (٣) . وبذلك اتسعت دولتهم فى الهند حتىاقتربت من حدود الصين شرقا . ويذكر المؤرخون أن هذه المعركة تعتبر معركة فاصلة فى تاريخ الهند ، لانها أرست أسس الحكم الاسلامى فى هذه البلاد (٤) .

عهد شهاب الدين الغورى الى مملوكه قطب الدين أيبك بحكم البلاد الهندية الداخلة فى دائرة نفوذ الغور نيابة عنه ، وعاد الى غزنة ، وجدير بالذكر ان أيبك عرف عنه الحنكة السياسية والكفاءة الحربية . وجعل من دلهى قاعدة لحكمه فى بلاد الهند بدلا من لاهور التى تبعد عن البلاد الهندية التى يمتلكها الغور (٥) .

على أن الامراء الهنادكة لم يلبثوا أن أعدوا عدتهم وتأهبوا لطرد الغور من بلادهم بعد أن عظم أمرهم فى بلاد الهند ، وواتتهم الفرصة حين نمى الى علمهم عودة شهاب الدين الى غزنة فاتحدوا بقيادة راجا قنوج جايا جندرا ، ومملكته تمتد من وراء دلهى حتى حدود بنارس ، وفى غضون ذلك وصل شهاب الدين الى بلاد الهند ، وانضم اليه قطب الدين ، وسار جيش الغور الى الامراء المتحالفين ، واشتبك الفريقان فى معركة فى شاندوار ، انتصر فيها المسلمون على أعدائهم انتصارا رائعا ، وزحف الغور الى بنارس واستولوا عليها ، وقتل أمير قنوج فى ٥٩٠هـ/١١٩٤م ومن أبرز نتائج هذه المعركة ازدياد نفوذ وهيبة الغور فى بلاد الهند وفشل الامراء الراجيوتيين فى شمال الهند فى استراد بلادهم التى انتزعها منهم

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 118.

(٢) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 38.

(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

(٤) Lane Poole : Medieval India. p. 54.

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

المسـلمون لذلك لجـأوا الى صحراء الراجيـوتانا التى حملت اسمهم (١) (الثـأر) .

لم يأل قطب الدين أيبك جهدا فى سبيل توسيع رقعة دولة الغور فى الهند ، بل عمل على ضم المزيد من بلاد الهند الى حوزة الغور ، ففى ٥٩٣هـ/١١٩٦م استولى أيبك على جاولار gawalior كما استولى على نهرواله . وفى سـنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ضم كالنجار الى حوزته ، ولم تستطع قلعتها الصمود أمام ضربات المسلمين القوية فاستسلمت حاميتها ، يضاف الى ذلك استيلاء الغور على بعض البلاد فى شمال الهند ، وبذلك سيطر الغور على أراضي شمال الهند كلها (٢) .

وبينما يعمل قطب الدين أيبك على تثبيت أقدام المسلمين فى بلاد الهند خرج قائده محمـد بن بختيـار الخلجى فى قلة من الجند يواصل سياسة حكومته الرامية الى توسـيع امبراطورية الغـور فى الهند ، فاسـتولى على يندنتبورى عاصمة اقليم بهـار ويحكمها ملوك أسرة بالا Pala ولم يلبث أن اسـتولى على مملـكة بالا بأسرها . وكانت الديانة البوذية عقيدة السواد الأعظم من سكانها . فحطم معابدهم وأصنامهم . ونشر الاسلام بينهم (٣) وانضمت هذه البلاد الى امبراطورية الغور (٤) .

واذن قطب الدين أيبك ــ نائب سـلطان الغور فى الهنـد ــ الى الخلجى بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بختيار الخلجى الى نادية عاصمة البنغال وعلى الرغم من قلة عدد قواته فقد اقتحم نادية ، ويحكمها لكشمن سنا من أسرة سنا سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٧م وفر الملك الشيخ من عاصمة دولته بعد أن علم بدخول الغزاة المسلمين لها ــ فاستولى عليهـا بختيار وضمها الى مملكة الغور ، واقام فيها الخطبة لسلطان الغور وقـد يسر سـقوط نادية فى أيـدى الغور امـر اسـتيلائهم على اقليم البنغال

---

(١) Majumdab : An Advanced Hist. of India. p. 229.
A short Hist. of Hind — Pakistan. pp. 124-125.
(٢) Morel : A Short History of India. p. 152.
(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 54.
(٤) Prasad : Medieval India. pp. 118-120.
(٥) Majumdab : An Advanced Hist. of India. 279.

بأكمله (١) .ـ

لم يكتف بختيـار الخلجي بما أحرزه من انتصارات بل تطلع الى السير الى التبت والاستيلاء عليـه ففى سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه من ديفكوت Devkot الى دناجبور Dinajpur فى عشرة آلاف إفارس . لكن حملته فشلت فشلا ذريعا وفى عودته الى ديفكوت فقد معظم جيشه . ولم يلبث هو كذلك أن توفى (٢) . وقد حـرص قطب الدين أيبـك على المحافظة على ممتلكات الغور الهندية فقضي على محاولات بعض أمراء الهند فى الاستقلال عن مملكة الغور ، ففى سنة ٥٩٨ هـ شق أهل نهرواله عصا الطاعة على الغور ، فقـاتلهم أيبك وهزمهم شر هزيمة ، وشـتت شملهم واسترد نهرواله وعفا عن حاكمهـا . وأبقاه فى بلدته بعد ان دفع مبلغـا كبيرا من المال وتعهد بعدم العودة الى العصيان (٣) .

بدأت متاعب الغور فى بلاد الهند فى مستهل القرن السابع الهجرى ذلك أن بعض الولايات الهندية خرجت على حكومة الغور منتهزة فرصـة انشغال الغور ، فى الحروب فى أيران ، ومن أبرز الانتقاضات التى انهكت الغور ثورة الكهكوية وبلادهم قليلة المياه صعبة المســالك وتقع على قمم الجبال ، وامتنعوا عن دفع الخراج الى حكومة الغور وقطعوا الطريق بين غزنة ولاهور . ولم يستطع والى الملتان التصدى لهم ولما زاد خطر الكهكوية ارسل شــهاب الدين الى قطب الدين أيبـك يأمره بالضرب على أيدى الكهكوية ، واعادتهم الى الولاء والطاعة ، وأرسل أيبك اليهم يدعوهم الى الطاعة ، وترك التمـرد والعصـيان ، لكن الكهكوية لم يذعنوا لنداء نائب السلطان وبقوا على عصيانهم ، وطردوا عمال الغور من بلادهم ، واقبلت الهنود عليهم تؤيدهم فى موقفهم العدائى من الغور فقوى أمرهم (٤) .

---

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 40.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٩٧ هـ .
A short Hist. of Hind — Pakistan. 128.

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
Majumdab : An advanced hist. of India. P. 280.

لما راى شهاب الدين عدم استطاعة عماله فى الهند اخضاع الكهكرية واعوانهم سار بنفسه الى بلاد الهند لاعادة الأمن والهدوء اليها واشتبكت قوات الغور مع الكهكرية فى قتال عنيف ، هزم الغور ، أعداءهم ، وقتلوا كثيرا منهم (١) ، وفر من نجا الى أجمة هناك وأشعلوا نارا والقوا بأنفسهم فيها قبل أن تأخذهم سيوف المسلمين ، وغنم المسلمون منهم ما لا يسمع بمثله ، وبذلك عادت الى الغور هيبتهم في بلاد الهند وامنت امبراطوريتهم فى الهند من حركات التمرد (٢) ، بل وفد على شهاب الدين بعض رؤساء القبائل الذين انضموا الى الكهكرية يعلنون ولاءهم وعودتهم الى الطاعة(٣).

ويجدر بنا أن نناقش أسباب تفوق الغور المسلمين على الهنود ، فمن بين هذه الاسباب دقة المسلمين ومهارتهم فى ادارة العمليات الحربية، يضاف الى ذلك أن بلاد الهند كانت تنقصها وحدة سياسية تجمع بينها وتقوى من أمرها اذ كانت الهند دولا مستقلة يحكمها أشخاص لا يرتبطون مع بعضهم البعض برباط يمكن أن يؤدى دوره فى الدفاع عن الوطن فى حالة تعرضه للغزو .

حقيقة أن الامراء الراجبوتيين كانوا محاربين أكفاء ، لكنهم لم يخضعوا لامير يوحد شملهم في مواجهة العدو المشترك ، ولما واجهوا الغور ، لم يستطيعوا الصمود كثيرا أمام هجماتهم نظرا لان الترك كانوا فى مستوى أعلى منهم فى التدريب والتنظيم والتطور الحربى ، والهنادكة لم يكن عندهم الاستعداد الكافى لمسايرة أحدث التطورات فى التنظيمات العسكرية والاساليب الحربية ، وأخيرا فان الدين الاسلامى، قد أعطى للغور حماسا وقوة للجهاد فى سبيل الله ، ولقد وحد بين المسلمين وجمع شملهم روح الاخوة والمساواة التى بثها الاسلام فى قلوب أبنائه أما الهنادكة فالنظام الطبقى السائد بينهم والذى بمقتضاه انقسم الناس الى منبوذين وأشراف عرقل وقوفهم صفا واحدا فى وجه غزاتهم (٤) .

والخلاصة أن سلاطين الغور ، نجحوا فى اقامة دولة اسلامية فى شمال الهند ومهدت سياستهم فى هذه البلاد الى قيام امبراطورية اسلامية فيها لها تقاليدها ومقوماتها ذلك أنهم أسندوا ادارة دولتهم فى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 124.

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 55.

(٤) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. pp. 40-42.

الهند الى رجال اكفاء احســـنوا توجيههم ، فعمـلوا على تثبيت الحكم الاسلامى فى هذه البلاد ، ولقد حرص خلفاء شهاب الدين ـ من مماليك الترك ـ على اتباع التقـاليد التى وضعها سـيدهم فى حكم الهند لذلك يمكن القول بأن شهاب الدين الغورى ليس غازيا للهند فقط بل يعتبر بحق واضع اساس امبراطورية المسلمين فى الهند (١) .

ضعف مملكة الغور وانهيارها

سار السلطان غياث الدين محمد فى دولته سيرة حسنة فقد شيد بها المســـاجد والمدارس ، وكان ينسخ المصـاحف بخطه ، ويودعها فى مكتبات المدارس التى أسسها ، وخفف عن الناس عبء الضرائب ، ولم يتعرض لمال أحد بسوء ، واذا مات رجل فى غير بلده ، سلم ماله الى أحد التجار من أهل بلده ، فان لم يجد أحدا يسلمه الى القاضي ، ويختم عليه الى أن يصل اليه من يأخذه من ورثته . وكان يخلع على الفقهاء والأدباء والشـــعراء ، وينفق على الفقراء ، يضـاف الى ذلك حرصه على وحدة العقيـدة ، اذ كان يكره التعصب لمذهب معين ، ويقـول : التعصب فى المذاهب من الملك قبيح (٢) .

كذلك كان شهاب الدين محمد عادلا حسن السيرة فى رعيته وبلغ من اهتمامه بسير العدالة أن القـــاضي بغزنه يحضر داره فى بعض أيام الاسبوع ، ويحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب بيت المال ، فيحكم القاضي ، وموظفو السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع ، وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره ، واستمع الى أقواله وأمضي عليه أو له حكم الشرع . لذا سارت الامور فى مملكة الغور على احسن نظام ، بعد ان ساد العدل البلاد (٣) .

على أن دولة الغور اضـطربت اضطرابا شديدا بعد وفاة الســلطان شهاب الدين محمد ، فقد تنافس الامراء والقواد حول عرش السلطنة ، وحدثت حروب انهكت قوى الدولة الغورية حتى زالت فى النهاية .

فلما توفى شهاب الدين تنافس حول السلطنة ، غياث الدين محمود نجل

---

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 42.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

السلطان غياث الدين محمد ، يساعده تاج الدين يلدز ــ من اقوى قواد الفور ــ وابنا بهاء الدين الفورى ــ صاحب باميان ــ علاء الدين وجلال الدين ، ودخل الاخوان غزنة فعلا (١) وانتزعا قلعتها ، وفرقا الاموال فى الجند والاعيان ، فدانت لهما غزنة بالولاء والطاعة منتهزين فرصة تغيب غياث الدين محمود فى خراسان ، على ان غزنة لم تصف لعلاء الدين وجلال الدين ، ذلك أن تاج الدين يلدز ما لبث أن دخلها ونهب جنده المدينة ، واستولى يلدز على القلعة ، وأخرج الاميرين الغوريين منها ومن غزنه كذلك ، وكان يلدز قد عظم أمره بعد أن استولى على كل ما فى معسكر سيده شهاب الدين من مال وسلاح وجند .

على أن يلدز لم يكن يعمل باسم غياث الدين محمود كما كان يدعى ، بل كان يعمد على انتزاع الحكم لنفسه ، فلما استوثق له أمر غزنة ، لم يأمر الخطيب بالخطبة لغياث الدين محمود وانما يخطب للخليفة ، ويترحم على شهاب الدين ، وفرق الاموال فى الناس ، فطابت نفوسهم (٢) .

اما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد فقد تربع على عرش الملك ، وخطب لنفسه بالسلطنة ، وتلقب بألقاب أبيه غياث الدين محمد فى فيروزكوه ، وفرح أهل البلد به ، ونكل بأعدائه ومعارضيه ، وسلك طريق أبيه فى الاحسان والعدل ، الا أنه لم يستطع استرداد بلاد خراسان التى انتزعها الخوارزميون من مملكته (٣) .

على أن أمر يلدز قد ساء ، ذلك أن قطب الدين ايبك ــ نائب سلطان الفور فى الهند ــ ارسل الى يلدز يهدده بالحرب ، ان لم يعد الى طاعة غياث الدين محمود ، ويقيم له الخطبة ، كما ان أحد قواد يلدز ، واسمه ايدكز التتر ساءه موقف يلدز ، فخرج على صاحبه ، واستولى على غزنة وأموالها ، واقام الخطبة فيها لغياث الدين محمود وارسل غياث الدين محمود اليه يلقبه « ملك الامراء » ورد عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة ، وقال له : أما مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه وأما أموال التجار وأهل البلد ، فقد ارسلته مع رسول ليعيده الى أربابه حتى لا يحدث ظلم فى دولتنا ، وقد عوضتك عنه ضعفه . وأرسل أموال أهل

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ ه .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ ه .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٨٧٦ .

غزنه الى قاضيها ، وامره برده الى اصحابه . وسار غياث الدين محمود الى بست ، واستردها من يلدز واحسن الى اهلها ، واعفاهم من خراج سنة لما نالهم من الضر والأذى على أيدى هذا القائد (١) .

اضعفت هذه الانقسامات من شأن دولة الغور ، حتى أن السلطان خوارزشاه ، انتزع ما تبقى لها فى خراسان ، بل طمع فى الاستيلاء على البقية الباقية من ممتلكات الغور فى أفغانستان ، فأمر ـ أمير ملك ـ عامله على هراة ـ بقصد غياث الدين محمود ـ صاحب الغور وفيروزكوه فسار أمير ملك ـ القائد الخوارزمى الى فيروزكوه ـ عاصمة مملكة الغور ـ ولما رأى غياث الدين محمود ـ سلطان الغور ـ أن لا قبل له بالجند الخوارزمى طلب منه الامان ، فأمنه القائد الخوارزمى ، ونزل سلطان الغور اليه من القلعة ، لكن القائد الخوارزمى نكث بالعهد وقبض على السلطان الغورى وقتله ، وضم بلاد الغور الى الدولة الخوارزمية سنة ٦٠٥ هـ . (٢)

ولم يلبث علاء الدين محمد ـ السلطان الخوارزمى ـ أن استولى على كافة أرجاء خراسان ، وانتزع باميان من الاميرين الغوريين علاء الدين وجلال الدين ، واستناب يلدز عنه فى حكم غزنة ، فأقام الخطبة له فيها، ونقش اسمه على السكة . غير أن خوارزشاه لم يطمئن الى ولاء يلدز وأعوانه ، فسار بنفسه الى غزنة سنة ٦١٢ هـ ، وقتل من به من جند الغور ولا سيما الاتراك ، وهرب يلدز الى لاهور حيث اغتاله بعض رجال شهاب الدين الغورى .

وبذلك زالت الدولة الغورية على أيدى الخوارزميين بعد أن انهكت قواها بما شنته من حروب على الخطا والخوارزميين والهنادكة . ويذكر ابن الأثير أن دولتهم كانت من أحسن الدول سيرة ، وأعدلها وأكثرها جهادا.

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) نفس المصدر ، حوادث سنة ٦١٢ هـ .

الباب الثاني

الحيـاة السـياسـية
فى سـلطنة دهلى الاسـلامية
منذ قيـامها حتى الغـزو التيمـورى

١ ـ سلطنة دهلى الاسلامية فى عهد الملوك المماليك .

٢ ـ السياسة الداخلية لسلطنة دهلى الاسلامية فى العهد الخلجى .

٣ ـ الاحداث الداخلية فى سلطنة دهلى الاسلامية فى عهد بنى تغلق .

٤ ـ ضعف سلطنة دهلى الاسلامية وتدهورها .

٥ ـ الامارات المستقلة فى الهند عن دهلى .

١ ـ سلطنة دهلى الاسلامية فى عهد الملوك المماليك

شهد العالم الاسلامى فى تاريخه حكاما من الترك كانوا أرقاء عند سادتهم السلاطين واشتغلوا بالجندية ، وتدرجوا فى سلكها حتى بلغوا مناصب رئيسية ، وقد يحدث فى حالة وفاة السلطان وتركه ذرية ضعافا ، أو عدم وجود وارث يخلفه أن يقوم هذا التركى ـ الذى كان عبدا للسلطان المتوفى ـ بانتزاع السلطنة لنفسه ، فسبكتكين كان مملوكا لألبتكين ، ولما توفى سيده دون أن يترك من يرثه مكن سبكتكين لنفسه ، وانفرد بحكم دولة سيده ، ووضع أساس امبراطورية الغزنويين فى جنوب غرب آسيا ، وظل أعقابه يتوارثون حكم الدولة الغزنوية حوالى قرنين من الزمان ، وعماد الدين زنكى أقام دولة فى الموصل على أنقاض دولة سادته السلاجقة، وقد كان أتابكا لهم (١) والمماليك في مصر أقاموا دولتهم بعد أن ضعف سادتهم سلاطين بنى أيوب . وهذا ما حدث بالنسبة لموضوع بحثنا ، اذ أقام المماليك دولة فى الهند بعد أن زالت دولة الغور ، وظلت تحكم أربعا وثمانين عاما (١٢٠٦ ـ ١٢٩٠) ويذكر لين بول (٢) فى هذا الصدد أن الجندى الكفء من أرقاء الترك كان يستطيع أن يصل الى أعلى الدرجات وارفعها بما فى ذلك منصب السلطنة . اما عامة الناس من الزراع والصناع والتجار ، فكانت أوضاعهم مجمدة لا تتغير ولا تتبدل ، ويتعاقب عليهم الحكام من مختلف الاجناس ، ويقفون منهم موقف المتفرج ، وما عليهم الا الطاعة والولاء للحاكم سواء كان ايرانيا أو هنديا راجبوتيا (٣) . أو تركيا أو افغانيا أو مغوليا ، ويسيرون حيث تسير بهم الحياة ، كيفما أراد حكامهم الذين يهبونهم الحياة ، أو ينتزعون حقوقهم فيها .

وسلاطين امبراطورية المماليك فى الهند كانوا أرقاء من اجناس

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : دولة أتابكة الموصل والجزيرة ، ص ١٦١ .

(٢) Medieval India. p. 61.

(٣) ينتمى الأمراء الراجبوتيون إلى جحافل الآريين الذين هاجروا إلى الهند قبل قبائل الهون البيض ، وقد لعبوا دورا كبيرا فى تطور الحياة السياسية فى بلاد الهند ، واشتهروا بالبطولة والفروسية ، لذلك نسبت الأساطير الهندية نشأتهم إلى تزاوج الشمس بالقمر . وظل الأمراء الراجبوتيون يسيطرون على شمال الهند حتى أضعفهم الغور . فلجأوا إلى صحراء الثار ، وعاشوا فيها ، وعرفت بعد ذلك باسمهم .
(Prasad : Medieval India pp. 30-31).

مختلفة ، وصلوا الى ما وصلوا اليه بفضـــل ما اتصفوا به من شجاعة وبســالة وكفاءة ، وكان شأنهم شـأن مماليك مصر يحرصون على تخليد أسمائهم باقامة المنشآت الكبيرة مثل المساجد الفخمة والعمائر الرائعة .

وقطب الدين أبيك ــ أول ســلاطين المماليك في الهند ــ كان مملوكا عند سيده شهاب الدين ــ سـلطان دولة الغــور الافغانية ــ (٥٩٩ هـ ــ ٦٠٢ هـ) وهو تركستانى الاصل ، اشتراه قاض نيسابور ، وادبه وأحسن تأديبه ، وعلمه علوم الدين وأساليب الفروســية ، ولما توفى هذا القاض ، حمله احد تجار الرقيق الى غزته حيث اشتراه شــهاب الدين الغورى ، ولمس فيه الشجاعة والذكاء وحسن الخلق ، وعهد اليه بالعمل في الجيش كجندى ، وتجلت شجاعته وبراعته الحربية في معركة تارين سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٥ م وهى المعركة التى كانت بين سلطان الغور من ناحية ، والامراء الراجيوتيين من ناحية أخرى ــ وكافأ شهاب الدين مملوكه بأن جعله نائبا له على ممتلكات الغور في الهند ، فأقام في دلهى وجعلها قاعدة لحكمه في بلاد الهند بدلا من لاهور (١) .

لم يأل قطب الدين أيبك جهدا في سبيل المحافظة على دولة الغور فيبلاد الهند بل عمل على ضم المزيد من أراضي الهند الى دولة الغور ، ففى سنة ٥٩٣ هـ / ١٢٠٠ استولى ايبك على كواليار ونهرو اله ، وضم كالنجار الى حوزته (٢) ، وكذلك امتلك بلاد البنغال وأوقف كل محاولة بذلها الهنادكة لتحرير بلادهم من قبضة الغور (٣) .

وبقى أيبك على ولائه لدولة الغور حتى في أشد حالات ضعفها ، فلما ولى غياث الدين محمود سلطنة الغور سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ ام لم يكن هناك اجماع على توليته ، فخرج عليه بعض مماليكه ، وعملوا علىالاستئثار بالسلطة والنفوذ دونه ، ومن بين هـؤلاء المماليك تاج الدين يلدز الذى سيطر على غزته ، وأقام الخطبة فيها لنفسه ، وخلع طاعة سلطان الغور (٤) ، بينما بقى قطب الدين أيبك يدير المتلكات الاسلامية في الهند باسم سلطان الغور ويقيم الخطبة باسم غياث الدين محمود ، وضبط الامور في الهند وضرب بيد من حديد على المفسدين ، وعارض بشدة الحركات المناهضة للحـكم

(١) Majumdar. An Advanced Hist. of India. p. 273.
(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 152.
(٣) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 273.
(٤) Lane Poole : Medieval India. p. 54.

الغورى (١) ، فأرسل الى يلدز يقبح فعله ، ويأمره باقامة الخطبة للسلطان الغورى ، وهدده بالمسير اليه ومحاربته ، ان لم يعد الى الولاء والطاعة ، ولما لم يستجب تاج الدين يلدز ، قام ايبك بالعمل على ضم غزته الى مملكة الغور ، وطرد يلدز منها (٢) .

على ان يلدز لم يركن الى الهزيمة بل انتهز فرصة سقوط الدولة الغورية على ايدى الخوارزميين ، وسيطر على غزته وحكمها باسم علاء الدين محمد خوارزمشاه لكنه لم يلبث ان غادر غزته خوفا من ان يبطش به السلطان الخوارزمى الذى شك في اخلاصه (٣) ، وتوجه الى البنجاب ، وانتزعها من نائب قطب الدين أيبك ، فسار أيبك اليه ، ومازال يطارده حتى غادر الهند . وبذلك انفرد أيبك بحكم الاقليم الاسلامى في الهند ، واعلن نفسه سلطانا في لاهور ، واقيمت الخطبة له في بلاد الهند الاسلامية ، ونقش اسمه على السكة ، واتخذ من دلهى قاعدة لدولته .

على أن قطب الدين أيبك لم يلبث أن عفا عن تاج الدين يلدز كما أحسن الى غيره من مماليك شهاب الدين مثل التمش وقباجة وارتبط بهم بعلاقات مصاهرة ، فزوج أخته الى قباجة ، وابنته الى التمش ، وتزوج من أخت تاج الدين يلدز ، وكفل بسياسته هذه ضمان تأييد هؤلاء القادة لحكمه ، وعدم التصدى له (٤) .

ويعتبر قطب الدين أيبك أول سلطان مسلم استقل بحكم دولة المسلمين في الهند (٥) وتمكن هذا السلطان بفضل قوته وشجاعته وكفاءته الادارية من بسط سيطرته على شمال الهند مدى العشرين عاما التى حكمها (٦) ، وضبط الامور في دولته ، وسايس الهنادكة أحسن سياسة ، وضرب بيد من حديد على ايدى اللصوص وقطاع الطرق ، وانفق بسخاء على الفقراء والمساكين ، وحكم الناس بالعدل ، وعم السلام ربوع دولته حتى قيل ان الذئب والحمل كانا يشربان من نبع واحد في عهده ، وساوى في

(١) Morel : A Short Hist. of India. p. 152.

(٢) ابن الأثير الكامل ، حوادث سنة ٦٠٣ هـ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 68.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. 131.

(٥) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274.

(٦) A Short Hist. of Hind - Pakistan. Prepared By Pakistan History Boards.

المعاملة بين الهنادكة عظيمهم وحقيرهم ، وهذا أمــر لم يتعودوه قبلا (١) .

وعنى قطب الدين بالعمارة ، ومن أبرز ما خلف مسجده المشــهور الذى بدأ تشـييده سنة ١١٩١ م ، واكمله التمش سنة ١٢٣٠ م (٢) ولاتزال منارة هذا المسجد باقية الى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، ويبلغ ارتفاعها ٢٥٠ قدما (٣) ، وعلى واجهة أحد أبواب المسجد كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « بسم الله الرحمن الرحيم والله يدعــو الى دار الســلام .. » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر ... » وبجانب المسجد أسس مدرسة كبيرة . أما المنارة فكانت مكونة من سبع طبقات ، لكن الموجود منها الآن خمسة فقط ، اسس أيبك الطبقة الأولى ، وأقام التمش الطبقتين الثانية والثالثة ، واتم خلفاؤه الباقى ، وفي كل طابق نقش على جدرانه آيات قرآنية ، وبعض المراسم السلطانية .

توفى قطب الدين أيبك سنة ١٢١٠ م ، وخلفه في الحكم ابنه آرام شاه وكان شابا صغيرا لا يســتطيع القيام بعبء الملك (٤) ، لذا عجز عن ادارة شؤون الدولة ، فاستدعى رجال الدولة ألتمش (٥) — وكان يلى حكم أحد الاقاليــم الهنــدية ، وذكرنا ســابقا انــه كان من مماليك شــهاب الدين الغورى ، وزوجا لابنه قطب الدين أيبك — وطلبوا منه أن يلى السلطنة (٦) ، فقدم الى دهلى ، وطرد آرام شاه منها ، وتربع على عرش السلطنة سنة ١٢١١ م (٧).

يعتبر شمس الدين التمش المؤسس الحقيقى لدولة المماليك في الهند، وأصله مملوك ابتاعه قطب الدين أيبك من غزته وحمله معه الى الهند، ولمس فيه نبل الاخلاق والفضيلة والذكاء والشجاعة ، فجعله رئيسا لحرسه ،ثم أسند اليه حكم بعض ولايات الهند ، وكما كان ايبك لشهاب الدين الغورى ، فقد كان التمش لأيبك (٨) .

---

(١) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274.
(٢) Lane Poole : Medieval India. p. 68.
(٣) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48.
(٤) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48.
(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 181.
(٦) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274.
(٧) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 133.
(٨) Lane Poole : Medieval India. p. 70.

بعد ان ولى شمس الدين التمش سلطنة دهلى ، تعرض لمشاكل داخلية تستهدف التخلص منه (١) ، ذلك أن بعض كبار رجال الدولة طمع في الوصول الى الحكم منتهزين فرصة الفوضي التى اعقبت وفاة ايبك ، فاستولى قباجة على الملتان والسند ، وتنازع مع تاج الدين يلدز حول السيادة على لاهور كما أن خلفاء بختيار الخلجى سيطروا على بهار والبنغال (٢) . يضاف الى ذلك ان قواد قطب الدين أيبك لم يرضوا عن تولية ألتمش السلطنة ، وانتهز الامراء الهنادكة فرصة هذه الاضطرابات والقلاقل ، وانشغال السلطان في قمعها وتحركوا لنيل استقلالهم (٣) .

لم يقف شمس الدين التمش مكتوف اليدين ازاء موقف قواد قطب الدين أيبك الترك المناهض له ولحكمه ، والذين لم يرضوا أن ينصب عليهم سلطان هو في الواقع مملوك لملوك (٤) . بل عول على اخضاعهم ، واشتبك معهم في معركة بالقرب من دلهى هزمهم فيها شر هزيمة ، واجبرهم على الدخول في طاعته (٥) وكان من أقوى الرجال الذين تصدوا لحكم ألتمش ، تاج الدين يلدز الذى سيطر على غزته بعد انهيار دولة الغور وبسط نفوذه على البلاد المجاورة لغزته حتى اقترب من خوارزم وشن حملات ناجحة على أطراف الهند . ، وعلى الرغم من أنه أقام الخطبة للسلطان الخوارزمى في غزته ، الا ان هذا السلطان لم يطمئن الى ولاء يلدز له ، وسار الى غزته سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م لانتزاعها من يلدز ، وطرد الاتراك منها (٦) ، فولى يلدز الادبار الى بلاد الهند ، والتقى بناصر الدين قباجة – والى لاهور والملتان وديبل ، وغيرها من قبل التمش – في معركة عنيفة هزم فيها قباجة، واستولى على لاهور ، ثم زحف الى مدينة دلهى لانتزاعها من التمش فتصدى له السلطان الهندى في معركة عنيفة على الطريق الى دلهى ، وهزمه وقتله في تارين سنة ١٢١٦ م . (٧)

لم يكد يستقر الامر لألتمش حتى تعرض لخطر جديد من قبل المغول الذين دأبوا يشنون حملاتهم العنيفة على الدولة الخوارزمية ، واستولوا

---

(١) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 49.
(٢) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p.134.
(٣) K. Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 49.
(٤) الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .
(٥) Majumdar : An Advanced Hist. of India p. 275.
(٦) A Short Hist. of India. p. 134.
(٧) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan pp. 49-50.

على أقاليمها ، والحقوا ببلدانها الخراب والدمـــار . ولما توفي السـلطان الخوارزمى علاء الدين محمد خلفه ابنه جلال الدين منكبرتى ، وعول على استرداد ملك آبائه وأجداده من براثن المغول المعتدين ، فصار الى خوارزم، لكنه علم ان المغول قد استولوا عليها (١) . لذلك اتجه الى خراسان ، وتنقل بين بعض مدنها . ولم يلبث ان غادرها حتى لا يصطدم بالقوات المغولية المرابطة فى خراسان فى وقت لم يكن هو فيه على أهبة الاستعداد لمهاجمة عدوه ، فولى وجهه شطر غزته ــ وكان يحكمها من قبل أبيه قبل أن يحتلها المغول ــ ورحب أهل غزته بمقدمه ورأوا فيه خير منقذ لهم من ويلات المغول وغيرهم ، والتفوا حوله ولما سمع الجند الخوارزمى المبعثر بين كابل وبشاور وغـيرها من المدن الواقعة على حدود الهند بمقدمه ، سارعوا اليه ودخلوا تحت لوائه، وبذلك كثر جمعه ، وأصبح جيشه يضم ستين ألفا من المشاة ، وسبعين الفا من الخيالة (٢) ، وواتته الفرصة للعمل على تحقيق هدفه الرامى الى استعادة دولة ابيه التى انتزعها المغول (٣) ، فسار على رأس جيشه الى السهول المحيطة ببروان Parwan في الشـمال الشرقى من غزتة ، واشتبك مع المغول في قتال استمر ثلاثة ايام ، احرز فيه على اعدائه انتصارا رائعا وقتل المسلمون من المغول كثيرين وشجع انتصار جلال الدين ، البـلاد الاسلامية على الوقوف في وجه المغول ، فثار اهل هراه على والى المغول وقتلوه، واعلنوا ولاءهم لجلال الدين منكبرتى (٤) .

لما علم جنكيزخان بانتصـارات السـلطان الخوارزمى على جنده ، وانضمام البلدان الاسلامية اليه ، أعد جيشا كبيرا للقضاء على جلال الدين منكبرتى وجنده ، وسار على رأس جيشه الى كابل (٥) . والتقى جند المغول بالجيش الخوارزمى في معركة ضاربة ، دارت فيها الدائرة على المغول للمرة الثانية ، وغنم المسلمون مامعهم ، وفكوا أسر الاسرى المسلمين ، لكن الامور ما لبثت أن تحولت الى صالح المغول رغم هزيمتهم ، ذلك ان خلافا حدث بين بعض قادة جلال الدين منكبرتى ، فارق على أثره القائد التركى بفراق جيش السلطان الخوارزمى واتجه الى الهند ، وتبعه من الجند ثلاثون ألفا كل يريدونه ، وحاول منكبرتى ان يثنيه عن عزمه ، والح عليه ، بل بكى بين يديه ، وخوفه من الله اذا تقاعس عن الجهاد في سبيله ، لكن هذه المحاولة

---

(١) براون : تاريخ الأدب الفارسى ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ .
(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
(٣) Cambridge History of Iran. Nol. 5. p. 318.
(٤) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India p. 276.
(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 135.

لم تجد مع القائد التركى فتيلا ، فقــد أصر على الانســحاب الامر الذى اضعف الجيش الخوارزمى ، وأصبح عاجزا عن الوقوف في وجه المغول(١) .

كل ذلك حدث بينما جنكيزخان يتجه بجحافله الى الناحية التى يعسكر فيها جلال الدين وجنده ، لذلك لم ير السلطان الخوارزمى بدا من الانسحاب والمسير الى الهند ، ولما بلغ السند ، لم يجد من السفن ما يكفى لعبوره هو وقواتــه . وفي غضــون ذلك ادركه جيش المغول ، ودار قتــال عنيف بين الفريقين ابلى فيه المسلمون بلاء حسنا فلما رأى المسلمون عدم استطاعتهم قتال المغول لقلة عددهم ، ونقصان عتادهم ، دبروا امر العبور الى الهند ، بينما عاد المغول الى غزنة وامتلكوها ، وأبدى جلال الدين من ضروب الشــجاعة والبسالة مالا مزيد عليه في العبــور (٢) حتى انه بلغ الشاطىء الشرقى سالما ومعه اربعة آلاف جندى كانوا حفاة عراة (٣) .

على ان جلال الدين منكبرتى لم يجد استجابة وقبولا من دولة المماليك في الهند فقد توجس التمش ورجال دولته خيفة من الخوارزميين . لذلك اصطدم جلال الدين بجند التمش في السنوات الثلاث التى قضاها في الهند، وبدأ هذا الصدام مع قباجة ــ حاكم السند الذى حاول منعه من الاقامة في السند خوفا من ان يتعقبه المغول ، ويطيحون به وبولايته (٤) ، لكن جلال الدين أوقع به الهزيمة ، واحبط محاولته ، ولما علم جلال الدين أن المغــول يعتزمون القدوم الى الهند لدحره والقضاء عليه سار الى دلهى ، وارسل الى التمش يطلب منه ان يمنحه هو وجنده حق الاقامة في دلهى ، لكن السلطان المملوكى اعتذر اليه بحجة ان حرارة الجو في دلهى لا تناسب الخوارزميين ذلك أن سلطان دهلى خشي أن ينضم الجند الترك في دولته الى ســلطان الخوارزميين ، وطلب منه الانسحاب من دولته ، وحدثت معركة بين الجيش الخوارزمى وجيش التمش بالقرب من دلهى ، وانسحب على أثرها جلال الدين الى لاهور ، وكثر جمع جلال الدين بما وفد اليه من جند اخيه غياث الدين ــ حاكم العراق ــ كذلك انضمت اليه قبائل الكهكرية الناقمين على قباجة ــ حاكم السند ــ فازدادت قوته ، وانتزع من والى الســند بعض البلدان (٥) .

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 182.

(٢) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276.

(٣) Cambridge Hist. of Iran. vol. 5. pp. 322-323.

(٤) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٥٠ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 182.

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند اتخاذها مستقرا ومقاما ، لكنه كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته، ثم يستأنف الحرب ضدهم . وواتته الفرصة لشن الحرب من جديد على المغول ، فقد توفى جنكيزخان ، وعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التى تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى مواطنها الاصلية فعبر نهر السند (١) سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وقصد ايران ، وظل يقاتل المغول حتى ضعفت ووهنت قوته وفر من أمامهم ، وظلوا يتعقبونه حتى قتل في كردستان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م (٢) .

لما غادر جلال الدين منكبرتى الهند أمن السلطان التمش على دولته من الخطر الخوارزمى ، وما قد يسفر عنه من هجوم المغول على بلاده ، لكنه لم يكد يتنفس الصعداء من جراء هذه الازمة حتى واجه امورا داخلية تمس وحدة دولته ومن أبرز هذه الامور خروج غياث الدين الخلجى ــ والى البنغال من قبله ــ عليه (٣) وأعلن استقلاله عن دلهى ، واقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بألقاب الملوك ، وقوى أمره حتى امتد نفوذه على جاينكر وكمروب وترهوت وجور الى الشرق من دلهى (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجى الاستقلالية عن دولته، وسار على رأس جيش قوى الى البنغال ، ولما رأى الامير الخلجى عدم استطاعته الوقوف في وجه سلطان دلهى أعلن عودته الى الولاء والطاعة له ، وتعهد بدفع الجزية المقررة عليه (٥) ، الا انه لم يكن صادقا في تعهده ، بل كان يزمع انتظار فرصة اخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال ، عاد واعلن الاستقلال وسار الى بهار واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلا (٦) ، اذ سار اليه ناصر محمد شاه ــ والى اوده Oudh من قبل ابيه السلطان التمشي وهاجم البنغال ، واوقع الهزيمة بالخلجى وانصاره ، واعاد سيطرة دلهى على اقليم البنغال (٧) .

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٢٦٠ .

(٢) Lane Poole : Medieval India. p. 74.

(٣) K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan. pp. 55-57.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. pp. 183-184.

(٥) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .

(٦) Munshi : The Struggle for Empire. p. 134.

(٧) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136.

على ان الامور لم تستتب في امبراطورية الهند الاسـلامية بعد عودة البنغال الى سيطرة الحكومة المركزية في دلهى ، ذلك ان قائدا آخر انتقض على سلطان دلهى ، وهو ناصر الدين قباجة ، وكان التمش قد طرده من لاهور بعد ان حاول الاستقلال بها عن دلهى ، فبسط سيطرته على بعض بلدان السند ، لكن جلال الدين منكبرتى اشـتبك معه ، وانتزع منه أوكا والملتان ، ولما انسحب السلطان الخوارزمى من الهند عاد قباجة وسـيطر على هذه البلاد ، وحكمها مستقلا عن سـلطان دلهى ، فصار اليه شمس الدين التمش ، بينما اتجه واليه على لاهور لنجدته وهزمه بالقرب من بهكر Bhakkar ، وظل يتعقبه ، حتى سقط في نهر السند وغرق وهو يحاول عبوره فرارا من خصمه (١) .

وبذلك قضي السلطان التمش على خصومه ومنافسيه ، واكتسب حكمه الصفة الشرعية حينما ارسل اليه الخليفة العباسي المستنصر بالله تقليدا بحكم دولة الاسلام في الهنـد سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (٢) ، ولقبه « ناصر امير المؤمنين ، حامى الايمان » وقدم السلطان الخليفة في الخطبـة والسكة على نفسه ، وابرز كذلك الالقاب التى منحها له الخليفة على العملة الفضية العريضة التى سـكها (٣) . ومما لاشك فيه ان اعتراف الخليفة بسلطان دلهى اكسبه محبة وتقديرا واحترام رعاياه المسلمين .

وكان لتأييد الخليفة للسلطان التمش أثر كبير في تقوية دولته فخرج يقضي على ما تبقى من خصومه ، ولم يكن هؤلاء الخصوم قادة من الترك ، بل كانوا بعض راجات الهند الذين انتهزوا فرصة انشغال السلطان بمشاكله الداخلية ، واسـتطاعوا الاستقلال ببلدانهم (٤) ، فسـار اليهم التمش ، واستعاد رانثمار وكذلك استرد ماندوار Mandawor في جبال السوالك وفي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م هاجم جواليار Guwalior وحاصر قلعتها شهرا حتى سيطر عليها ، ثم سار الى ملاوى واستردها كذلك ، واستولى على بهلسا Bhilsa وآجان Ajjan وعاد الى الاشتباك مع الخلجيين الذين حاولوا من جديد الاستقلال بالبنغال وتقوية نفوذهم فيها خصوصا

---

(١) K. Ali A New Hisi. of Indo-Pakistan. p. 57.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 134.

(٣) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276.

(٤) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 135.

بعد وفاة ناصر الدين محمد شـاه ـ والى البنغال من قبل ابيـه سـلطان دلهى ـ (١) .»

توفى التمش سنة ٦٣٣ هـ/١٢٣٥ م بعد ان وطد نفوذه وسلطانه فى دولة المماليك في الهند ، وخاض في سبيل ذلك حروبا كثيرة ـ كما ذكرنا ـ ضد خصومه الذين حاولوا انتزاع بعض بلدان دولته ولذلك يمكن القول بأن التمش هو المؤسس الحقيقى لسلطنة دلهى المملوكية (٢) .

ولم تمنع الغزوات المتكررة التى خاضها التمش ضد اعدائه لم تمنعه من اصلاح احوال بلاده ، فأعاد تنظيم الجهاز الادارى وهو من هذه الزاوية يعتبر رجل دولة من الطراز الاول ، وقد كان الجهاز الادارى من قبله ينقصه التنظيم . وحدد لكل ادارة او مصلحة اختصاصها ، رسم لها الخطة التى تسير عليها (٣)، وبذلك سارت الاعمال الحكومية في عهده بدقة . كذلك حرص السلطان التمش على اقرار العدالة في بلاده ، ورفع الظلم عن رعاياه، وباشر بنفسه أمر اقرار العدل ودفع الظلم (٤) . ولتحقيق ذلك امر كلّ صاحب مظلمه بلبس ثـوب مصبوغ ، يميزه عن لباس أهل الهند الابيض ، فكان متى جلس للناس او ركب ، ورأى أحدا يرتدى ثوبا مصبوغا ، استدعاه اليه ، ونظر في شكواه ، ورفع عنه مظلمته ، ولكى يتيح الفرصة لاصحاب المظالم برفع شكاواهم اليه اثناء وجوده في داخل قصره ، أقام على بـاب قصره تمثالين لاسدين موضوعين على برجين ، وفي اعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير ، يدقه المتظلم ، وحينئذ يسمح السلطان بمثوله بين يديه ، ويستمع اليه وينظر في امره (٥) .

وعنى التمش بتشـجيع العلوم والآداب وانفق اموالا كثيرة في كتابة نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون في متناول الناس لقراءتها والاستفادة منها ، واسس العديد من المدارس وزين بلاطه بالشعراء والعلماء ، وجعل عاصمته مركزا هاما للعلوم والآداب ، كذلك أولى الفن المعمارى عناية كبيرة فأتم بناء مسجد قطب الدين في دلهى ، وشيد مسجدا آخر في آجمير . (٦)

---

(١) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 52.
(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 160.
(٣) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136.
(٤) Munshi : The Struggle for Empire. p. 18.
(٥) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53.
(٦) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53.

بوفاة التمش يكون قد بقى من عمر سلطنة المماليك في دهلى ثلاثين سنة، أثقلت المشاكل كاهلها في خلالها حتى عصفت في النهاية بذلك الصرح الضخم الذى بذل التمش جهودا كبيرة في سبيل تشييده . ومن الامور التى اضعفت هذه الدولة عجز السلاطين الذين خلفوا التمش عن ادارة شؤون الدولة ، والمنازعات الشديدة التى قامت بين كبار رجال الدولة حول الاستئثار بالسلطة .

وتفصيل ذلك ان التمش عهد الى ابنته رضية بالحكم من بعده ، ذلك ان ابنه الاكبر ناصر الدين محمد توفى في البنغال ، وحاول التمش تدريب ابنته رضية على ادارة شؤون الدولة ، وعهد اليها بمباشرة سلطاته أثناء غيابه عن دهلى تمهيدا لتوليتها السلطنة من بعده . على أن كبار رجال الدولة اعترضوا على تولية رضية الحكم بعد وفاة والدها ، ودبروا أمر خلعها ، واستدعوا أخاها فيروز من لاهور ، وطلبوا منه ان يتولى سلطنة دلهى بدلا من اخته ، فسار فيروز الى دلهى ، ومكنه رجال الدولةمن تولى الحكم بعد ان عزلوا اخته رضية . على ان هذا السلطان الجديد لم يستطع ادارة امور الدولة بحكمة وكفاءة ، بل انصرف الى اللهو والعبث ، وترك مقاليد الامور في يد أمه شاه تركان ، وهى امراة حقودة وضيعة النشأة ، وسارت سيرة سيئة في الحكم لذلك حدثت في الدولة الكثير من القلاقل والثورات والفتن ، وعول حكام الملتان ولاهور وهانسي وبداون Budaun واوده على انهاء هذا الحكم الفاسد وتحركوا الى دهلى فعلا (١) ، ففر فيروز من دهلى ، وتبعه جنده ، والتقى بالخارجين عليه بالقرب من العاصمة لكنه لم يستطع الاشتباك معهم في قتال ، ذلك ان جنده انفضوا من حوله ، وعادوا الى دلهى ، واعلنوا خلع فيروز ، وتولية رضية ، وقبض على فيروز وزج في السجن (٢) .

على أن هذا الحل لم يرض أمراء الولايات المتجهين الى دلهى اذ كانوا يعتزمون تولية احد الامراء الحكم ، وحاصروا دلهى فعلا وقطعوا عنها سبل

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 187.

(٢) Lane Poole : Medieval India P. 73.

الاتصال ـ بالولايات التابعة لها ، لكن السلطانة رضية اظهرت مقدرة وكفاءة في سحق هؤلاء المناوئين (١) لها . فعلى الرغم من انها كانت في قلة من الجند، فانها استطاعت اضعاف أعدائها الامراء المحاصرين للعاصمة ، وذلك ببذر بذور الشقاق بينهم ، عندئذ واتتها الفرصة للتخلص من اعدائها وهزيمتهم، وردهم على اعقابهم خاسرين ، واصبحت سلطانة الامبراطورية بلا منازع ، وعاد الامن والهدوء الى ربوع دولتها (٢) .

وحرصت رضية على ان تبلغ مبلغ الرجال في اعمالها وتصرفاتها ، حتى تضفى على نفسها الرهبة امام الناس ، فتزيت بزى الرجال ، وقادت الجيوش بنفسها ضد اعدائها ، وشاهدها الناس وهى تركب الفيل على رأس جيشها ، الا انها اغضبت أمراء الدولة الترك الذى رفع التمش من شأنهم ، وقربهم اليه ، وأسند اليهم الامور الهامة في الدولة (٣) ، وأبعدتهم عن التدخل في شؤون الحكم ، لانها كانت تدرك مقدار معارضتهم لحكمها ، وسوء نواياهم نحوها (٤) .

كذلك أثارت رضية المعارضة ضدها حينما رفعت من شأن رجل حبشي يعمل أميرا للخيل في بلاطها يسمى جلال الدين ياقوت (٥) ، وأسندت اليه قيادة الجيش ، بل همت به ، وهم بها ، وتزوجت منه فدبر الامراء الترك مؤامرة للتخلص منها ، او على الاقل تقليص نفوذها ، وقادها ايتيكين Aitigin ـ أمير حاجب ـ لكن رضية أحبطت المؤامرة ، ولم تنته متاعب رضية عند هذا الحد ، اذ أعلن حاكم البنجاب الثورة ، فسحقت رضية تمرده (٦) . أما اختيار الدين التونيا Altunia ـ حاكم بها تندا ـ فقد رفع هو الآخر رايه العصيان ، وقادت رضية جيشا لمحاربته ، لكنه هزمها وأسرها (٧) ، وقتل ياقوت ، وبينما هى بعيدة عن العاصمة ، اذا بالامراء الترك في دلهى يعلنون عزلها ، ويولون بدلا منها معز الدين بهرام ابن التمش .

---

(١) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 277.
(٢) Lane Poole : Medieval India. pp. 74-75.
(٣) Munshi : The Struggle for Empire. pp. 187-188.
(٤) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 55.
(٥) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 279.
(٦) Munshi : The Struggle for Empire. p. 188.
(٧) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136.

لما ولى بهرام شاه سلطنة دلهى لم يستطع الانفراد بالحكم لضعفه بل اضطر الى الخضوع للامراء الترك ، والسير وفق أهوائهم وأسند أمر الملك كله الى واحد منهم هو وزيره اختيار الدين ايتيكين الذى قبض على زمام الامور في الدولة دون السلطان ولم يلبث ان غضب السلطان من وزيره الذى جعله اسما فقط ، فدبر السلطان مؤامرة لاغتياله ، وأدى نجاحها الى استرداد سلطانه (١) .

لكن بهرام شاه لم يستمتع بالانفراد بالحكم طويلا ، ذلك ان بدر الدين سنقر ـ امير حاجب ـ سيطر على امور الدولة ، كذلك تعرض السلطان لمؤامرة اخرى تستهدف خلعه ، فقد انتهز التونيا ـ حاكم بها تندا ـ فرصة مقتل ايتيكين ، وعول على المسير الى دهلى ، والتربع على عرش السلطنة، ولتحقيق ذلك أفرج عن اسيرته ـ رضية ـ وتزوج منها ، ورأى ان ذلك يعطيه الحق في تحقيق اطماعه الرامية الى الاستحواذ على السلطنة ، وتقدم الاثنان الى دلهى ، لكن القبائل الكهكرية هاجمت جيوش التونياوشتتت شملهم ، وعثروا على رضية تستظل بظل شجرة ،واغتالوها . (٢) وبذلك فشلت هذه المؤمرة . على ان رضية كانت سلطانة عادلة على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة ، شجعت العلوم والاداب (٣) ، وكانت تتجول في الاسواق في زى الرجال ، وتجلس الى الناس ، وتستمع الى شكاواهم ، ومما يجدر ذكره أن رضية عاصرت شجرة الدر ـ ملكة مصر الشجاعة التى قامت بدور كبير في صد لويس التاسع ـ ملك فرنسا ـ عن مصر في الحملة الصليبية السابعة ،وكان زوجها الملك الصالح ايوب قد توفى اثناء معركة المنصورة ، فقبضت شجرة الدر على زمام الامور في مصر حتى قدم ثوران شاه بن الملك الصالح، وخلف أباه في الملك .

لم تستتب الامور في دهلى باحباط مؤامرة أمير بهاتندا ، ورضية ، ذلك ان أمير حاجب ظل قابضا على زمام الامور في الدولة وبينما تسير الدولة في طريق الاضطراب واجهت خطرا آخر ليس من الداخل ، ولكن من الخارج، ذلك هو خطر المغول الذين هاجموا لاهور سنة ١٢٤١ م ، فقاد أمير حاجب

---

(١) K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan p. 55.

(٢) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139.

(٣) Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279.

جيشا الى لاهور لوقف تقدم المغول (١) ، غير انه لم يلبث ان توجس خيفة من السلطان اذ رأى ان ابتعاده عن العاصمة سيؤدى الى تآمر السلطان وحاشيته ورجاله ضده ، وعزله عن منصبه ، ومنعه من دخول دهلى ، وانضم اليه الجيش في اعلان التمرد والعصيان على السلطان ، فأرسل اليه بهرام شاه رسولا من رجال الدين ليحثه هو والجند على ترك الفتنة والمضي قدما في طريق الجهاد في سبيل الله ، لكن الشيخ الرسول لم يقم بالواجب الذى كلفه به السلطان ، بل انضم الى الثوار ، وعادوا جميعا الى دلهى ، وتركوا المغول يهاجمون لاهور (٢) .

اعد السلطان العدة للدفاع عن عاصمة ملكه ، لكن رجال امير حاجب داخل دهلى ساعدوا المهاجمين على الاستيلاء على العاصمة ، وقبضوا على بهرام شاه سنة ١٢٤٢ م ، وولوا بدلا منه علاء الدين مسعود ــ حفيد التمش ــ وكان عمره لا يتجاوز السادسة عشرة (٣) .

لم يكن علاء الدين مسعود أسعد حظا من سابقه ، فقد فوض أمور دولته الى قطب الدين حسين ، وجعله نائبا ووزيرا له ، لكنه استبد بالسلطنة دونه ، وأسند الوظائف الادارية الهامة في الدولة الى اعوانه وانصاره ، وتآمر السلطان على وزيره وقتله ، وعهد الى نجم الدين ابو بكر بمنصب نائب السلطان ، وعين بلبن في منصب أمير حاجب (٤) .

واجه بلبن صعابا جسيمة في ضبط امور الدولة ، فقد كثرت الفتن والقلاقل بها ، اذ حاول الامراء الهنادكة الاستقلال عن دهلى وحاول أمراء الولايات كذلك الانفصال عن الحكومة المركزية وحارب بعضهم بعضا ، وتعرضت البلاد كذلك لخطر المغول الزاحف اليها ، وبلغ من ضعف السلطة المركزية ان أمراء الولايات القريبة استنجدوا بالمغول لدحر كل محاولة قد تقوم بها دهلى لاستعادة سيطرتها على ولاياتهم (٥) .

على ان بلبن لم يستطع ان يمضي في تنفيذ سياسته الرامية الى اعادة الهدوء والسكينة الى الدولة بسبب تعرضه لمؤامرة تستهدف اقصاءه عن

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 198.
(٢) IBID
(٣) Munshi : The Struggle For Empire. p. 190.
(٤) Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279.
(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 191.

الحكم ، ذلك ان الهنادكة عولوا على اقصاء العناصر التركية عن ادارة أمور الدولة ، والحلول محلهم ، وقاد هذه الحركة عماد الدين ريحان الذى ولى منصب وكيل الدار ، وافلح في اقصاء بلبن ورجاله الترك عن الحكم (١) . وبذلك حل النفوذ الهندوكى محل النفوذ التركى في سلطنة المماليك بدلهى .

على أن الهنادكة لم يستمتعوا طويلا بادارة شؤون حكومة دهلى ذلك أن الامراء الترك ساءهم اغتصاب الهنادكة بقيادة ريحان السلطة في دهلى، وعقدوا العزم على اعادة بلبن ، وانضم اليه الكثيرون من حكام الولايات الترك ، وطلبوا من السلطان اعادة بلبن (٢) . ، وعزل ريحان ، ولما لم يستجب السلطان لرغبتهم تعاضدوا وتحالفوا على تنفيذ رغبتهم بالقوة ، فخرج السلطان من عاصمته دهلى لسحق تمرد الثوار لكن الثائرين هزموا جيش السلطان ودخلوا دلهى ، وأعادوا بلبن الى الوزارة ، وعزل ريحان سنة ١٢٥٤ م ، واحسن اهالى العاصمة الهندية استقباله بعد غياب دام عامين (٣) .

واجه بلبن مشاكل متعددة لاقرار الامور في الدولة ، فالبلاد مضطربة، والثورات متعددة في الامبراطوزية ، وخصوصا قبائل المواتى Mewatis واصبحت البلاد تعيش في فوضي شاملة لذلك كان على بلبن استعادة هيبة ونفوذ حكومة دلهى والقضاء على الفتن في الولايات التابعة لها ، وقد فوض اليه السلطان كل هذه الشؤون بينما انصرف الى مجالسة العلماء والدراويش (٤) .

اثبت بلبن كفاءة ومقدرة في ادارة شؤون الدولة ، واعادة الهدوء اليها ، فقضي على الفتن الداخلية ، واخضع الكهكرية وغيرها من القبائل الثائرة المثيرة للشغب والفوضي ، وزحف الى الدوآب Doab ، واخضع الامراء الهنادكة الثائرين بها ، كما اعاد اودة والسند الى الولاء والطاعة لحكومة دلهى (٥) .

---

(١) IBID. p. 192.
(٢) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. 280.
(٣) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139.
(٤) Munshi : The Struggle for Empire. pp. 192-193.
(٥) K. Ali : A Aew Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

على ان أبرز مواقف هذا الرجل البطولية تجلت في مقاومته لغزو المغول للهند سنة ١٢٤٥ م ، فقد هاجموا السند ، وضيقوا الحصار على حصن اوكا فتصدى لهم بلبن واشتبك معهم في قتال مرير اوقع بهم هزيمة كبيرة وردهم على اعقابهم خاسرين وأمنت بلاد الهند الغربية من خطر المغول ، وعادت سيطرة دهلى على هذه المنطقة (١) .

توفي ناصر الدين محمود بعد حكم دام عشرين عاما ، وكان عادلا كريما زاهدا متدينا ، يرعى العلوم والآداب ، وقد عهد الى ابى عمر عثمان منهاج السراج بشغل وظيفة كبيرة في بلاطه ، ووضع هذا العالم مؤلفا كبيرا أهداه للسلطان ، أسماه « طبقات ناصرى » وكافأه السلطان مكافأة كبيرة على هذا الجهد الكبير ، ومما يجدر ذكره أن ناصر الدين عاش عيشة الزهد ، وكان يقتات من عمل يده ، اذ كان ينسخ المصاحف ويبيعها ، ويغطى بما يرد اليه من هذا العمل نفقاته الخاصة ، كذلك لم يتخذ خدما في بيته ، انما كانت زوجته تباشر الشؤون المنزلية بنفسها بما في ذلك اعداد الطعام (٢) .

ذكرنا أن غياث الدين بلبن ارتفع الى اعلى المناصب في امبراطورية المماليك في عهد ناصر الدين محمود ، ولعب دورا هاما في تاريخ سلطنة دلهى المملوكية حتى أن المؤرخين يذكرون ان تاريخ ناصر الدين محمود هو في حقيقته حلقة من تاريخ بلبن ، ولم يكن لدى السلطان ناصر الدين محمود أبناء ذكور ، وتزوج بلبن من ابنة ناصر الدين محمود ، الامر الذى يسر له امر توليه السلطنة بعد وفاة صهره سنة ١٢٦٦ م وكان قد جاوز الستين من العمر (٣) .

ينتمى بلبن الى قبيلة تركية ، كان أبوه من شيوخها ، ووقع بلبن في أسر المغول ، واشتراه الخواجة جمال الدين في البصرة ، وبيع في دهلى الى التمش (٤). وظهرت شجاعته ومقدرته في سلك الجندية ، فأدخله التمش في جماعة حرسه ، ولما وليت رضية السلطنة ، اسندت اليه منصب امير الصيد (٥) ، وادرك بهرام شاه شجاعته واقدامه ، فولاه بعض الولايات ، فأحسن ادارتها وأعاد اليها الهدوء والاستقرار ، وراجت فيها الزراعة ، وتحسنت الاحوال الاقتصادية ، ثم ولاه ناصر الدين محمود منصب الوزارة

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 193.
(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 193.
(٣) K. Ali : A New Hist. ofIndo-Pakistan. p. 59.
(٤) Morel : A Short Hist. of India.p. 160.
(٥) Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 281.

ونيابة السلطنة (١) ـ كما رأينا ـ .

واجه بلبن بعد توليته السلطنة نفس المشاكل التى واجهها في عهد ناصر الدين محمود ، فالبلاد مضطربة ، والمغول عادوا الى تهديد الحدود، وكان على بلبن أن يؤمن دولته من الاخطار الخارجية والمشاكل الداخلية ، فبدأ بتقوية السلطة المركزية وأعاد الهيبة الى بلاطه وحكومته ، وذلك بأن جعل بلاطه قويا فخما كما كان أيام ملوك الفرس القدامى ، وكان مجلسه يتسم بطابع الجد ، وأعاد تنظيم جيشه وتدريبه على أحسن نظام (٢) . واضعف من شأن القادة المماليك ـ موالى التمش ـ وكانوا لا ينقطعون عن تدبير المؤمرات والدسائس التى تستهدف تقوية نفوذهم في الدولة على حساب السلطان (٣) .

كذلك حرص بلبن على تنظيم ادارة الدولة ، واعادة الامن والنظام الى ربوعها (٤) ، ولتحقيق ذلك أعد جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل اخبار الادارات والمصالح الحكومية ، ويكتبون له تقارير عن سير حكام الولايات وسائر الموظفين ، وهؤلاء الجواسيس يراقبون كل مصالح الدولة بما في ذلك الجيش وبلاط السلطان ، وحتى أبناءه ، وكان هناك جواسيس لمراقبة سير الجواسيس في عملهم ، وكان الجاسوس يتعرض لاشد أنواع العقاب اذا تهاون في عمله أو في تأدية الواجب المكلف به ، ولم يلتزم بالدقة في جمع الاخبار ، او لا يصدق في تبليغها ، وبلغ من حرصه على اقرار العدالة ، ومنع الظلم ان احدا كان لا يجرؤ على ايذاء خدمه ومماليكه (٥) .

بعد ان أعاد بلبن تنظيم ادارة الدولة ، وأعاد الى حكومة دهلى هيبتها ، اتجه الى القضاء على الفتن الداخلية في الدولة ، فضرب بيد من حديد على اهل مواتى ، وكان قد أخضعهم أثناء وزارته ، فلما ولى السلطنة ، قطعوا الطرق ، وسرقوا المسافرين والحقوا بهم الضرر والأذى خصوصا في بهار(٦)،

---

(١) Morel : A Short Hist. of India.p. 161.

(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 161.

(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 194.

(٤) Lane Poole : Medieval India. p. 81.

(٥) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

(٦) A Short Hist. Of Hind-Pakistan. p. 140.

ونهبوا القرى وقتلوا الابرياء واقترب خطرهم وشرهم من العاصمة دلهى فخرج بلبن من دلهى ، وسار على راس جيشه لاخضاعهم وهاجمهم هجوما عنيفا ، ومازال يتعقبهم حتى شتت شملهم (١) ، وامر بتطهير البلاد من الغابات والادغال التى كانوا يحتمون بها ، ومازال يتعقبهم حتى استأصل شأفتهم ، وقتل قائدهم . ورأى ضرورة المحافظة على الأمن والسلام في الدولة ، فأقام الحصون في مختلف البلاد ، يقيم فيها شرطة لحماية الناس من عدوان اللصوص وقطاع الطرق (٢) ، وحول المناطق التى استأصل منها الغابات الى اراض زراعية ، يقيم فيها جند لحراستها من عبث العابثين (٣)، وبذلك استتب الأمن والنظام في الدولة .

كذلك تعرضت سلطنة المماليك في الهند لخطر آخر من جانب الهندوس في الدوآب ذلك أنهم قطعوا الطريق بين دلهى والبنغال فقاومهم حتى ضعفوا ووهنوا ، وقبض عليهم واسرهم (٤) .

وواجه بلبن مشكلة اخرى من جانب المماليك الذين اعترضوا على توليته الحكم وسعوا الى الخلاص منه ، وكان سلطانهم قد قوى في عهد التمش وخلفائه الذين منحوهم الاقطاعات الكبيرة ، فطردهم بلبن من الخدمة العسكرية ، وامعن في عقابهم ، وقتل كثيرا منهم ، وتخلص من هذه الفئة كلية (٥) . وبهذه الجهود أصبح بلبن سلطانا قويا مهابا يرعى جانبه رجال الدولة ، ويخشون بأسه .

لم يكد بلبن ينتهى من مشاكله الداخلية ، حتى واجه خطرا خارجيا جسيما ذلك ان المغول عادوا من جديد الى تهديد الهند بعد أن زحفوا الى بلاد العراق بقيادة هولاكو خان ، واستولوا على بغداد ـ حاضرة بنى العباس ـ وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م (٦) ، واعتزم المغول غزو الهند بعد أن سمعوا عن ثروتها ، فأعد بلبن العدة لصد الاعداء من بلاده ، وبقى في دهلى لا يغادرها وترك لقواده أمر تعقب الخارجين على سلطانه ، حتى لا تتعرض العاصمة لخطر المغول ، ولا تقاسى ما قاسته بغداد

---

(١) K Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 61.

(٢) IBID. P. 62.

(٣) K. Ali : A New Hist. ofIndo-Pakistan. p. 61.

(٤) IBID. P 62

(٥) Lane Poole : Medieval India. p. 84.

(٦) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 281.

من ويلات (١) ، واعاد بناء القلاع التى دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول السابقة واقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالاسلحة والمعدات ، واسند القيادات العسكرية الى رجال اكفاء وعين ابنه الكفء الشجاع محمد حاكما على الملتان ، ووضع ابنه الآخر بفراخان على حراسة سمنه وسنام (٢) .

وكان لخطته الدفاعية اثرها الكبير في درء خطر المغول عن ديار الهند، فحين هاجموها سنة ١٢٧٩ ، تعقبهم محمد وهزمهم ، ودفع خطرهم عن بلاد الهند . (٣) وبذلك سلمت سلطنة المماليك فى الهند من خطر المغول وويلاتهم .

على ان انشغال الحكومة الهندية في الذود عن البلاد ادى الى بروز مشكلة اخرى داخلية ، ذلك أن البنغال بقيادة واليها طغرل عادت الى محاولة الاستقلال عن دلهى ، ولقب واليها طغرل نفسه مغيث الدين ، وأمر باقامة الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة بدلا من بلبن ، فأرسل السلطان جيشا بقيادة أمير خان لاخضاع طغرل ، واعادة البنغال الى الخضوع للحكومة المركزية ، لكن طغرل هزم القائد الهندوكى ، وغضب بلبن من قائده ، وحمله مسؤلية الهزيمة التى لحقت به ، وحكم عليه بالاعدام (٤)، وأرسل جيشا آخر الى البنغال لسحق تمرد طغرل ، لكن هذا الجيش لقى مصير سابقه ، عندئذ لم ير السلطان بلبن بدا من المسير بنفسه الى البنغال لاعادتها الى حوزته ، وصحبه ابنه بفراخان (٥) ، وحينما اقترب السلطان من البنغال اخذ طغرل الجزع والفزع ، وفر هو ورجاله الى الغابات المجاورة شرق البنغال في جاجنكز ، وأرسل السلطان فرقة من الجيش لتعقب المتمردين ، وعثروا عليهم فعلا ، وشاهدوهم يشربون ويلهون والفيلة تتجول بين الاشجار ، والخيول والمواشي تتغذى على النباتات ، فباغتوهم على حين غفلة منهم ، ومازالوا بهم حتى افنوهم عن آخرهم ، وقتلوا زعيمهم طغرل (٦) .

---

(١) Lane Poole : Medieval India. p. 85.
(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 194.
(٣) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 63.
(٤) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 282.
(٥) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 62.
(٦) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 283.

بعد ذلك اتجه السلطان الى لكهاونتى ، وكانت تؤيد طغرل في ثورته ضد دهلى ، فاختفى أغلب أعيانها ، خوفا من بطش السلطان لكن بلبن لم يبرح البلدة الا بعد أن نكل بالثائرين (١) . وبذلك عادت البنغال الى الولاء والطاعة للسلطان بلبن ، ولكى يضمن السلطان بقاء البنغال على الولاء لدهلى، عهد الى ابنه بغراخان بحكم البنغال ، وحكم بغراخان وأعقابه البنغال أكثر من نصف قرن (٢) .

وجدير بالذكر أن البنغال سببت متاعب كثيرة لحكومة دهلى ، فقد حاولت الاستقلال منذ أن حكمها الخلجيون منتهزين فرصة صعوبة المواصلات بين دلهى وبلادهم ، فضلا عن بعد المسافة ، وانتشار الاوبئة فيها (٣) ، وبذل التمش جهودا كبيرة في اخضاع البنغال وحذا طغرل ـ كما رأينا ـ حذو الخلجيين في محاولة الاستقلال عن دلهى منتهزا فرصة انشغال السلطان بلبن في مشاكل الدولة الداخلية والخارجية (٤) .

على ان بلبن واجه كارثة أخرى مروعة ، فقد توفى ابنه محمد وهو يقاتل المغول (٥) ، ولم يحتمل صدمة موت ابنه ، وتوفى بعدها في سنة ١٢٨٧ بعد حكم دام اربعين سنة (٦) .

يعتبر بلبن من أعظم حكام الهند في تاريخها الوسيط ، فقد تغلب على الصعوبات الكبيرة التى واجهته ، اذ وقف في وجه الامراء الهنادكة الذين حاولوا النيل من سلطانه ، وقهر العصاة والمفسدين ، وتمكن من درء خطر المغول عن البلاد (٧) ، وأقر الامن والنظام في ربوع الدولة ، واشتد في معاقبة الخارجين على القانون والعدالة واتخذ لنفسه ـ كما ذكرنا ـ بلاطا مهيبا له مراسم معينة ، ورجالا يرتدون أزياء معينة ،ومظاهر خاصة، واتخذ رجالا أكفاء في ادارة شؤون الدولة على انه لم يستطع توسيع رقعة دولته لانشغاله طوال حكمه بمشاكل الدولة الداخلية والخارجية ، ولم

---

(١) Lane Poole : Medieval India. pp. 87-88.

(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 161.

(٣) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. 154.

(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 141.

(٦) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 65.

(٧) Lane Poole : Medieval India p. 87.

يأل جهدا في سبيل حماية الدين والمحافظة على الشريعة (١) ، واقرار العدالة ، وبنى دارا اسماها دار الامن لرفع المظالم عن رعاياه ، وتخفيف أعباء الحياة عليهم ، وساوى بين رعاياه المسلمين والهنادكة أمام القانون ، واذا كان قد ابعد الهنادكة فترة ما عن مناصب الدولة الرئيسية ، فانه فعل ذلك بعد أن لمس منهم نزعاتهم الاستقلالية في وقت تواجه الدولة فيه خطرا خارجيا .

ولم يأل بلبن جهدا في سبيل رعاية الفنون والآداب ، وحرص على رفع شأن مجتمعه (٢) ، فشجع الناس على التحلى بتعاليم الاسلام وقد كان لعمله هذا اثر كبير على المجتمع الهندى حتى أن المؤرخين يعزون اليه ما يتمتع به الآن المجتمع الهندى من تقاليد رفيعة (٣) .

ومما يجدر ذكره ان هذا السلطان اكرم وفادة الشخصيات الإسلامية الكبيرة التى لجأت الى الهند فرارا من بطش وجور المغول ، وكان من بين هؤلاء فريق من بنى العباس ومن امراء خوارزم وغيرهم . وقد أنزل كل فريق منهم في حى خاص ، سمى باسمه ، مثل محلة عباس ، محلة خوارزمى ، محلة ديلمى ، محلة سنجرى ... الخ .

لما شعر بلبن بدنوأجله عهد الى ابنه بغراخان يتولى الحكم من بعده ، لكن بغراخان رفض ، وآثر البقاء في البنغال ، لذلك عهد السلطان الى كيخسرو بن بغراخان بولاية عهده ، وتولى كيخسرو السلطنة في دلهى سنة ١٢٨٧ (٤) ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين وكان رجلا طموحا استبد بأمور الدولة دون السلطان ، وزين نظام الدين للسلطان الاستمتاع بمباهج الحياة واللهو والعبث ، وأسند المناصب الرئيسية في الدولة الى رجاله المقربين اليه (٥) .

على أن بغراخان ـ حاكم البنغال ـ ساءه ما علم من استبداد نظام الدين بأمور الدولة دون أبنه السلطان ، وعقد معه لقاءا سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله واستعادة نفوذه في الدولة ، لكن الترك لم يمكنوه من ذلك . بل عزلوه وولوا بدلا منه كيقباد ـ أحد أطفاله الصغار ـ على أن الخلجيين لم يمكنوا الترك من الاستبداد بأمور الدولة ، فدخلوا دهلى ، وازالوا عنها حكم المماليك .

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 157-158.
(٢) Prasad : Medieval India pp. 171-172.
(٣) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 284.
(٤) Munshi : The Struggle for Empire p. 158.
(٥) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 144.

٢ ـ السياسة الداخلية لسلطنة

دهلى الاسلامية في العهـد الخلجى

قيام الدولة الخلجية في دهلى : ـ

يرى البعض ان الخلجيين من أصـل تركى ، على حين يرى آخرون أنهم من أصل أفغانى . ويؤكد بارانى أنهم ينسبون الى قلبج خان ـ أحـد أصهار جنكيرخان ، نزل بجبال الغور بعد هزيمة شاه خوارزم ، وحرف اسمه بعد ذلك الى خلج ، وقيل لورثته الخلجيون (١) ، وقد اندمجوا في الحياة الافغانية ، واعتنقوا الاسلام في عهد سلاطين بنى سبكتكين ، وضم الجيش الغزنوى فرقا منهم ساهمت في فتح الهند (٢) .

على أن نشاط الخلجيين اتضح في عهد سلاطين الغور . فحينما ولى قطب الدين أيبك التركمانى اقليم الهند نيابة عن سلطان الغور ، حرص على توسيع رقعة ولايته الجديدة في بلاد الهند ، فأسند هذه المهمة الى قائده محمد بن بختيار الخلجى ، فاستولى على بندنتبورى ـ عاصمة اقليم بهار ـ وكان يحكمها ملوك أسرة بالا ، ولم يلبث أن استولى على مملكة بالا بأسرها ، وكانت الديانة البوذية سائدة بين سكان هذه المملكة ، فحطم القائد الخلجى معابـدهم وأصنامهم ، ونشر الاسـلام بينهم ، وانضمت هذه البـلاد الى امبراطورية الغور (٣) .

وأذن قطب الدين أيبك ـ نائب سلطان الغور في الهند ـ الى القـائد الخلجى بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بن بختيـار الخلجى الى نادية ـ عاصـمة البنغال ـ وعلى الرغم من قلة عدد جنده ، فانـه اقتحم نادية ، وكان يحكمها لكشمن سنا من أسرة سنا ٥٩٥ هـ / ١١٩٦ م ، وفزع الملك الشيخ وجزع ، ورأى أن لاقبل له بالغزاة المسلمين ، فلاذ بالفرار من عاصمة ملكه ، لا يلوى على شيء وقد يسر ذلك للقائد الخلجى أمر الاستيلاء على نادية ـ عاصمة البنغال ـ فضمها الى مملكة الغور ، وأقام الخطبة فيها للسلطان الغورى ، وقد مهد سقوط نادية في أيدى الغور السبيل لهم لضم

---

(١) محمد قاسم هندوشاه : تاريخ فرشته ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties p. 91.

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 54.

اقليم البنغال بأسره لدولتهم (١) ».

لم يكتف محمد بن بختيار الخلجي بما احرزه من انتصارات رائعة ، بل تطلع الى المسير الى التبت للاستيلاء على هذه البلاد ، ففي سنة ٦١٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه في عشرة آلاف فارس الى التبت ، لكن حملته باءت بالفشل الذريع ، وتعرض جنده لاهوال جسام أثناء انسحابهم ، ولقي الكثير منهم حتفه في عودتهم الى ديفكوت ، ولم يلبث هو كذلك أن توفى (٢) .

حرص خلفاء محمد بن بختيار الخلجي على بسط نفوذهم على بعض أقاليم الهند ، فلما قامت دولة المماليك في الهند ، وولى شمس الدين التمش السلطنة في دهلى ، تعرض لمشاكل داخلية تهدف الى اطاحته من الحكم ، وأثار هذه المشاكل رجال الدولة الذين انتهزوا فرصة الفوضي التى أعقبت وفاة قطب الدين أيبك ، وقد مهدت هذه المشاكل للخلجيين أمر السيطرة على بهار والبنغال (٣) .

على ان الملوك المماليك لم يقفوا مكتوفى الايدى ازاء نزعات الخلجيين الاستقلالية ، فلما غادر جلال الدين منكبرتى بلاد الهند ، وزال خطر الخوارزميين عنها ، وبالتالى خطر المغول ، تفرغ السلطان ألتمش لقمع الحركات الاستقلالية في دولته ، ومن ابرزها ومنها استقلال غياث الدين الخلجي في البنغال عن دهلى حيث أقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بألقاب الملوك ، وقوى أمره ، واشتد بأسه وامتد نفوذه على البلاد الواقعة شرقى دهلى (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجى الاستقلالية ، وسار على رأس جيش كبير الى البنغال ولما رأى الامير الخلجى عدم استطاعته التصدى لسلطان دهلى ، أعلن عودته الى الولاء والطاعة ، ونبذ التمرد والعصيان ، وتعهد بالعودة الى دفع الاموال المقررة عليه ، الا انه لم يكن صادقا في تعهده ، بل كان يزمع انتهاز فرصة اخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال أعلن الاستقلال ، وسار الى بهار ، واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلا ، اذ سار اليه ناصر الدين محمد شاه — والى اودة — من قبل السلطان

(١) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 40.
(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.
(٣) IBID. p. 120.
(٤) Munshi, p. 134.

التمش ـ وهاجم البنغال ، واوقع الهزيمة بالخلجى وأنصاره وبذلك عادت البنغال الى حوزة سلطان دهلى (١) .

لكن الامير الخلجى لم يستسلم لانتزاع البنغال منه ، بل عول على استرداد هذا الاقليم ، فلما توفى ناصر الدين محمد شاه ـ والى البنغال من قبل ابيه سلطان دهلى ـ عاد الى البنغال وحكمها (٢) .

ضعفت دولة المماليك بعد وفاة السلطان بلبن وقد عهد بالحكم لابنه بغراخان لكن بغراخان آثر البقاء في البنغال ، وأسندت السلطنة الى كيخسرو ابن بغراخان سنة ١٢٧٨ م ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين ، وكان رجلا طموحا استبد بأمور الدولة دون السلطان ، وزين للسلطان أمر الاستمتاع بما في الحياة الدنيا من مباهج حتى يبعده عن الانشغال بأعباء الحكم ، وأسند المناصب الكبيرة في الدولة الى رجاله المقربين (٣) .

على أن بغراخان ـ حاكم البنغال ـ ساءه استبداد نظام الدين بأمور الدولة دون السلطان ، وعقد معه لقاءا سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله ، واستعادة نفوذه في الدولة ، ومباشرة مسؤولياته بنفسه، ونفذالسلطان مطالب أبيه وتمكن من التخلص من نظام الدين ورجاله ، واسترد نفوذه في الدولة (٤) .

لكن السلطان كيخسرو لم ينفرد بالسلطة طويلا فقد تآمر عليه الترك ، وعزلوه وولوا بدلا منه كيقباد ـ أحد اطفاله الصغار ـ السلطنة حتى يتيسر لهم الاستبداد بالدولة دونه (٥) .

استاء الامراء الخلجيون من استبداد الترك بأمور الدولة ، وعولوا على تغيير نظام الحكم في دهلى ، فساروا اليها بقضهم وقضيضهم بقيادة زعيمهم فيروز وهزموا القواد الاتراك ، وأحدثوا انقلابا في دهلى أطاحوا فيه بالسلطان الطفل ، وأعلنوا فيروز سلطانا ، ولقب جلال الدين ، وكان

---

(١) A Short Hist. of Hind. Pakistan. p. 136.
(٢) Munshi, 157.
(٣) IBID. 158.
(٤) Munshi, p. 158.
(٥) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 91.

وذلك سنة ١٢٩٠ م (١) .

ولم يتقبل أهالى دهلى حكم الخلجيين في بادىء الامر بالرضا والتأييد، لكثرة ما الحقه جندهم ببلدهم من الخراب والدمار ، وارتكابهم حماقات ذهب ضحيتها الكثيرون . على ان السلطان الخلجى الذى كان في السبعين من عمره ــ تمكن بحسن سياسته وعدله ومودته أن يجتذب النـاس الى محبته . وبذلك خضع أهل دهلى للملك الجديد والعهد الجديد ، ووفد الناس على السلطان الشيخ زرافات ووحدانا يبايعونه ويقدمون له فروض الولاء والطاعة (٢) .

سياسة السلاطين الخلجيين في توطيد سلطانهم

لم يأل السلاطين الخلجيون جهدا في سبيل سحق حركات التمرد والعصيان ، ومنع اندلاع الثورات ضدهم والحيلولة دون حدوث الحركات الاستقلالية والانفصالية في الدولة ، وأول هذه الحركات الثورية حدث سنة ١٢٩٠ حينما أعلن جيجو ــ حاكم اقليم كره ــ الثورة ضد الحكم الخلجى وهو ابن أخى بلبن وكان يطمع في استعادة عرش دهلى ، وقوى أمره واشتد بأسه وكثر انصاره ، وانضم اليه الكثير من الامراء والراجات وتعاهدوا وتعاضدوا على الوقوف الى جانبه ضد نظام حكم جلال الدين فيروز شاه ، واعلن جيجو الاستقلال عن دهلى ، بل أعلن نفسه سلطانا ، وتلقب بلقب مغيث الدين ، وضرب العملة باسمه وأمر بذكر اسمه في الخطبة ، واعد جيشـا كبيرا للزحف الى دهلى وامتلاكها ، واسقاط الحكم الخلجى (٣) .

لم يقف السلطان جـلال الدين مكتوف اليـدين ازاء هذه الحركة الخطيرة التى تهدف الى انتزاع الحكم منه ، بل عول على احباطها ، فأستخلف في دهلى ابنه الاكبر ولقبه خان الخانات ركن الدين ، وسار هو على رأس جيش كبير ، يتكون من عشرة آلاف مقاتل وقسمه الى قسمين ، قسم قاده أركالى خان ، والثانى تحت قيادته هو (٤) ، وباغت أركالى الاعداء على حين غفلة منهم ، وهزمهم شر هزيمة . غير أن المتمردين لم يهنوا ولم يضـعفوا بل اعادوا تنظيم صفوفهم ، ودخلوا مع أركالى وجنده في معركة أخرى ،

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 15.

(٢) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289.

(٣) تاريخ فرشته ، ص ٩٠ .

(٤) ضيابارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٨٤ .

ولما علم جيجو باقتراب السلطان ، اسقط في يده ، وترك ميدان القتال ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء ، غير أن أركالى خان اقتفى أثره ، ولجأ جيجو الى قلعة قريبة من ولايته ، واعتصم فيها ، فحاصره أركالى ، وشدد عليه الحصار (١) ، ومنع وصول الاقوات الى القلعة ، حتى استسلم جيجو ، ووقع هو وانصاره أسرى في ايدى جيش دهلى ، أما السلطان فقد سار الى كره ، وطهر في طريقه البلاد من المتمردين وعناصر الشغب ، واستعاد كره ، وسيق الاسرى المتمردين اليه مكبلين بالسلاسل والاغلال . على ان السلطان الرحيم أمر بفك قيدهم ، وأن تكفل لهم وسائل الراحة ، وبدلا من أن يحاكمهم بتهمة الخيانة والغدر ، عفا عنهم ، وتغاضي عن خطاياهم وآثامهم ، وشملهم بعنايته ورعايته وعطفه ، وحذره قواده من هذا التسامح الذى قد لا يؤدى الى وقف حركات التمرد والعصيان ، بل ربما يزيد الثورات اشتعالا في دولته (٢) . ولكن السلطان الشيخ استند في عفوه وصفحه الى روح الاسلام التى تدعو الى تجنب اراقة دم المسلم ، وكان يرى انه فى شيخوخته يجب عليه أن يختتم حياته بالاعمال الطيبة الصالحة . ومهما يكن من أمر فقد أفرج السلطان عن عناصر التمرد والفتنة ، وارسل جيجو الى الملتان في ظل حراسة مشددة (٣) .

ظهرت حركات معارضة اخرى للحكم الخلجى من بينها حركة دبرها أمراء ونبلاء التمش ، وتزعمها تاج الدين كوشي ، وعقدوا عدة اجتماعات وندوات تحدثوا فيها عن مساوىء الحكم الخلجى وعدم جدارته بتولى زمام الامور في الدولة وعدم صلاحية جلال الدين بالذات لعرش سلطنة دهلى ، واتفقوا على العمل على ازاحة الخلجيين عن حكم البلاد ، ونقل زمام الحكم من جلال الدين الى تاج الدين كوشي ، ودبروا مؤامرة لاغتيال السلطان الخلجى . غير أن تفاصيل هذه المؤامرة نمى الى علم السلطان ، فأرسل اليهم يهددهم ويتوعدهم بسيفه ان لم يعودوا الى الولاء والطاعة ، ويقلعوا عن التآمر والتمرد فخشوا مغبة عصيانهم ، وأرسلوا اليه وفدا يعتذر عما بدر منهم ، ويطلب من السلطان العفو والصفح ويعلن عودتهم الى الولاء والطاعة، فعفا السلطان الطيب عنهم . وبذلك احبط جلال الدين هذه المؤامرة بالطرق السلمية (٤) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) Lal : op. cit. p. 20.

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٨٩ .

(٤) Lal. op. cit. p. 22.

وتعرض جلال الدين لمؤامرة اخرى كادت تقضي عليه ، ورأس هـذه المؤامرة سيدى مولى ، وهو درويش من بلاد فارس ، لجأ الى الهند عقب الغزو المغولى لها ،واقام في دهلى ابان حكم بلبن ، وعاش فيها حياة زهـد وتقشف وخشـونة ، يتبسط في طعامه ويلبس الخشن من الثيـاب ومن الغريب انـه يتعفف عن أمـوال الناس ، فلا يقبل ما يعرض عليه من منح وهبات ورغم ذلك كان ينفق عن سعة ، وبنى خانقاة عظيمة ، ووفد عليـه النـاس من كل مكان بعد ان بلغ صيته الآفاق ، وكان يسـتضيفهم ويكرم وفادتهم ، ويدفع هذه النفقات الكبيرة من ماله الخاص ، ودهش الناس وأخذتهم الحيرة لعدم معرفتهم مصدر هذه الامـوال حتى اعتقد بعضهم ان له صلة بالجن او معرفة بالسحر (١) .

كثر اتباع هذا الرجل من الصوفية والفقـراء والمسـاكين والنبـلاء أيضا ، ونظر جلال الدين اليه نظرة شـك وريبة فحضر مجلسـه متنكرا ، وشاهد بنفسه التفاف الناس حوله ، واتضح أن سيدى مولى ليس درويشا ولا متصوفا ، وانما يتخذ من هذا المظهر وسيلة لتحقيق أغراض سياسية فقد كان يكثر من الاتصال بالامراء والنبلاء وقواد بلبن المعارضين لحكم جلال الدين ، وبلغ من ازدياد نفوذه ان خان الخانات ركن الدين بن جلال الدين أصبح من مريديه ، وتدخل الشيخ الدرويش في النزاع الذى حـدث بين ابنى جلال الدين حول ولاية العهد ، وحاول كل منهما تقوية مركزه بضـم الانصار والاعوان له ، ومن ثم ظهر حزبان في دهلى الاول موال لخان الخانات ويضم الشـيخ الدرويش ، والآخـر التف حـول أركالى خان ، ويضـم المناهضين للدرويش وحرص خان الخانات على أن يخاطب الدرويش بالابوة حتى يكتسب الى جانبه انصار الدرويش (٢) .

حرصت الحركات المعارضة للحكم الخلجى على نيل رضا الشـيخ الدرويش حتى أن ابناء امراء العهد البائد تطلعوا الى الشيخ للوقوف الى جانبهم في استعادة نفوذهم ، وخلع السلطان الخلجى (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد دبر هؤلاء المعارضون للحكم الخلجى مؤامرة لاغتيال السلطان جلال الدين وهو ذاهب لصلاة الجمعة في مسـجد دهلى

---

(١) Munshi op. cit. p. 161.

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٩٢ .

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٨٩ .

الكبير ، بعدها يعلنون سيدي مولى خليفة ، ويتزوج من ابنة السلطان ناصر الدين غازى كيانى ، ويحصل على لقب غازى خان ثـم يعين أبناء بلبن فى الوظائف الرئيسية في الدولة ، على أن هذه المؤامرة فشلت فشلا ذريعا ، فقد علم السلطان بأنبائها ومخططها ، وأمر بالقبض على جميع المتآمرين ، واجبروا بالعنف والشدة على الاعتراف بتفاصيل المؤامرة ، وامر السلطان باعدام المتآمرين على حياته ـ وعلى راسهم سيدى مولى . وأمر بنفى وسجن المتآمرين الآخرين ، ولقد كان لمقتل سيدى مولى صدى كبيرا في دهلى ، فقد غضب انصاره ومريدوه لمقتله ، ونادوا بالانتقام لمولاهم الذى قتل ظلما ومات شهيدا حسب اعتقادهم . غير أن ثورتهـم أخمدت . وبذلك نجا السلطان ودولته من محاولة قلب حكومته (١) .

لم تنته متاعب السلطان الخلجى عند هذا الحد ، بل واجـه حركة استقلالية عن دولته تزعمتها مدينة رانثمبهور ، وجدير بالذكر أن هذه المدينة كانت قوية التحصين حتى أن الغوريين لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، واستطاع التمش السيطرة عليهـا سنة ١٢٢٦ م ، واستعادها الراجيوتيون فى عهد السلطانة رضية المضطرب ، ولما ولى بلبن السلطنة استردها ، ولكنها عـادت الى الثـورة من جديد في عهـد جلال الدين الخلجى (٢) . ولم يتغاض هذا السلطان عن هذه الحركة الانفصالية فأناب عنه في دهلى ، ابنه أركالى خان وسار هو على رأس جيش كبير لاعادة الامن والهدوء الى هذه المدينة في مارس سنة ١٢٩١ م ، واجتازت قواته صحراء الثار القاحلة الموحشة ، وقاسي الجند فيها الوان العذاب واهلك العطش والجوع الكثير منهم ، وظلوا على هذا الحال عدة شهور حتى أكلوا معظم دوابهم (٣) ، ومهما يكن من أمر فقـد بلغ جـلال الدين وجنـوده مدينـة رانثمبهور ، وأرسل فرقا استطلاعية لاختيار قوة المدينة وحشد جيشـه على حدودها ، ورأى السلطان أن يستولى على مدينة غين Jhain قبل رانثمبهور حتى لا يطعن جنده اثنـاء هجومهـا على رانثمبهور ، وباغت الجند الخلجى غين ، وألقوا الذعر بين سكانها ، وقتلوا الكثير من سكانها ، ولم يستطع راجا هذه البـلدة دفع الخلجيين عن دياره ، وفر من نجا من سكان البلدة لا يلوون على دار ولا يركنون الى قرار ، ودخل جلال الدين غين ، وضمها الى حوزته ، واعجبه جمال البلدة وروعة ما فيها من تماثيل

(١) Lal : Hist of The Khaljis. p. 26.

(٢) تاريخ فرشته ص ٩٤

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢١٣ .

منقوشة من الحجر أو الخشب في قصر الراجا ، وزار معابد البلدة ، وشاهد نقوشها البديعة وتحفها الذهبية والفضية الرائعة . غير أن جلال الدين أمر باحراق التماثيل والتحف لانها ترمز الى عبادة الاصنام (١) ، وأخذ قطعتين من البرنز من تمثال لبرهاما وأمر بتفتيتها الى قطع صغيرة ،ووزع بعضها بين ضباطه وجنوده وكبار موظفى دولته ، وزين بالبعض الآخر بوابات مسجد دهلى الكبير (٢) .

وبعد أن استولى جلال الدين على غين ، أرسل فرقا من جيشه الى مالوا Malwa، وهاجمتها ، وحطمت معابدها وعادت محملة بالغنائم والاسلاب . وقد مهدت هذه العمليات الحربية لشن الحرب على رانثمبهور ، واعادتها الى حوزة دهلى ، وكان صاحبها قد أعد جيشا كبيرا لصد هجوم جلال الدين ، وانضم اليه عدد كبير من راجات البلاد المجاورة ، وتعاضدوا جميعا على صد الجيش الخلجى ، وحصنت المدينة خير تحصين، ولما نمى الى علم السلطان قوة تحصين البلدة ، واستعداد أهلها الكبير للذود عنها ، ودرء هجمات العدو ، خشي ان اشتبك مع أهل رانثمبهور أن يقتل ويجرح الكثير من جنوده المسلمين ، وهو كرجل مسلم يحرص على عدم اراقة دم المسلمين الذى يؤدى بالضرورة الى ترميل النساء ، ويتم الاطفال ، وهو أمر لا يحتمله ، ويخشي وقوعه ، لذا قرر هذا الشيخ الطيب الرحيم رفع الحصار عن رانثمبهور وأمر بانسحاب جيشه وعودته الى دهلى ، غير مبال بالعواقب ولم يستجب لنصيحة قواده ومستشاريه بسوء عاقبة هذا العمل وما ينجم عنه من ضياع هيبته بين سكان هذه البلاد . وفعلا كان لانسحاب جلال الدين أثر كبير في تشجيع الحركات الانفصالية، فقد استردت غين استقلالها ، وخرجت رانثمبهور من هذه المحنة ظافرة منتصرة ، وتحقق أملها وحلمها في الانفصال عن دهلى (٣) .

ومن أهم الاحداث الداخلية التى شهدتها سلطنة دهلى ، تآمر علاء الدين على عمه السلطان جلال الدين فقد كان هذا الامير طموحا يتطلع الى العرش على الرغم من أن عمه السلطان قد أسند ولاية عهده الى ابنه ركن الدين ، وكان علاء الدين قد ولى من قبل عمه حكم اقليم كره سنة ١٢٥٤م وأسند اليه قيادة بعض الغزوات في ارجاء الهند كان آخرها في الدكن ،

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٣ .

(٢) Lal : Hist .of the Khaljis. p. 30.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢١٣ .

وأحرز من هذه الغزوة بعض الانتصارات ، وعاد الى كره محملا بالغنائم والاسلاب ، وحينئذ واتته الفرصة لتدبير مؤامرته ضد السلطان ، فأرسل اليه يخادعه ويدعوه الى زيارته ، ويزعم ولاءه ومحبته له ، ولم يجد السلطان الشيخ غضاضة في الاستجابة لدعوة ابن اخيه على الرغم من تحذير رجاله له ، وسار الى كره ، وافلح علاء الدين في اقناع السلطان بنزع اسلحة جنده منعا لحدوث صدام بين جند كره وجند دهلى ، اما علاء الدين فقد اعد جيشه وزوده بالاسلحة والمعدات ، وزوده بالخيل والفيلة ، وركز جنده فى عدة مواضع (١) . ولما وفد السلطان على ابن أخيه ، وادرك سوء نواياه ، اسقط في يده ، وادرك انه لامحالة هالك ، وانصرف الى قراءة القرآن (٢) . هنا أمر علاء الدين بقتل السلطان ، ولما نفذت المؤامرة اعلن علاء الدين نفسه سلطانا ، وركب جنده الفيلة ، ورفعوا راس جلال الدين على حربة ، وجولوا بها في شوارع كره ، وانعم علاء الدين على جنده وانصاره بالمنح والهبات والالقاب (٣) .

على أن قتل جلال الدين لم يكن معناه تولية علاء الدين العرش بسهولة ويسر ، فقد اعترضته عقبات كبيرة ، ذلك أن دهلى العاصمة لازالت في أيدى أبناء جلال الدين ، كما أن اهل العاصمة استاءوا من مقتل السلطان ، وعقدوا العزم على منع قاتله علاءالدين من دخول بلدهم ، وعدم الاعتراف به سلطانا ، ولما علمت الملكة جهان بمصرع زوجها السلطان ، أعدت العدة ، وعقدت العزم على عدم ضياع العرش من ابنها قدر خان ، فأعلنته سلطانا بعد أبيه ، ولقبته ركن الدين ابراهيم (٤) .

على أن الملكة قد اساءت الى ابنها الاكبر أركالى خان فلم تعهداليه بالحكم ، ذلك أن هذا الأمير لم يكن محبوبا من والديه ، لكن أركالى خان بقى في الملتان ، ولم يحاول القدوم الى دهلى لانتزاع حقه في العرش . وعلى الرغم من ذلك فقد انقسم أهل دهلى على انفسهم بين مؤيد للابن الاكبر ، ومؤيد لقدرخان ، وقد مهد هذا الانقسام لعلاء الدين في تنفيذ خطته الرامية الى دخول دهلى والتمكين لنفسه وخلع ركن الدين ابراهيم والتخلص من امه ، واعد عدته لتنفيذ خطته ، وعسكر جيشه على مشارف دهلى (٥) ، وقد استغل

---

(١) Lal : Hist of the Khaljis. p. 55.

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٣) Lal. : Hist. of the Khaljis. p. 56.

(٤) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289.

(٥) A Short Hst of Hind-Pakistan. p. 162.

علاء الدين الانقسام الذى حدث بين ابناء جلال الدين وسكان دهلى عموما في محاولة جذب الانصار اليه من بين أفراد الحزب الجلالى ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، وتجلى ذلك في انفضاض الكثير من أتباع الحزب الجلالى عن الملكة جهان ، وانضمامهم الى علاء الدين ، الامر الذى ادى الى ضعف الحزب الجلالى ، وتقوية شأن علاء الدين ، ولما ايقنت الملكة أن موقفها من تولية ابنها الاصغر العرش بدلا من الابن الاكبر ادى الى انقسام أهل دهلى على انفسهم بين مؤيد ومعارض ، تراجعت وارسلت الى ابنها الاكبر اركالى خان في الملتان تطلب منه القدوم الى دهلى لتسلم زمام الحكم بدلا من ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن أركالى رفض العودة وآثر البقاء في الملتان على الرغم من نداءات أمه اليه التى حذرته بأن عدم عودته سيؤدى الى ضياع العرش من بيت جلال الدين ، وتربع علاء الدين عليه (١) .

وقد ادى موقف أركالى خان الى تقوية شأن علاء الدين ، وزيادة الضعف والانقسام في جيش دهلى وبالغ علاء الدين في بذل الاموال والهدايا لانصاره حتى انضم اليه الكثير من جند ركن الدين ، فأسقط في يده ، واعتزل العرش ، ومهد ذلك لعلاء الدين أمر تولية العرش في دهلى (٢) .

دخل علاء الدين دهلى سنة ١٢٩٦ م ، وأعلن نفسه سلطانا ، وقبض على ركن الدين ابراهيم ، وسمل عينيه ، كما زج أمه في السجن ، واستصفى أموال انصار الحزب الجلالى ، ولقب أبو المظفر السلطان علاء الدنيا والدين محمد شاه خلجى ، وضرب العملة باسمه ، وأقيمت الخطبة باسمه ، وفرض الهدايا على الناس ، وأقيمت الزينات والسرادقات في كل مكان ، وأقبل الناس عليه من كل صوب وحدب مؤيدين ومبايعين(٣) . وبذلك تربع علاء الدين على عرش سلطنة دهلى بعد أن تخلص من عمه وابن عمه ، وقوى من شأنه وجذب الانصار والاتباع له (٤) .

لما ولى علاء الدين السلطنة ، واجه مشاكل داخلية وخارجية معقدة فبلاده هدف لغزوات المغول من الشمال الغربى سنويا ، وهذا الغزو يقترن عادة بالخراب والدمار ، واقتطاع اراض من مملكته ، كذلك انتقم أركالى

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ٢٤٦ .

(٣) Lal : Hist : of the Khaljis. p. 63.

(٤) Lane Poole : the Muhammadan Dynasties. p. 93.

خان ـ ابن السلطان جلال الدين ـ من علاء الدين ، فاستقل بأقليم الملتان ، وضم الى حوزته السند والبنجاب ، وبذلك اقتطع من سلطته دهلى بلادا واسعة ، وفى السند مملكة الكجرات الغنية ويحكمها الامير الراجيوتينى Baghela وبالقرب من الكجرات تقع ممالك الأمراء الراجبوتيين فى صحراء الثار ، وكل امارة مستقلة عن الاخرى ، وتحرص على الانفصال عن دهلى ، ولم يستطع سلاطين دهلى من قبل اخضاعهم ، ومن ناحية اخرى توجد ممالك مثل شيتور Chittor ورانثمبهور تقف من دهلى موقفا عدائيا ، يضاف الى ذلك أن بعض بلدان سلطنة دهلى مثل ملاوىء Dhar ويوجين Ujjain لم تتأثر بعد بالحضارة الاسلامية ، بل تنتهز الفرصة المواتية للاستقلال عن دهلى ، وتقف منها موقفا عدائيا (١) . أما البنغال فولى حكمها ناصر الدين محمود ابن بلبن وأعقابه ، واستقلوا عن دهلى . وحكم الدؤاب وماجاورها أمراء مستقلون عن دولة الاسلام في الهند . وبذلك ولى علاء الدين السلطنة ، في وقت تفككت فيه الدولة الاسلامية في الهند ، وانفصل عنها الكثير من اقاليمها (٢) .

ولى علاء الدين السلطنة في وقت كانت في أشد الحاجة الى رجل دولة مثله ، فالسلطان الجديد يختلف عن سلفه جلال الدين ، يمتاز بقوة البأس، والحزم وحسن التدبير ، والكفاءة العسكرية ، والادارية قبض على زمام الامور بيد من حديد ، وبذل قصارى جهده في اعادة الوحدة الى دولته ، وانقاذها من الهوة التى تردت فيها ، ودرء الخطر الخارجى عنها .

وأبرز أعداء السلطان الجديد ، أبناء جلال الدين ، ونبلاء دهلى ، وهؤلاء يعارضون العهد الجديد ، كما أن الراجات الذين استقلوا عن دهلى في أثناء الاضطرابات التى حدثت في أواخر عهد جلال الدين ، وبعد مصرعه من واجبه اعادتهم الى الولاء والطاعة له ، وكان عليه تنظيم ادارة البلاد ، وتقوية الحكومة المركزية ، وضمان طاعة وولاء القادة العسكريين ، والحكام المسلمين فى الولايات (٣) .

أعد علاء الدين جيشا في سنه ١٢٩٦ لاخضاع اركالى خان ـ الذى استقل بالملتان وغيرها ـ ، وسار هذا الجيش الى الملتان ولم يستطع

---

(١) Majumdar. An Advanced iHst. of India. 291.

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

اركالى له دفعا بل قبض عليه وعلى اخوته واقاربه وقادته وعوقبـــوا اشد العقاب وصودرت أموالهم وامتعتهم ، وتكل بهم أشد تنكيل . وبذلك استرد اقليم الملتان وبلاد البنجاب والسند ، وضمها الى حوزته (١) .

لم يكتف علاء الدين بذلك ، بل صـادر ممتلكات نبلاء جلال الدين ، والامراء والملوك الذين عملوا تحت قيـادته ــ وكان لا يظمئن الى ولائهم ، وحرص على التنكيل بكل من حامت حوله الشبهات بعدم الولاء والطاعة له ، وذلك بالمصادرة والسجن والتشويه ، وبذلك عادت البلاد الى الطاعة والولاء له ، وجمع من المصادرات اموالا طائلة ، مكنته من توسيع رقعـة دولته ، ودرء الخطر الخارجى عنها ، والتصدى للحركات الانفصـالية في المملكة (٢) .

تتابعت انتصارات علاء الدين ، وفتح الكثير من البلدان ، وضمها الى حوزته ، وحالفه التوفيق في دفع الغزو المغولى المدمر عن الديار الاسلامية في الهند ، فأخذته نشوة النصر كل مأخذ ، وركبه الغرور ، وذهب عنـه صوابه ، فتوهم ان باستطاعته ان ينجز انجازات الاسكندر الاكبر من حيث غزوه للعالم او محاولة ذلك ، وقهر الدنيا تحت سلطانه ، بل ذهب ابعـد من ذلك ، فقد تصور انه نبى لدين جديد وصاحب رسـالة جديدة ، على غرار محمد نبى الاسلام (ص) وتوهم ان اصحابه الاربعة بمثابة الخلفـاء الراشدين الاربعة ، وبدأ يتحدث عن امكانية نشر دعوته في أرجاء الدنيا ، واستطاع بقوة بأسه وقوة جيشه وجنده التبشير بالدين الجديد والرسالة الجديدة ، واسـتهوته قصص وأحاديث الشعراء والمؤرخين والأباء عن الاسـكندر الاكبر ، والتف حوله الانتهازيون الراغبـون في تحقيق منافع شخصية ، فزينوا له صحة ما توهمه ، وروجوا دعوته وهيأ السلطان نفسه لان يصبح الاسكندر الثانى . ومما لاشك فيه ان رجـال ابـلاط والقـادة المقربين اليه قد وافقوه لا عن اقتناع بل اتبعوه رهبه منه ، وخوفا من قسوته وبطشه ، فلم يسعهم الا التعبير عن رضاهم (٣) .

تصور السلطان انه على حق فيما ذهب اليه ، ودفعه جنون العظمـة الى التمادى في افكاره وخيالاته ، وكان السلطان يقيم الحفـلات الكثـيرة ،

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص٢٤٩ .

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 67.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٦٦ .

ويجمع فيها كبار رجال دولته ، ويتحدث فيها عن دعوته ، وفي احدى هذه الحفلات حذره عمه علاء الملك القاضي من خطورة ما ذهب اليـه على ملكه ، وعلى الوضع الداخلي في البـلاد ، ومن انتقاضه الكثيرين من الغيورين على دينهم ، فقال : ان الدين امر يوحى به الله للأخيـار من عباده ، ولا يمكن ان يكون بفعل أو بصنع انسان . وقال : ان الاسلام دين الحق ، ولا يمكن القضاء عليه ؛ حتى ان قهار العـالم وجبابرتهم مثل جنكيزخان ، اراقوا من دمـاء المسلمين ما اراقوا ولكنهم لم ينالوا من الاسلام شيئا ، بل دخل المغـول في دين اللـه افواجا ، واوضح ان النـاس اذا وجدوا السـلطان يشـككهم في معتقداتهم لن يسمعوا له ويطيعوا بل سيدمرون ملكه ، وبذلك تعم الفوضي البـلاد ، وينتهز امـراء الاقاليم فرصـة هذه الفوضي ، ويحققون املهم في الاستقلال عن دهلى . واوضح علاء الملك للسلطان ان النبوة لا تأتى الملوك ، وان كان بعض الرسل قد أوتى من الملك نصيبا (١) وأما عن فكرة قهر العالم ، فقد اوضح علاء الملك للسلطان ان الظروف تغـيرت ، وان الاسـكندر كان يستند الى حكم الحكماء مثل ارسطو الذى اوتى الحكمة وفصل الخطاب ، وهو مالا نظير له عند علاء الدين كما ان الاسـكندر ورث عن ابيـه فيليب المقدونى ، دولة اليونان الموحدة ذات الادارة القوية (٢) .

وختم القاضي نصيحته للسلطان بقصر جهوده وتركيزها فى اخضاع بلاد الهند لسلطانه ، وقهر الكفرة فيها ، والدعوة الى الاسـلام في غير بـلاد الاسلام ، و واصلاح البلاد ، والقضاء على الفتن والثورات وحماية البلاد من هجمات المغول ، وقد لقيت نصيحة علاء الملك اذنا صاغية من السلطان فأقلع عن فكرة الدعوة لنبوته ، وتأسيس دين جديد والتفرغ للغزو والفتح واصلاح البلاد . وبذلك عدل السلطان عن دعوته التى كانت ستؤدى الى ثورات وانتقاضات في المملكة . قد يذهب ضحيتها السلطان او تتفكك عرى الوحدة في البلاد .

تعرض علاء الدين لمؤامرة كادت تودى بحياته ، وقاد هذه المؤامرة ابن أخيه سليمان شاه ، وكان يشغل منصب وكيل الدار واراد بخطته ان يسقى علاء الدين من نفس الكأس الذى اسقاه لجلال الدين ، ويتولى هـو ــ أى سليمان شاه السلطنة وكان علاء الدين قد أرسل عدة حمـلات الى نواحى الهند للفتح والتوسع ، بينما سار هو الى رانشمبهور ، وتوقف فى تلبـات

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٧٠ .

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 75.

Tilpat لبعض الوقت ، وباغته قـواده ـ الذين انضموا الى سليمان شاه في مؤامرته ـ ورموه باسهام فأصيب بجراح شديدة ، واعلن المتآمرين مقتله واعد سليمان شاه العدة لتولى السلطنة ، وساد الذعر معسكر السلطان ، وتفرق الجند السلطانى (١) وفي خضم هـذه الفوضي ، اخفى انصار السلطان ، السلطان ، وضمدوا جراحاته ، وعالجـوه خير عـلاج وانجعه ، وحينما توجه سليمان شـاه ـ راس المـؤامرة ـ الى معسكر السلطان مطالبا تسليمه له ، رفض رجال علاء الدين ذلك ، وفجأة حدث ما لم يكن في حساب المتآمرين ، فقد ظهر علاء الدين فجأة ، وان كان ضعيفا من أثار الجروح ، فاسقط في ايدى المتأمرين ، فلاذوا بالفراربقيادةرئيسهم سليمان شاه لا يلوون على شيء الى افغانستان ، وبذلك احبطت هذه المؤامرة التى كادت ان تودى بالسلطان علاء الدين وتمهد السبيل لتولى ابن أخيه سليمان شاه سلطنة دهلى (٢) .

راى علاء الدين ضرورة استئصال شأفة المتأمرين فأرسل فرقا من جيشه الى افغانستان للقبض على المتآمرين ، وأدى الجيش مهمتـه فقبض على سليمان شاه وقتل وحملت رأسه الى معسكر السلطان (٣) وانتقم السلطان شر انتقام من المتآمرين فأمـر بقتلهم ومصادرة اموالهم ، وسبى نسائهم واطفالهم ، وتوزيعهم على القلاع ، وبذلك فشلت محاولة التخلص من علاء الدين ، وخرج من هذه المحنة قويا .

على أن اغتصاب علاء الدين العـرش من عمه سبب له متاعب كثيرة اذ اصبح واضحا عدم وجود قاعدة ثابتة لوراثة الملك ، وكان ذلك من اسباب طمع سليمان شاه في اغتصاب العرش ، واشعل بعض امراء الاسرة الحاكمة ثورة في دلهى منتهزين فرصة غياب علاء الدين عنها ، وطالبوا بعزل السلطان، وتوليه واحدا منهم الحكم مبررين تذمرهم بشـدة السلطان وقسـوته ، واستبداده وجوره ، غير أن حكومة دهلى قبضت على المتآمرين ، وسيقوا الى علاء الدين في رانشمبهور ، فأمر بسملهم ، وزجهم في السجون ، وتكل بأتباعهم (٤) .

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 88.

(٣) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 89.

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٧ .

ولم تنته متاعب علاء الدين عند هذا الحد ، بل واجه حركة ثـورية اخرى ضد نظام حكمه ، قادها حاجي مولي وهو رجل طموح واسع الاطماع، كان يشرف على ادارة بعض الاراضي الملكية ، ولقد بدا حاجي مولى مؤامرته بالتصدى لتيرميزىTirmizi، الذىعهدت اليه حكومة دهلى باصلاح بوابـة بادون ، وعرف عن هذا الرجل شدة البأس والعنف والفطرسة ، لذا اضمر أهل دهلى له السوء ، وبينما صاحبنا يصلح بوابة بادون أحاط بمسكنه عدد من الاكواخ اقام فيها العمال الذين عهد اليهم بتشييد القلعة ، وتوجه حاجى مولى الى منزله ، زاعما انه يحمل اليه رسالة من السلطان ، وبينما تيرميزى يتسلم الرسالة باغته حاجى ورجاله وقتلوه ، واخرج من جيبه خطابا للناس نسبه الى السلطان زعم فيه ان علاء الدين امره بقتله ، وقد أخذ النـاس الجزع والفزع بعد هذا الحادث حتى اغلقوا منازلهم وانضم الى حاجى مولى المتذمرون من علاء الدين ، والجند الفارين من جيشه بعد ان اضناهم طول الغياب في الحرب والقتال . وافلح حاجى مولى في اشاعة الفوضي والذعـر في دهلى ، والتمكين لنفسه ، وقاد اتباعه الى السجون ، وامرهم باقتحامها، والافراج عن تزلائها ، فكثر اتباعه وقوى امره ، واشتد بأسـه ، واطلق لاتباعه العنان فنهبوا خزينة الدولة ووزع الاسلحة والخيول والأمـوال على أصحابه وحصـل على أمـوال طائلة من اعمال السلب والنهب التى قادها ، واختار طفلا من سلالة التمش ، وأعلنة سلطانا بدلا من علاء الدين الذى اعلن عزله ، واعتزم ان يحكم البلاد باسم هذا الطفل ، وقـد لقيت خطته قبولا من كثير من سكان المملكة اما رهبة او كراهة لعلاء الدين ، فوفدوا على السلطان الجديد وبايعوه وقدموا له فروض الولاء والطاعة (١) .

كان طبيعيا الا يقف علاء الدين مكتوف اليدين ازاء هذه الثورة التى هدمت دولته وملكه ، فاتخذ الاهبة لاخمادها ، وعهد بهذه المهمة الى ملـك حميد الدين ، وبلغ خان ، وسار جيش السلطان الى دهلى ، واشتبك مع حاجى ورجاله في عدة معارك ، انتهت بهزيمة حاجى ، وسحق قوات التمرد، وقتل حاجى مولى ، وعلقت رأسه على حربة ، ودار بها الجند في شوارع دهلى ، ثم ارسلت الى علاء الدين في رانثمبهور ، وحرص حميد الدين على استئصال الفتنة من جذورها ، فأمر بالقبض على اعـوان وانصار حاجى مولى ، وصادر اموالهم ، التى يسر حاجى لهم نهبها ، واودعت هذه الاموال في خزينة الدولة ، وانتقم حميد الدين من الثوار فقتل كل من قبض عليه (٢) . ومما لاشك فيه ان اخماد الثورات التى قامت ضـد علاء الدين بالعنف

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٧٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

والقسوة أدى الى استتباب الامر للسلطان ، واعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، واخماد الفتن والثورات ، وتوقف حركات التمرد والعصيان .

على ان كثرة الثورات التى حدثت ضد السلطان علاء الدين جعلته كثير الشك والريبة في رجال الدولة حتى المقربين اليه ، فيتهمه بعض المؤرخين بتدبير اغتيال بلغ خان اثناء سيره الى دهلى لقمع حركة حاجى مولى ، اذ خشي ان يتنزع سلطانه ، ولكن باراني يشك في هذه الرواية التى رددها بعض المؤرخين ، ذلك ان بلغ خان كان شديد الاخلاص للسلطان ، وحزن عليه علاء الدين كثيرا ، بل امر بتوزيع الصدقات على روحه (١) .

غادر السلطان علاء الدين رانثمبهور ، واتجه الى دهلى ، وتردد كثيرا في دخولها ، وبقى فترة من الوقت يجول ويصول في ضواحيها ، ولا يجسر على دخولها لان دهلى كثيرة الثورات ضد الحكم الخلجى ، وامر قواده بتطهير العاصمة الهندية من المتمردين ، ولما اطمأن الى استتباب الامن والنظام في دهلى ، وخلوها من عناصر الثورة والفتنة دخلها ، واخذ في أصلاح أحوالها ، وحل مشاكل الجماهير بها (٢) .

واستطاع علاء الدين بفضل ما بذله من جهد من اعادة الامن والطمأنينة الى البلاد ، غير انه لم يضع الحلول المناسبة لتفادى المشاكل الناجمة عن عدم وضع قواعد ثابتة لوراثة عرش دهلى ، الامر الذى ادى الى حدوث ثورات وفتن حول اغتصاب الحكم (٣) .

كان كافور — خصي علاء الدين — مقربا اليه وصاحب حظوة عنده وكان طموحا يتطلع الى السيطرة على مقاليد الامور في البلاد عقب وفاة سيده ، فانتهز فرصة اشتداد مرض السلطان ، وحمله على كتابة وصية يتولى ابنه الطفل عمر خان — وكان غرا صغيرا لا يتجاوز السادسة من العمر — وفي نفس الوصية طلب السلطان من ابنه الاكبر خسروخان التخلى عن المطالبة بالعرش ، ولزوم الولاء والطاعة لاخيه الصغير ، وعهد السلطان الى كافور بالوصاية على ابنه الطفل ، وبذلك حقق كافور على يد سيده السلطان ما

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 97.

(٣) Lal : His . of the Khaljis. p. 96.

كان يصبو ويتطلع اليه من الاستئثار بالسلطة والنفوذ في سلطنة دهلى .

لما توفى علاء الدين سنة ١٣١٦ م جمع كافور النبلاء وكبار رجال الدولة ، واظهر لهم وصية السلطان الراحل التى اودعها اياه والتى تتضمن تولية ابنه شهاب الدين عمر . وبذلك خلف هذا الطفل الصغير اباه ولقب شهاب الدين عمر خلجى . وبتوليته اصبح كافور سيد الموقف في سلطنة دهلى بلا منازع (١) .

ولكى يكتسب كافور احترام وتقدير الناس ، وتزداد سيطرته على السلطان الطفل وعلى الحكم ، تزوج من أمه رامادیفا Rama Deva وأمر بسمل عين خسروخان الابن الاكبر للسلطان علاء الدين واخيه شادى خان ، حتى لا يطالب أحد الاخويين بالعرش بعد ان فقدا الابصار ولم يكتف بذلك ، وانما جرد والده خسرو خان من حليها ، وأمر بنفيها الى جاوليار (٢) .

وشعر كافور انه غير آمن على نفسه ، وفعلا اشتدت المعارضة له ولحكمه ، واستنكر الناس فعله واستبقحوه ، ولم يرضوا عن سيطرته على الحكم ، فضلا عن تشويه واذلال بعض افراد البيت الحاكم ، وعادت الفوضي والاضطرابات الى البلاد ، فسعى الى حماية نفسه من اعدائه المتربصين به ، فعمد الى نفي كل من تحوم حوله الشبهات من الامراء وقواد الجيش وكبار رجال الدولة ، بل شوه بعضهم بالسمل ، وصادر أموال معارضيه فضلا عن الحاقه ويلاته بهم ، وازدادت شكوكه ، فأبعد عن البلاط كل اعوان وانصار سيده علاء الدين ، وجردهم من وظائفهم واسندها الى اعوانه وانصاره (٣) .

على أن كافور لم تصف له الامور ، ولم تبتسم له الايام طويلا ، ولم يسعد بالسيطرة على سلطنة دهلى على الرغم من اجراءات العنف وسياسة البطش والقمع التى اتخذها ضد المشتبه فيهم ، فقد تذمر منه الناس وترقبوا ساعة الخلاص من هذا الحكم الفاشم ، واحاطوا كل تحركاته بالتجسس ، ودبرت الكثير من المؤامرات للتخلص منه ، وآخرها حدث حينما أرسل فريقا من جنده لقتل مبارك خان في سجنه ، ولما اقترب الجند من

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .
(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 287.
(٣) Majumdar : op. cit. pp. 287-288.

هذا الامير ،القى مالديه من ذهب وفضة لهم وناشدهم عدم التعرض لـه ، فاستجاب الجند لندائه ، وتيقظ ضميرهم ، ولم يكن غائبا عن اذهانهم ان كافور رجل ظالم مستبد ، وان الاوان للتخلص منه ، وتمردوا عليه (١) ، بل ساروا الى قصره ، وشنوا عدة هجمات على القصر ، تمكنوا من اقتحامه اخيرا ، وقتلوه ، وبذلك خلصوا البلاد من استبداد وبطش وجور كافور الغاشم الذى حكم البلاد خمسة وثلاثين يوما ارتكب خلالها اعمالا عدوانـية بشعة ضد افراد البيت الحاكم ورجال سيده (٢) .

لم يكتف الثوار بذلك ، بل افرجوا عن مبارك خان وعينوه نائبا للسلطان شهاب الدين بدلا من كافور ، وقد بدا حكمه للبلاد بداية حسـنة ، فأعطى النبلاء والقواد ورجاله امانا على انفسهم ، ورد اليهم الاموال التى صادرها منهم فطابت نفوسهم ورضوا عنه وناصروه والتفوا حوله وايدوه (٣)،غير انه عاد الى الاستبداد واعمال العنف ، وحدثته نفسه بالانفراد بالسلطة فنفى شهاب الدين عمر الى جاوليار ، وعزله عن العرش ، وولى هو السلطنة ولم يعد له منازع في الحكم او البلاط واعتزم تحطيم وتـدمير كل مراكز القـوى التى بالمملكة ، والتى قد تضعف نفوذه او تعرقل سـياسته ، وبدأ بالجنـد الذين افرجوا عنه ، وقتلوا كافور ، وولوه بدلا منه ، فشتتهم في البـلاد ، ورفض الاستعانة بهم في ادارة دولته ، وفي نفس الوقت تخلص من انصار كافور، وكل من يخشي بأسه (٤) .

اعلن مبارك شاه نفسه سلطانا فى ابريل سنة ١٣١٨ وبدأ عهده ـ كمـا فعل اسلافه من قبـــل ـ بمنح الهبات والهدايا والالقاب لكبار رجال الدولة (٥)

كانت البلاد فى ذلك الوقت تمر بظروف حرجة للغاية وفى أشـد الحاجة الى حكومة قوية تنقذها من الهاوية التى تردت فيها ، وتــراب الصدع ، وتعيد الأمن والطمأنينة الى الناس ، بعد أن فرقت بلادهم الفتن والثورات ، وعمت فيها القلاقـــل والاضـــطرابات نتيجة للمنازعات والمشاحنات حول السلطة والنفوذ ، وادى السلطان الجديد فى مسـتهل

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

(٤) Ma jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 303.

(٥) باراني تاريخ فيروز شاهى ص ٣٧٧ .

عهده دوره في اعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، وأثبت انه رجـــل الساعة ، واصلح البلاد فاطمأن الناس الى العهد الجديد (١) . وأفرج السلطان عن الألوف الذين زجوا في السجون بتهم التمرد أو الاشـــتباه في ذلك على كافور ، ومنح الجند مكافآت مالية ، وأغـــدق المال على المحتاجين من رعاياه ، وأعاد الأموال التي صادرها علاء الدين الى أصحابها، وخفف عن الناس عبء الضرائب ومنع كبار موظفي الحكومة من اســتغلال الأهلين ، وكان ينظر في الشكاوى والالتماسات التي يرفعها الناس له ، ويضع بنفسه الحلول المناسبة لهما ، والغى القوانين الصارمة التي وضعها علاء الدين على التجار (٢) ، وكانت تحدد أرباحهم فانتعش التجار ، وراجت التجارة ، وخفف عن الفلاحين ضريبة الأرض ، ورفع اجـــور الموظفين . وباختصار تحسنت احوال الناس المعيشية على اختـلاف طبقاتهم (٣) . واذا أضفنا الى ذلك الحريات التي كفلها للشعب تســتطيع أن تقول أن هذا السلطان حقق لبني وطنه ما لم يحقق لهم منذ سنوات طوال .

على أن رجال علاء الدين لم يرضوا عن الســـلطان الجديد ، لأنه أقصاهم عن مباشرة شؤون الدولة ، وعولوا على التخلص منه ، وتزعـــم هذه الحركة اسد الدين ، وقد انتقد هؤلاء المعارضون السلطان قطب الدين لسوء اختياره لموظفي الحكومة ورؤساء الدواوين ورجال البلاط ، واتهموه بأنه يقضي وقته في اللهـــو والعبث والاستماع الى الغناء وقاد أسد الدين المعارضة في مؤامرة كبرى تهدف الى قتل السلطان قطب الدين وهو في طريقه الى دهلي ، وتوليته ــ أي تولية أسد الدين ــ السلطنة (٤) .

لم يقدر لهذه المؤامرة النجاح ، فقد أخطر كبار رجال الدولة السلطان بالمؤامرة قبل تنفيذها ، فتدارك الأمر في أوله ، وتلاحقه في ابتدائه قبل ان تضطرم نار الثـــورة ، ويعم الكرب ويشتد البلاء ، فأمر الســـلطان بالقبض على زعيم حركة الانقلاب المرتقب ، وكل من اشترك وســـاهم في محاولة قلب نظام الحكم من قريب أو بعيد ، وأمر بقتلهم وصادر اموالهم ، وكان انتقامه شديدا جدا من الثوار حتى انه قتل بعض أطفالهم ، وشرد البعض الآخر في شوارع دهلي لا مأوى لهم ، ولا عائل يعولهم ولم يكتف

---

(١) Majumdar : An advanced Hist. of India. p. 304.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

(٣) A Short Hist. of India. p. 166.

(٤) تاريخ فرشته ص ١٢٥ .

بذلك ، بل نصب المشانق فى دهلى واقام مذبحة مروعة قتل فيها كل من ينتمى الى البيت الحـــاكم بصله وكل من تحوم حــوله الشـــبهات باحتمال قيامه أو اشـــتراكه فى انقلاب ضده فى المستقبل ، واســتأصل الفروع والجذور من اسرة علاء الدين ، واسرف فى القتل واراقة الدماء حتى نائبه الذى كان مخلصا له ، واتهمه بالاهمال وعدم كشف المؤامـــرة فى حينها (١) .

ولكن سياسة العنف هذه لم تقض على محاولات عـــزل قطب الدين عن العركش ، فقـــد ظهرت مؤامرة أخرى اختلف المؤرخون حول اســم السلطان الذى رشحه المتآمرون لتولى الحـــكم ، وضربوا العملة بأســمه فيذكر مؤرخ متؤخر انه ابن خسروخان بن علاء الدين ، أما باراني فلا يذكر ذلك وينفى اشتراك خسروخان أو أحد أبنائه فى المؤامرة ، وعلى ذلك فان الاســـم الذى نقش على العملة ، الملك شاهين ــ نائب السلطان على دهلي والذى قتله السلطان على اثر دخوله دهلى (٢) .

لم يكف السلطان قطب الدين عن أعمال العنف ضد أبناء علاء الدين ، لأنه كان يتوجس منهم خيفة ، ويخشي ان يتأمروا عليه ، وينضم اليهـــم انصار ابيهم ، وهم خسروخان ، وشادى خان ، وشمس الدين ، وأمـــر بالقبض عليهم وارسال أفراد عائلاتهم الى دهلى ، وهؤلاء الأمراء سملت عيونهم ، وعاشوا فى المنفى فى شظف من العيش ، وعمد الســـلطان الى اذلالهم ، فكتب الى خسروخان رسالة ذكر له فيها انه ــ أى خسروخان ــ فقد بصره ، واعتلت صحته ، وعرض عليه أن يفرج عنه ، ويعينه حاكمـــا على أحد الأقاليم ، ويمنحه الألقاب والامتيازات المناسبة له ، فى مقابل أن يتخلى عن زوجته ديفال رانى التى قال انه اصبح ذليلا لها ، وطلب منـــه أرسالها الى البلاط لتهدئهعاطفته نحوها واعادتها اليـــه بعد ذلك جارية مطيعة . على أن خسروخان قد حزن من هذه الرسالة ، ورفض الاذعان لنداء السلطان ، وتمسك بزوجته بل آثر الموت على التخلى عن محبوبته ، ورفض اغراءات السلطان له التى يهدف السلطان منها اغتصاب زوجتـــه بالقوة . وقد تعرض خسروخان فعلا للموت بسبب رفضه عرض السلطان، فقد امر باعتياله ، وكان حدثا مروعا اهتزت له قلوب الناس فى كل مكان، ووصفه ابن بطوطة وعلم به ماركو بولو من بعض الهنود ، ورواه غيره من الرواه . وارسلت ديفال الى دهلى ، وأمر السلطان بقـــتل شادى خان ،

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis p. 296.

(٢) Camb : Hist. of India. 111, p. 131.

وشمس الدين وغيرهم واغتصب زوجاتهم ، وشرد اطفالهم ، وقد وصف لنا باراني مــدى اســتياء الناس من الجــرائم التى ارتكبــها قطب الدين (١) ولكن على الباغى تدور الدوائر .

على ان أعمال العنف التى اتبعها الســلطان مع اعدائه لم توقف المؤامرات ضده ، ولم تخمد الثورات المعارضة لحكمه فى البلاد ، بــل زادت اشتعالا ، وأبرز هذه الانتقاضات ، ما قام به نظام الدين اوليا ، وهو رجل تقى ورع ، طبقت شهرته الآفاق ، ووفد اليه الناس من كل صــوب وحدب للزيارة والتبرك ، وكان علاء الدين يقدره ويعتز به ، أما قطب الدين فقد ناصبه العداء ، وخشي من تجمع الناس حوله لما فى ذلك من خطــورة عليه ، اذا قاد هؤلاء الجموع فى حركة غزو ضده فمنع النبلاء وكبار رجال الدولة من زيارته ، وحاول اضعافه وابعاد الناس عنه ، فشجع الشــيخ زاداً على النــيل منه ، والحملة عليه ، وتحريض الناس على التفرق من حوله ، كما حرض المشايخ الكبار فى الدولة عليه ولم يكتف بذلك بل أمر بقتله حتى يخمد ما قد يثيره هذا الشيخ من متاعب فى وجه هذا السلطان الظــالم (٢) .

ادت سياسة السلطان الداخلية المتسمة باليقظة الى توقف الحركات الاستقلالية فى الكوجرات ودكا ، ولكن قسوته على خصومه واسرافه فى اراقة الدماء ، واستبداده وعدم استماعه لنصح الناصحــين ، ادى الى اشتداد كراهة الناس له ، وتطلعهم الى التخلص منه ، وبذلك فقد ثقــة الرعية به ، وازداد بطشه للناس ، وقضي أيامه فى لهو وعبث ومجون ، وضم بلاطه المفنون والمغنيات والراقصات (٣) .

لم تتوقف المؤامرات ضد هذا السلطان على الرغم من بطشــه بأعدائه ، فاندلعت ثورة ضده فى ديفاكيرى قادها ياك لاخى Yaklakhi فعول السلطان على اخماد هذه الفتنة وأرسل فرقا من الجيش لقمعها ، ولكن الثائر لم يعد العدة الكافية لصد جيش السلطان ، وكان يعتقــد أن جند السلطان سينضمون اليه نظرا لحالة التذمر السائدة فى البــلاد ولكن حدث ما لم يكن يتوقع ، فهاجمه جيش دلهى ، وخشي رجاله سوء

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٣ .
Lal : Hist. of the Khaljis. p. 299.

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٦ .

(٣) Gibbon. Decline and Fall of the Roman Empire. 1. p. 128.

العاقبة ، فانفضوا من حوله ، عندئذ ضعف أمر الثائر ، فقبض عليه جند دلهى وأمر السلطان بقطع انفه واذنه (١) . وبذلك فشلت هذه الحركة ، واشتدت قبضة السلطان على الدولة ، وتأكدت سيطرته الكاملة عليها من جديد .

ولكن طغيان قطب الدين واستبداده لم يوقف محاولات قتله واغتياله، فتعددت المحاولات للتخلص منه ، كان آخرها مؤامرة وزيره خسرو ، فقد نجح فى ضم بعض النبلاء اليه ، وعاهدوه النصرة والتأييد ، وانضم اليه الكثير ممن لحقهم الضيم على يديه (٢) .

بدأ الوزير مؤامرته ضد السلطان ، بأن اقنعه بأنه ـ اى السلطان ـ يخرج فى حروب كثيرة ، ويجب فى غيابه أن يطمئن على الأمن والنظام فى دلهى ، ولا يستطيع ـ أى حسرو ـ الاطمئنان لأحد فى هذه المهمة سوى رجاله المقربين من الكوجرات ، فوافق السلطان على طلب وزيره وامتلأت دلهى بأهل الكجرات ، واغدق عليهم خسرو الأموال ، واعطاهم خيولا وأسلحة وملابس ، واستكثر خسرو متهم ، حتى صاروا حوالى أربعين الفا كلهم طوع ارادته ورهن اشارته . وبذلك عظم شأن خسروخان وقوى أمره ، واشتد بأسه ، وعهد الى رجاله بحراسة القصر ، فأصبح هذا السلطان تحت رحمة وزيره ، ودبرت المؤامرة (٣) ، وكان من اليسير جدا نجاحها وتنفيذها وفقا للخطة المرسومة ، فأمر خسرو رجاله بقتل السلطان ، فانهالوا عليه ضربا بسيوفهم حتى قتلوه (٤) وألقوا رأسه فى فناء القصر (٥) . وبذلك تجرع هذا السلطان من نفس الكأس الذي أسقاه الكثيرين فى ابريل سنة ١٣٢٠ م . وخاب كل جبار عنيد .

وقد لحق الناس من السلطان قطب الدين الكثير من المظالم ، على الرغم من أنه بدأ عهده بالعدل بين الرعية وأصلاح احوال البلاد ولكن المؤامرات العديدة التى تعرض لها جعلته غير مطمئن على نفسه وعلى

---

(١) Lal ; Hist. of the Khaljis. p. 304.

(٢) IBID.

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٧ .

(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٤٠٢ .

(٥) Majumdar : An Advanced Hist of India. p. 305.

ملكه ، فاشتد في قمعها ، وقلب على شعبه ظهر المجن ، فطغى وتجبر ، بل اساء الى مشاعر الناس الدينية ، فأهمل المراسم الدينية كالظهور في الصلاة ، والاحتفالات الدينية في رمضان والعيدين وأساء الى الدرويش ــ نظام الدين ، وعلى الرغم من ذلك فقد لقب نفسه بألقاب لا يستحقها ، مثل خليفة ، الامام الأعظم ، أمير المؤمنين .

ومهما يكن من أمر فقد عبر خسرو خان عن سخط شعب المملكة الهندية على سلطانها ، وتخلص منه ، لذا نادى به النبلاء ورجال الدولة سلطانا ، وتربع على عرش سلطنة دلهى ، ولقب ناصر الدين خسرو شاه ، وأمر بالدعوة له في الخطبة على أنه أمير المؤمنين (١) .

ولى خسرو شاه العرش في هذه الظروف العصيبة ، ولما كان مدينا لبنى قومه من الكجرات فيما بلغة من جاء فقد خصهم بالمناصب الرفيعة في الدولة ، واعتمد عليهم في شؤون الحكم والادارة (٢) .

على ان هذا السلطان الجديد اتخذ سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة أسلافه من الحكام المسلمين ، فقد أباح لكفار الهنود باظهار نحلهم ومللهم والتعبير عنها علنا . فنصبوا اصنامهم في كل مكان ، وازداد الأمر خطورة ، فاستفزوا شعور المسلمين ، ومزقوا المصاحف ، ووضعوا اصنامهم في القصر الملكى ، وهاجموا المساجد واقتحموها ، ومنعوا المسلمين من تأدية شعائرهم فيها ، بل نصبوا اصنامهم في بيوت يذكر فيها اسم الله ، واغتصبوا البنات المسلمات . ومن الطبيعي أن يرض كفار الهنود عن هذا السلطان فالتفوا حوله وناصروه ، ورأوا فيه خير معين على المحافظة على شعائرهم واظهارها والانتقام من المسلمين ، ولم يكتف هذا السلطان بالتغاضي عن ايذاء شعور المسلمين الدينى بل فرض عليهم الأموال ، واغدق عليهم (٣) .

وبرر السلطان تصرفه هذا بأنه انتقام من المسلمين الذين دمروا معابدهم ، ودمروا اصنامهم ، وأحرقوا كتبهم . ولذلك يرى البعض بأن حكم هذا السلطان مظهر من مظاهر الردة عن الاسلام ، ونستبعد ما يذكره باراني بأن السلطان اراد أن يعيد الوثنية الى الهند ، ويعيد البلاد الى حكم راجات الهنود ، ذلك انه دخل الاسلام وهو طفل صغير وعاش

---

(١) Lal : Hist of the Khaljis. p. 308.
IBID. P. 312.
(٢) IBID. P. 313.
(٣) رحلة ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

ونشأ فى الحياة الاسلامية وكان شديدا قاسيا حينما اشتبك فى دكا مع كفار الهنود قبل توليته الملك ، بل كان أكثر قسوة من أى حاكم مسلم ، وفى نفس الوقت ظل على دينه وعقيدته وان ظل تاركا حـــركة اضطهاد المسلمين من كفار الهنود تسير فى مجراها دون أن يتدخل لانهائهـــا او يشترك فى دفعها ، وابقى على الحكام المسلمين فى الولايات ، وربما اراد السلطان بذلك كسب محبة وتأييد فريق كبـــير من الناس للوقوف الى جانبه ومناصرته ضد حركات التمرد التى انتشرت انتشارا واسعاضدسلطان دهلى ، ويقودها عادة كبار رجال الدولة من المسلمين ضد هذا الســـلطان الوضيع الذى ينتمى أصلا الى طبقة جامعى القـــمامة فى الهند الغربية ، فقد عجل بنهايته بسياسته الغاشمة التى آذت شعور المسلمين ، وساد التذمر بينهم ، وأعدوا عدتهم للخلاص من هذا الحاكم ــ ناصر الكفـــرة الملاعين .

وقد قاد تغلق حركة المعارضة ضد هذا السلطان ، فزحف بجيش كبير يضم خيرة جند شمال غرب الهند وصنا ديدهـــم ، الى دهلى (١) ، فأرســـل خسرو خان جيشا لصد عدوه ، وقد تناقص جيشه بعـــد فرار الجند الفيورين على دينهم منه ، وانضمام بعضهم الى جيش تغلق (٢)، ومهما يكن من أمر فقد التقى الجمعان فى ديوبالبور Deopalpur وهزم الجيش الملكى ، وتفرق الجند ، ولاذوا بالفرار ، بل فر قائد الجيش الملكى ، تاركا الاسلحة والخيول والفيلة والأموال ومهمات الجند واستحوذ جيش تغلق على هـــذه الغنائم ، ثم زحف تغلق وجنده الى دهلى (٣) ، وانتظر السلطان مصيره المحتوم وقدره الذى حدده بسياسته الغاشمة .

سار تغلق وجنوده الى دهلى لا يعترض طريقهم معترض ولما اقترب تغلق منها نصب معسكره ، ودعا الناس فى دهلى الى طاعتـــه ، ولقيت دعوته هوى من أهل دهلى الذين كرهوا خسرو خان الذى آذى شعورهم ومعتقداتهم ثم دارت المعركة الفاصلة سنة ١٣٢٠ بين جيش تغلق وجيش السلطان انتهت بهزيمة جيش السلطان ومقتله ــ أى السلطان ــ والقيت رأسه فى فناء القصر ، كما ألقيت رأس مبارك شاه . وبذلك انتهى حـــكم خسرو خان بعد أربعة اشهر وبنهايته انتهى حكم سلاطين الخلجيين فى بلاد الهنـــد (٤) .

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 307.

(٢) IBID. P. 308.

(٣) ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .

(٤) A Short : Hist. of Hind Pakistan. p. 167.

٣ ـ الاحداث الداخلية فى سلطنة دهلى الاسلامية

فى عهد بنى تغلق

ينسب آل تغلق الى عنصر تركى ، كان يقيم فى الهند منذ زمن طويل ، وأول من حكم سلطنة دهلى من هذه الأسرة ، غياث الدين تغلق شاه ، قدم بلاد السند فى خدمة بعض التجار فى أيام السلطان علاء الدين، ودخل فى خدمة أولوخان ـ أمير السند اذ ذاك ـ فظهرت شجاعته ، وتدرج فى سلك الفروسية ، حتى صار أميراً للخيل (١) ، وكان أولوخان يعده من كبار الأمراء ، وسمى بالملك الغازى لأنه صد الكثير من غزوات المغول وهجماتهم ، وحاصرهم ونكل بهم ، ولما ولى قطب الدين ولاه مدينة دبال بور وأعمالها ، وعهد الى ابنه محمد تغلق بامارة الخيل وظل يشغل هذا المنصب فى عهد السلطان خسرو شاه ، فلما استاء تغلق من خسرو شاه الذى اغتصب العرش ، وقتل السلطان ، وأباح للهنود الوثنيين اظهار نحلهم ، والتنكيل بالمسلمين ، واظهر أمورا منكره منها النهى عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود (٢) ، واعلن أى تغلق الثورة والخروج على الطاعة، وكان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم فى القتال ، وكتب الى كشلوخان ـ أمير الملتان ـ يطلب منه القيام بنصرته والأخذ بثأر قطب الدين لسابق فضله وأخلاصه ، ولكن كشلوخان اعتذر لأن ابنه فى خدمة السلطان فى دهلى ، فحرض تغلق ابنه باصطحاب ابن كشلوخان ، والهرب سويا من دهلى ، فلحق الرجلان بتغلق ، وحينئذ واتت الفرصة تغلق ، فحشد انصاره ، واعد العدة ، والتف حوله الكثير من الناس ، فقوى أمره ، واشتد بأسه ، وانضم اليه كشلوخان وزحف الجيش الثائر الى دهلى ـ كما اوضحنا ـ وهزم تغلق جيش السلطان بقيادة أخيه ـ خان خانان ـ واستولى على خزائنه ، وشتت شمل جنده ، وقصد تغلق دهلى ، وخرج اليه خسرو خان فى عساكره ، وفرق الاموال على انصاره، ودارت رحى معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة تغلق غير أن الجند السلطانى انشغل عقب المعركة فى جمع الغنائم فباغتهم جند تغلق على حين غفلة منهم ، وهزموهم شر هزيمة ، ولاذ من نجا من العدو بالفرار ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

فدخل جند تغلق دهلى لا يعترضهم معترض ، ولا يعوقهم عائق ، ودخل تغلق القصر الملكى ، وجلس على سرير الملك ، وقدم الناس لمبايعته (١) . وبذلك انتقل حكم سلطنة دهلى من الخلجيين الى بنى تغلق .

***

لم يقدر لسلطنة دهلى الاسلامية الهدوء والاستقرار فى عهد بنى تغلق ، وانما كثرت القلاقل والاضطرابات فى الدولة وتعرض سلاطين هذه الاسرة للمؤامرات التى تستهدفهم بالدرجة الاولى لانتزاع كرسي الحكم منهم ، بل تآمر الابن على أبيه ، كما حدث سنة ١٣٢٥ ؛ ذلك أن محمد ابن تغلق ثار على أبيه ، وكان الأب ينقم على ابنه تقربه للولى نظام الدين البذوانى ، وساءه منه أمور منها استكثاره من شراء المماليك وأجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس ، فلما عاد تغلق من سفره ، أمر ابنه باقامة قصر فى الطريق الى دهلى ، وأقام محمد بن تغلق القصر ومعظم بنائه من الخشب وصمم هذا القصر بحيث اذا وطئتها الفيلة ، وقع ذلك القصر وسقط ، ونزل السلطان بالقصر ، وأطعم الناس وتفرقوا ، واستأذنه ولده فى أن يعرض الفيلة بين يديه وهى مزينة فأذن له ، فلما وطئت الفيلة القصر ، سقط الكشك على السلطان وولده محمود ، ولقى السلطان حتفه ، ودفن بخارج البلدة التى سميت بأسمه ، تغلق اباد ، وبها كانت خزائن تغلق وقصوره ، وبها القصر الأعظم ، واستولى محمد على هذه الكنوز ، وولى السلطنة ، ولقب ابو المجاهد محمد شاه(٢).

كان السلطان محمد بن تغلق غريب الاطوار ، فهو احب الناس الى اغداق العطاء ، واراقة الدماء ، فلا يخلو بابه من مغن يغنى أو حى يقتل ، وله حكايات كثيرة فى الكرم والشجاعة ، والفتك والبطش بذوى الجنايات وهو اشد الناس مع ذلك تواضعا ، وأكثرهم اظهارا للحق والعدل ويتشدد فى تأدية الفرائض الاسلامية ، ويعاقب تاركى الصلاة وفاطرى رمضان (٣).

رأى السلطان محمد بن تغلق نقل حاضرة دولته الى مدينة ديوكر

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٣) Rawlinson. A Short Cultural Hist. of India. p. 232.
IBID. P. 232.

لحصانتها وتوسطها مملكته الواسعة المترامية الاطراف ، ولكى يأمن من خطر المغول الذين يهاجمون دهلى من وقت لآخر ، وأسمى العاصمة الجديدة دولت اباد ، وأمر سكان دهلى بترك بلدهم ، والهجرة الى العاصمة الجديدة طوعا أو كرها ، وشق الطرق المؤدية الى دولت اباد ، وحمل سكان دهلى أمتعتهم ، وهاجروا من مدينتهم الحبيبة الى قلوبهم كارهين (١) ، وساروا الى مقرهم الجديد على كره منهم فى رحلة شاقة ذاقوا فيها ألوان العذاب وهلك كثيرون منهم ، وخربت دهلى بهجرة أهلها منها ، واصبحت بلدة موحشة ، تبكى قصورها ودورها من شيدها وبناها وأقام صرحها . أما المهاجرون من ديارهم وبلدهم ، فلم يستطيعوا المعيشة فى المدينة الجديدة ، وقاسوا ويلات الجوع والحرمان ، لأن سبل المعيشة فيها غير متوفرة وغير كافية للقادمين الجدد (٢) ، وقد ارتكب السلطان خطأ جسيما لأنه لم يراع الشروط الواجب توافرها فى تشييد المدينة الجديدة ، فيجب أن تقع فى بقعة زراعية تكفل لسكانها العمل والعيش ، أو على طريق تجارى ، يضمن لأهلها المعيشة من عمليات البيع والشراء فضلا عن طيب الهواء للسلامة من الامراض (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد تراجع السلطان عن قراره بعد أن ادرك فشل مشروعه ، وأمر اهل دهلى بالعودة الى بلدهم ، غير أن دهلى قد تطرق اليها الخراب والدمار ، ولم تعد تصلح للحياة ، فشيد السلطان لهؤلاء القوم الذين قاسوا الشدائد من سياسته الفاشمة ، مدينة جديدة قرب دهلى ، كفل لهم فيها اسباب الحياة الميسرة ، والأمن الغذائى(٤) .

لم تستقر الأمور فى سلطنة دهلى فى عهد محمد بن تغلق فقد قامت ضده عدة ثورات ، وحركات استقلالية ، واضطربت الدولة اضطرابا شديدا فغادر السلطان دهلى — على الرغم مما كانت تقاسيه من مجاعة — الى اقليم الدكن ، لقمع ثورته ، لكنه اضطر الى العودة الى دهلى بعد أن فتك الوباء بجنده سنة ١٣٣٥ م ، كما أعلنت البنغال الاستقلال عن دهلى بقيادة فخر الدين ، ولم يستجب امراء البلدان

---

(١) IBID. P. 233.

(٢) IBID. P. 233.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، ص ١١٣ .

(٤) Rawlinson India P. 233.

المجاورة للبنغال لأوامر السلطان بالخروج الى البنغال ، وقمع الثورة . مما يدل على أن سلطان دهلى قد فقد نفوذه فى تلك البلاد .

وعمت الفتن والاضطرابات لاهور وذيوكر وغيرها من الولايات الهندية ، ولم يستطع السلطان القضاء على هذه الفتن ، وتوفى سنة ١٣٥١ م بعد ان تدهورت سلطنة دهلى ، واستقلت معظم ولاياتها (١) .

لم يكن للسلطان محمد بن تغلق وريث يخلفه ، لذا ولى ابن عمه فيروز تغلق الحكم من بعده ، وقد حكم هذا السلطان بالعدل ، وسار فى الناس سيرة حسنة ، غير انه واجه بعض المتاعب الداخلية ، فقد ظلت البنغال على تمردها وتزعم الحركة الانفصالية فيها حاجى اليأس ، لذا لم يتغاض هذا السلطان عن هذه الحركة ، وعول على اعادة البنغال الى حوزته ، وارسل منشورا الى الاهلين يدعوهم الى الاستسلام والعودة الى الولاء والطاعة الى سلطان دهلى ، ووعدهم بالعفو والصفح ، ورفع الضرائب عنهم سنة كاملة أن استجابوا لندائه ، واذاع فى منشوره بانه مفوض من قبل الخليفة العباسي بالقاهرة ، وأن الخروج عليه خروج على الاسلام ، وسار هذا السلطان الى البنغال ، وطهر البلاد فى طريقه من المتمردين ، ودخل اقليم ججنكر ، ودخل الراجا فى طاعته ، بل اعتنق الاسلام ، كما ان حكام المدن المجاورة ، اقبلوا على السلطان معلنين اسلامهم ، والدخول فى طاعته (٢) .

كذلك عاد الزط فى لاهور وما جاورها الى التمرد والعصيان ، فعهد فيروز شاه الى أحد قواده لقمع حركة الزط ، فدخل معهم فى معركة حاسمة ، أدت الى هزيمتهم ، وأسر زعيمهم (٣) .

أما عن الدكن فقد اتجه أهلها الى الاستقلال عن دهلى ، وتمكنوا منه فعلا منتهزين فرصة انشغال السلطان بمتاعبه الداخلية والخارجية ، وقد تعددت الثورات فى الهند حتى نتج عنها ضياع مساحات كبيرة من الاراضي من سلطنة دهلى (٤) .

---

(١) IBID. P. 233.
(٢) Prasad, p. 227.
(٣) IBID. P. 227.
(٤) Rawlinson : India. p. 234.

على أن هذا السلطان كان محبوبا من رعاياه ، فقد كان بارا بالفقــراء وانشا ديوانا للخيرات لمساعدة الفقراء على قضاء ضروريات حياتهم ،وتقديم معونات مادية للفتيات الفقيرات فى حالة الزواج ، واعانة الاطفال اليتامى والعجزة والشـــيوخ (١) .

لكن سلطنة دهلى ظلت مسرحا للقلاقل والاضطرابات . ففى أواخر عهد السلطان فيروز شاه ، فوض هذا السلطان أمور دولته الى وزيره خان جهان ظفرخان ، ولكن هذا الوزير أخل بالثقة التى منحها له السلطان ، واعتزم الاستحواذ على العرش ، وازاحة ولى العهد ، محمد بن فيروز من طريقه حتى يخلو له الامر ، وضم اليه فعلا بعض الامراء ورجال الدولة ، وحرض السلطان على خلع ابنه من ولاية العهد بتهمة انه يتآمر عليه مع بعض اعدائه ولكن السلطان فطن الى سوءنوايا وزيره ، وعزله ، ومن ثم انفرد محمد بن فيروز بأمور البلاد بلا منازع ، ولكن هذا الامير كان سيء السيرة ، قاد البلاد الى الدرك الاسفل ، وعكف على اللهو والعبث بل اعتمد على عناصر الســوء فى البلاط وخارجه ، فثار عليه الامراء ورجال الدولة ، والتفوا حول ابنى اخى السلطان ، بهاء الدين وكمال . وبذلك أصبح فى دلهى فريقان يتنازعان السلطة والنفوذ ، وتصدى كل فريق للآخر ، وتدهور الوضع فى البلاد تبعا لذلك ، ودارت معارك دامية فى شوارع دهلى بين الفريقين ، فلم يــر السلطان الشيخ بدا من الخروج من عزلته ، وظهر للناس ، واقنعهم بلزوم الطاعة والهدوء والسكينة ، والتوقف عن اعمال الشــغب ، وكان لنــداء هذا السلطان الطيب تأثير كبير في قلوب الاهلين ، فهدءوا واستكانوا ، وكفوا عن اثارة الفوضي والفتن (٢) .

عزل السلطان ابنه محمد من ولاية العهد لانه من عوامل الاضطرابات فى دهلى ، واسند ولاية عهده الى حفيده غياث الدين بن فتح خان ، ولم يلبث أن توفى السلطان الشيخ ، وولى حفيده الشــاب الحكم . على ان السلطان الجديد لم يكن جديرا بتولى مهام الحكم ، وهو في غضاضة الشباب، فقد انصرف الى اللهو والعبث ، وأغفل مشورة الامراء وأهل الحل والعقد فى الدولة ، فثاروا ضده ، وكثر المعارضون له ، وقاد الحملة ضده ابن عمه ابو بكر ، وهاجم الثوار القصر الملكى ، فلاذ السلطان بالفرار منه ، على ان

---

(١) IBID. p. 235.
(٢) Rawlinson. op. cit. p. 241.

الثوار لحقوا به ، وقتلوه بعد ان حكم البلاد ما يقرب من خمسة اشهر ، وولى ابو بكر السلطنة (١) .

على ان محمد بن فيروز لم يتغاض عن حركة ابن عمه أبى بكر ، واغتصابه العرش ، فجمع حوله الكثير من الانصار فى الدؤاب وقوى أمره ، واشتد بأسه ، ودخل دلهى واقتحمها ، وقبض على السلطان الجديد أبى بكر سنة ١٣٩١ ، وولى هو السلطنة . على أن البلاد لم تهدأ فى العهد الجديد ، وانما ظلت مضطربة متوترة وتنافس الامراء ورجال الدولة حول السلطنة والنفوذ ، وانقسم الناس الى احزاب وشيع ، حتى جنح كثير من حكام الولايات وأمراء الهنادكة الى نبذ سيادة دهلى والاستقلال بما فى ايديهم من بلاد وحصون (٢) .

وظلت سلطنة دهلى فى هذا الوضع المضطرب حتى توفى آخر سلاطين آل تغلق سنة ١٤١٢ ونصب اعيان دهلى دولت خان ــ من الاسرة اللودية ــ حاكما على البلاد ، وتعرضت سلطنة دهلى للغزو التيمورى فى الفترة من ١٣٩٨ حتى ١٤٩٠ م ، الذى اهلك الحرث والنسل ، وأتى على الاخضر واليابس ، وأقام الخضر خانيون ــ الذين خلفوا آل تغلق ــ دولتهم في دهلى فى ظل هذا الدمار وكان خضرخان أول افراد هذه الاسرة من امراء فيروز شاه التغلقى ، وكان واليا على الملتان ، ولما توفى محمود شاه التغلقى اعلن استقلاله .

الامارات المستقلة فى الهند عن دهلى

لم يكن سلطان دهلى طوال العصور الوسطى قادرا على السيطرة على الولايات التابعة لملكته ، ومن ثم استقلت بعض الولايات عن دهلى خصوصا البعيدة النائية عنها ، حتى اندمجت نهائيا فى امبراطورية المغول ، وهذه الامارات Jaunpur Mandu وكشمير والبنغال ، واستقلت كذلك مملكة الكجرات سنة ١٤٠٠ وشيد السلطان احمد شاه ١٤١١ ــ ١٤٤١ مدينة احمد آباد لتكون عاصمة لملكة الكجرات ، وتقع فى وسطها ، وتشتهر هذه المملكة بثرائها ، وتقدمها فى صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية ، وتتصل

(١) IBID. p. 244.
(٢) IBID. p. 245.

بالبحر بسهولة ويسر ، وقد اشاد الزوار الاجانب بمدينة احمد آباد ، وذكر بعضهم انها من اجمل مدن الارض ، وشبهها آخرون بالبندقية (١) .

ومن اشهر سلاطين الكجرات محمد بياجارها (١٤٥٠ ـ ١٥١١) وكان له تأثير كبير على الزوار الاجانب مثل الرحالة الايطالى Ludovico di Varthema ، ومظهر هذا السلطان أثار الدهشة . طويل القامة ، حاد المظهر ، له شنب كثيف ، ولحية تتدلى الى وسطة ، ويتخذ أدوية تحصنه من السم (٢) .

ولى محمود العرش فى سن الثالثة عشرة ، ورغم صغر سنه استطاع أن يسيطر على البلاد ويتغلب على خصومه ، وسيطر على بعض البلاد المجاورة وتغلب على دولة Champanir الهندية ودخل خلفاؤه في حروب مع الراجبوتين في وسط الهند ، وفي سنة ١٥٣٤ استولى السلطان محمود (١٥٢٦ ـ ١٥٣٧) على شيتور ولاذ أميرها بالفرار ، وألقت النساء فى هذه البلدة بأنفسهن فى النار حتى لا يقعن فى الأسر ، وتعرض رجال شيتور لسيوف المسلمين ، ومزقوا شر ممزق . على انه فى العام التالى هزم سلطان دهلى همايون ، سلطان بهادور ومن ثم سادت الفوضي والحروب الاهلية أمارة الكجرات حتى امتلكها الامبراطور المغولى اكبر سنة ١٥٧٢ م (٣) .

واشتهرت العاصمة أحمد آباد بجمال مبانيها ، وشيد بها العديد من المساجد،وتميزت بأرتفاع ورشاقة مآذنها.وشيد السلطان محمود بغارها قصرا على ضفاف بحيرة صناعية في سارخيج ، وتقع على بعد اميال قليلة من المدينة . على أن أهم انجازاته العمرانية ، المسجد الجامع فى شامبانير وبه قبة رائعة ومآذن واعمدة ، ومزين من الداخل ، ونقشت على جدرانه آيات قرآنية ، ويعد من أجمل المنشآت الدينية وابهاها فى غرب الهند (٤) .

وفى سنة ١٣٤٧ خلال حكم محمد تغلق ، انتهز ضابط افغانى يسمى

---

(١) Rawlinson. op. cit. p. 249.

(٢) Rawlinson. op. cit. p. 250.

(٣) Manual of Indian Hist. p. 176.

(٤) IBID. P. 177.

حسن جانجو الفرص ليكون دولة مستقلة عاصمتها Gulbarage في جنوب غرب الهند وتسمى دولة حيدر آباد ، واستمرت مملكة البهمانى من سنة ١٣٤٧ حتى سنة ١٤٨٢ ، وامتدت فى ابان قوتها من البحر الى البحر ، واشتملت على حيدر آباد ومنطقة فى جنوب مدراس ، وجزءا من منطقة بومبى ، ومن الطبيعى أن يدخل أمراء حيدر آباد فى حروب مع الحكام الوراثيين الذين انتزعوا منهم الحكم . واشتمل بلاط ملوك البهمانى على مواطنين واجانب . وقد تحيز ملوك البهمانى الى الاجانب دون المواطنين الذين عمدوا الى اضعاف شأنهم ، وانتهجوا سياسة دعوة فريق من المغامرين من العرب وفارس وبلاد الأفغان ، وأسندوا اليهم المراكز الهامة فى البلاد . وأدى ذلك الى احقاد عميقة . وزاد الامر سوءا أن القادمين الى البلاد من الشيعة . أما المواطنون فسنيين (١) .

انقسمت مملكة البهمانى الى أربع ولايات ، تتمتع كل منها بقدر من الاستقلال ولكل حاكم من حكام الولايات جيشه ، ومن حقه فرض الضرائب وجبايتها من ولايته ويعين الموظفين الذين يساعدونه فى حكم الولاية . وبالجملة كان يشرف على الشؤون الادارية والمالية والدفاعية لولايته . أما السلطان فيساعده ثمانية وزراء ، كل مسؤول عن اختصاصه مثل المالية او الشؤون الخارجية ، القضاء ، الامن ... الخ ونظم ملوك هذه الاسرة الجيش أحسن تنظيم (٢) .

لما توفى مؤسس هذه الاسرة سنة ١٣٥٨ خلفه ابنه محمد الاول وبدأ هذا الملك حكمه بأن حصل على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي بالقاهرة حتى يضفى على حكمه الصفة الشرعية .

نشبت حرب بين مملكة بهمانى ومملكة Vijayanagar ، تقدم فيها جيش بهمانى عبر أراضي العدو ، ولكنه لم يستطع مهاجمة أراضيها . وانتهت الحرب بعقد اتفاقية سلام بين الطرفين (٣) .

وولى محمد الثانى العرش سنة ١٣٧٨ ، وكان حاكما عادلا مصلحا شجع العلوم والآداب ، ودعا الى بلاطة الشاعر حافظ بن شيراز ، وشيد مدارس لأبناء المسلمين اليتامى ، وحاول بكل ما يستطيع تقديم العون وتخفيف المعاناة عن الارامل والفقراء من النساء . ومن سلاطين هذه

---

(١) Rawlinson. op. cit. p. 252.
(٢) IBID. p. 252.
(٣) IBIBD. p. 252.

المملكة الأقوياء فيروز شـــاه (١٣٩٧ ــ ١٤٢٢) كان حاكما مســـتنيرا ومصلحا . وبلغت المملكة في عهده اوج عظمتها وازدهارها . ولقــد فرض الســــلام على مملكة Vijayanagar بعد أن لقنها درسا قاســيا على الرغم من قسوة جيشها وضخامته ، فقد دبر أحد ضباطه خطـــة ناجحة بأن عهد الى بعض جنده بالتنكر في زى مشعوذين ، واســتطاعوا اقتحام معســـكر العدو ، والقوا الذعر بين الجنود الهنود ، وفى خــلال ذلك تمكن الجند المســلمون من مهاجمة العدو ، وهزموهم شر هزيمة . وانتهت الحرب بين الفريقين بعقد معاهدة ســـــلام تعهد فيها راجـــا Vijayanagar بتقديم فيله ومبالغ من المال للسلطان فيروز شاه . وقدم له أحدى بناته ليتزوجها . وتزوج السلطان من ابنة الراجا . غير أن هذا الزواج لم يؤد الى ارساء ســــلام دائم بين المملكتين المتنافرتين (١).

ولقد شـــيد السلطان فيروز المنشآت الضخمة في مملكته ، وكـان يحب ويشجع العلوم والآداب والموسيقى ، واهتم بالدراسات الدينية فى مختلف الاديان ، وكان قصره يضم نساء أوربيات وهنديات ، واستطاع السلطان التفاهم معهن بلغاتهن . وانتهت حياة هذا السلطان بمؤامرة دبرها ضده اخوه أحمد الذى خلفه في الحـــكم ، ونقل هذا السلطان عاصـــمة بلاده الى بدار Bidar ، وتقع فى نقطة هامة ترتفع عن سطح البحر قدر ٢٫٥٠٠ قدم . والى غربها يمتد سهل منبسط يضم اشجار المانجو والتمر هنــدى (٢) .

وآخر من حكـم مملكة البهمانى ، محمد شــاه الثالث (١٤٦٣ ــ ١٤٨٢) ويرجع ما حققه من نجاح في سياسته الى وزيره محمود جوان ، وينتمى الى اسرة فارسية عريقة وعرف عنه المهارة القتالية والحنكة الادارية والعدالة والقدرة السياسية والمالية ، وكان يعيش حياة زهد وتقشف ، واسس مدرسة في بــدار ، مبناها ضـــخم مرتفع ، وغــرف المحاضرات مضيئة ، وتشتمل مكتبة المدرسة على ثلاثة آلاف مجلد ، وبالمدرسة غرف للأساتذة والطلاب ومسجد ، والواجهة نقش عليها آيات قرآنية .

على ان السلطان قلب ظهر المجن على وزيره ، فقد اتهم بمحاولة خلع السلطان ، وتنصيب نفســه حاكما مستقلا على المملكة . ولقد سعى حكام الولايات وكبار الموظفين الى بث الوقيعة بينه وبين السلطان لانه تشــدد فى مراقبتهم ، ولم يتهاون مع واحد منهم ، فضلا عن انه فارسي الاصـل ،

---

(١) Manual of Indian Hist. p. 178.

(٢) H.R. Major : India in the Fifteenth century. p. 130.

ومازالوا بالسلطان حتى خشي من تآمر وزيره عليه ، ووجه اليه السلطان تهمة الخيانة العظمى ، ودافع الوزير عن نفسه ، وأنكر التهمة ، وحاول اثبات براءته ؛ فحذر الوزير جوان السلطان من مغبة وعاقبة قتله ظلما ، لان ذلك سيؤدى الى فقدانه لشخصيته وضياع ملكه . وقتل الوزير المصلح وهو في الثانية والسبعين من العمر ، بعد أن خدم المملكة باخلاص خمسة وثلاثين عاما . وبعد فترة من الوقت اكتشف السلطان أن وزيره قتل ظلما ، فشعر بالذنب ، وظل يتناول الشراب من الخمر ، وهو يـردد أن محمود جـوان سيقطعه اربا ومازال يشرب حتى توفي (١) .

أخذت المملكة في الضعف والتدهور بعد وفـاة هذا السلطان وعمت الفوضي البلاد ، وساد القتال في الشوارع بين المواطنين الهنود والوافدين الاجانب ، وحكم البلاد ملوك كانوا العوبة في ايدى القواد الاتراك . وظـل الامر كذلك حتى استعان آخـر ملوكها بسلطان المغـول في دهلى ــ بابر ــ لانقـاذه من الفوضي السائدة في البلاد . ودخلت المملكة في حـوزة دهلى ، وتوفي آخر ملوك البهمانى سنة ١٥٢٦ (٢) .

نشأ مجتمع جـديد في مملكة البهمانى من تزاوج العناصر الاجنبية بالعناصر الوطنية . أما الفلاح فى القرية فلم يطرأ جديد على حياته الا فى عهد الوزير جوان ، فقد حقق الزراع دخلا كبيرا نتيجة لسياسته الاقتصادية واستتباب الامن والنظام في البلاد ، وعم العمران حتى تشابكت القرى ، ولقد وصف لنا رحالة روسي أثنا سيوس Nikitin (١٤٧٠ ــ ١٤٧٤) محمود الثانى بأنه فى العشرين من عمره ، وعنده جيش ضخم يتكون من مشاه مسلحين وفيله مهياة لركابها ، وفى كل قرية مسجد يتعلم فيه الاطفال القرآن الكريم ، ويديرها القاضي بمقتضي الشريعة الاسلامية ، وفى المدن مدارس لتعليم اللغتين العربية والفارسية ، ولها اوقاف ينفق من ريعها على ادارتها . واضعف من شان ملوك البهمانى ، ادمانهم للشراب ، الامر الذى تسبب فى ضعف الادارة الحكومية والتدهور الاقتصـادى والادارى وكثرة الحروب الاهليـة .

وملوك البهمانى ، اهتموا عموما بالعمارة ، ويتجلى ذلك في القلاع التى شيدوها في طول البلاد وعرضها ، وادى اختراع البارود الى ضرورة تقـوية القلاع واحيطت بأسوار ضخمة ، اشهرها قلعة دولت آباد .

قلنا ان مملكة البهمانى انقسمت الى اربع ولايات ، ولما ضعفت هـذه المملكة تطلع الولاة الى الاستقلال بولاياتهم ، ومن أقوى هؤلاء الولاة ، يوسف

(١) IBID. P. 132.
(٢) IBID. P. 133.

عادل شاه حاكم ريجابور ، أعلن استقلاله سنة ١٤٨٩ ، وكان عبدا اشتراه الوزير جوان ، وهو الابن الاصغر للسلطان التركى مراد الثانى ، حيث هرب في وقت استخلاف أخيه وهرب من القتل ، وتعرف جوان على مقدرته وأسند اليه وظيفة رئيسية . واثبت يوسف عادل شاه أنه حاكم قدير ومستنير ، استفاد من استاذه جوان ، ترك المذهب السنى ، واعتنق المذهب الشيعى ، وتزوج امراة من Martha واخلص لها ، واستعمل لغة المارتا في المخاطبة ، وكان ذلك من اسباب تقرب الهنود له ، واسند المناصب الرسمية للهنود ، ويصفه فرشته بالحكمة والفصاحة والنجابة وكان موسيقيا بارعا واديبا فذا ، حرص على بث الفضيلة بين وزرائه ورجال دولته وضرب المثل بنفسه ، وحثهم على التعامل مع الاهلين بالعدالة والحكمة ، وجلب الى بلاطه رجالا أكفاء من فارس وتركستان والروم ، وفنانين من مختلف البقاع والاصقاع ، وكفل لهم الحياة الكريمة الهنيئة ، ووضع لخلفائه المبادىء والاسس التى ينبغى للحاكم أن يتحلى بها (١) .

ومن ابرز حكام ريجابور ابراهيم الثانى (١٥٨٠ — ١٦٢٦) واصل سياسة اسلافه الحكيمة ، وشجع التجارة مع القوى الخارجية ، وجلب الى بلاطه الفنانين والادباء وتعاطف مع المسيحيين ، ومنحهم اراض لاقامة كنائس، واهتم بالادب الفارسي ، والادب الاردى على السواء ، وأوجد مدينة Nauraspur كمركز أدبى ودينى ، وآخر حكام بيجابور العظام، السلطان محمد عادل شاه (١٦٢٦ — ١٦٥٦) خضع للمغول مضطرا سنة ١٦٣٦ م (٢) .

ومدينة بيجابور تقع على الفى قدم فوق مستوى البحر ، وبها أسوار دفاعية هائلة ، وعليها ابراج نصب عليها مدافع ، وتمثل هذه المدفعية مهارة وسائل الدفاع ، واشتهرت هذه المدينة بمدارسها وأساتذتها ، ومن أشهر أساتذتها ، محمد قاسم فرشته ، قدم من استراباد ، واستقر في احمد ناجار ، ولجأ الى بلاط ابراهيم عادل شاه الثاني في سنة ١٥٨٩ . وتاريخه عن الاسلام فى الهند ، فريد فى نوعه كتاب فيه الاصالة والنقاوة ، بعيد كل البعد عن التأثر ببلاط السلطان والكتاب مرجعنا الرئيسي عن تاريخ الاسلام فى الهند فى الفترة ما قبل سنة ١٦١٢ وترجم الى الانجليزية بواسطة الكولونيل J. Briggs سنة ١٨٢٩ (٣) .

(١) Rawlinson. op. cit. P. 256.
(٢) IBID. P. 258.
(٣) IBID. P. 258.

الباب الثالث

العلاقات الخارجية

لســـلطنة دهلى الاسلامية

---

١ ـ مع دول الهند المستقلة •

٢ ـ مع المغـــــول •

واجهت سلطنة دهلى منذ قيامها مشـــاكل خارجية معقدة ، فهى معرضة لغزو المغول المدمر من حين لآخــــر والولايات التابعة لها تحاول وتسعى الى الانفصال عنها ، واتبعت السلطنة منذ قيامها سياسة خارجية تتضمن توســـيع رقعة اراضيها فى بلاد الهند ، لذلك اشتبكت فى عدة حروب مع راجات الهند الذين دافعوا عن اســتقلال ولاياتهم بكل ما أوتوا من قوة . وهنـــا يجب ان نتســـاءل عن العوامل التى دفعت ســلاطين دهلى الى بذل الجهود فى توسيع رقعة أراضيهم .

هناك دوافع اقتصادية لها اهميتها ، ذلك أن حكومة دهلى ســـعت الى الاستفادة من اقتصاديات البلاد التى تطلعت الى فتحها مثل أقليـــم الكجرات الغنى . يضـــاف الى ذلك انه من الناحيـــة الاستراتيجيـــة تأمن السلطنة على نفسها كلما ضمت أراض اليها حتى لا تكون محاطة بأعــداء يحاولون الانقضاض عليها فى الوقت المناسب وهناك عامل لا يمكن اغفاله وهو نشر الاســـلام فى غير بلاد الاسلام .

بدأت سياسة التوسع في بلاد الهند في عهد السلطان جلال الدين خلجى ففى نهـــاية ســـنة ١٢٩٢ ، طلب علاء الدين من السلطان جـلال الدين أن يأذن له بغزو فيديشا Vidisha بعد أن أتم فتــــح ما ندور Mandor واجتاز غين Jhain للمرة الثانية ، ووافق السلطان على طلب ابن أخيـــه ، فغادر كره ، وطهر البلاد فى طريقه من الأعـــداء ، وحينما بلغ البـلدة ظهر امامها بقواته ارتاع أهلهـــا ، وفزعوا وجزعـوا ، واخفوا أصنامهم حتى لا تتعرض للتدمير من قبل الجنود المســـلمين ، وهاجم علاء الدين البلدة بقوة وضراوة ، ودمر معابدهم ، وغنم مغانـــم كثيرة ، وعاد الى دهلى يحمل من بين الغـــنائم قطعا من الأصنام التى دمرها (١) ، وامر جلال الدين بالقائها عند بوابات المدينـــة يراها الناس رمزا لانتصار الاسلام على الكفر والشرك بالله ، وكافأ السلطان صهره وابن أخيه علاء الدين بأن اســـند اليه منصب رئيس ديوان العرض (الجيش) واقطعه مدينة أوده (٢) .

وكان عـلاء الدين طموحا ، يتطلع الى خوض غمار حروب يحـــرز فيها انتصارات يجنى منها ثروات طائلة وشهرة فائقة ، أستمع عن ثروة

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 34.

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 36.

مملكة ديفا جيرى فاعتزم غزوها وحشد جيشا قويا في كره لهذا الغرض ، وطلب موافقة السلطان على الغزو ، واغراه بالغنائم التى تؤول اليه من غزوته ، فلقى طلبه استجابة من السلطان الذى كان يولى ابن أخيه ثقة كبيرة ، ويغفل عن نواياه نحوه ، وأمده السلطان بجيش قوى معد خير اعداد ، الأمر الذى جعل علاء الدين مستعدا للغزو بجيش قوى، سار على رأسه الى ديفاجيرى وتقع بين الهند الشمالية وجزيرة دكا ، وفى شمالها وشمالها الغربى تقع مملكة مالوا Malwa وجوجرات ، وفى الشرق والجنوب تقع مملكة تلنجانا Telingana و Dwar as amudra وظلت هذه المملكة في مأمن من الخطر الخارجى ، الذى تعرض له شمال الهند فى الفترة ما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادى حتى تطلع علاء الدين الى غزوها ، وكان يحكم هذه المملكة فى الوقت الذى غزاها فيه علاء الدين أسرة فادافا Vadava وحاكمها يسمى واجاشاندرا Chandra ، وتدعى هذه الاسرة لنفسها نسبا عريقا ، وسيطرت هذه المملكة فى القرن ١٣ على جوجرات ومالاوى والبلاد المجاورة واصبحت قوة يحسب لها ألف حساب وحساب فى شمال الهند ، ولما ولى راجا شندرا الحكم ، حرص على تقوية جيوش مملكته ، وأكد سيطرته على البلاد التى ذكرناها ، وأصلح أحوال مملكته الداخلية ، ونشر فيها الأمن فعم البلاد الرخاء فى سنى حكمه التى تجاوزت خمسة وعشرين عاما ، وانتعشت التجارة وراجت الصناعة وعمرت خزينة البلاد ، ولم يعد لها حكام اجانب ينهبون ثرواتها ، وتطلع علاء الدين الى غزو هذه البلاد طمعا فى ثرواتها الهائلة ، وذهبها الكثير ومجوهراتها الثمينة واحجارها الكريمة (١) .

وقف علاء الدين على قوة مملكة ديفاجيرى ، واستعداداتها العسكرية ، وقوة ملكها ، فأعد جيشا قويا ، وغادر كرة أوائل سنة ١٢٩٦ ، ولكى يغطى موقفه ويوهم ملك ديفاجيرى بأنه لا يقصده ، اتجه الى شانديرى ، زاعما انه يعتزم غزو هذا الحصن الذى يقع في وسط الهند ومنه يتجه الى فيديشا Vudisha وامن جميع الطرق المؤدية اليها ، وعبر بقواته الجبال التى اعترضته ، وسار بعناية فائقة على رأس جيشه ، عبر التلال الوعرة ، واجتاز انهارا ، ولما قرر علاء الدين انهاء المعركة فى أسرع وقت ، لم يبق فى دكا كثيرا حتى لا يثير شكوك ملوك الهند الأقوياء فى نواياه ، ولا يعارضه نبلاء دهلى الكارهين له ، والمتربصين به وحرص

(١) Lal : Hist of the Khaljis. p. 41.

ان يتفوق فى الحرب ، لأن عودته الى كره منهزما ، تضعف من شأنه ، وتعطى لأمرائه سلاحا للنيل منه ، واتجه الى مملكة ديفاجيرى دون أن يسمح لقواته بالاعتداء أو الهجوم على البلدان التى فى الطريق لأن ذلك مضيعة للوقت ، ويبعده عن هدفه الرامى الى اجتياز المملكة فى أسرع وقت ، واطلق اشاعة مؤداها انه يعارض جلال الدين ، ويتجه الى راجا Rujmundri فى تلنجانا قادما لعقد محالفة معه ، حتى لا تتعرض له البلاد فى طريقه الى ديفاجيرى (١) .

ومهما يكن من امر فقد وصل علاء الدين الى مشارف المملكة ، وخرج الناس فيها لمقاومته ، وقادت بعض حركات المقاومة امراتان ، قادت كل منهما فرقة من الجند وتصدت لمقاومة علاء الدين ، وفشل فى صد هجماتها العنيفة ، فانسحب منهزما ، ثم عاود الهجوم ، وأحرز انتصارا رائعا على أعدائه بعد أن ضعفوا ووهنوا ، وانسحبوا من المعركة يجرون اذيال الفشل والخيبة ، وكانت هزيمتهم فادحة ، وخسارتهم مروعة (٢) .

مهدت هذه المعركة التى انتصر فيها علاء الدين ، الى الزحف داخل مملكة ويفاجيرى دون ان يعترضه معترض ، أو يقاومه مقاوم ، واثار علاء الدين حماس جنده ، وابلغهم انه لا يزال امامهم عمل شاق ، ينتظرهم ، واذا كانت النساء في هذه الاصقاع يحاربن بشدة وضراوة ، فماذا يفعل الرجال ؟ واغرى جنده ــ في نفس الوقت ــ الثروات الهائلة والمغانم الكثيرة التى يحصلون عليها من فتح هذه المملكة ، وجدد جنده يمين الولاء والطاعة له ، وتعهدوا بمواصلة الحرب تحت قيادته حتى الموت (٣) .

باغت علاء الدين وجنده المملكة ، ففزع الملك وجزع واستنجد الملك بحلفائه من البلاد المجاورة ،واعتصم بقلعته ، وتقع على تل مرتفع جدا ، قوية التحصين ، وحاصر علاء الدين القلعة ، وشدد عليها الحصار ، حتى

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١١ .
(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٠ .
(٣) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 42.

نفذت المؤن والأقوات ، وقبض علاء الدين على رؤساء التجار ، وكانوا يمدون القلعة بما تحتاجه من مـيرة ، كما استولى على اسطبلات الملك ، وغنم ما فيها من فيلة وخيول . لذا لم يستطع الملك مقاومة الحصار طويلا (١) بعد أن نفذت المؤن والمعدات من القلعة ، واصبح من العسير تزويدها ، وتحرج موقف الملك ، ورأى أن لا طاقة له بعلاء الدين ، واستخدم علاء الدين سلاح الحرب النفسية ، فأشاع أن الجند الذين معه مجرد طلائع لجيشه فقط ، وهو في الطريق الى ديفاجيرى ، الامر الذى اضطر الملك الى طلب الهدنـة ، وعقـدت فعلا ، وبمقتضاها تتوقف العمليات الحربية ، وينسحب عـلاء الدين وجيشه من ديفاجيرى ، ويتبادل الطـرفان أسرى الحرب (٢) .

على ان هذه الهدنة لم توضع موضع التنفيذ ، ذلك ان سنغانا Singhana ولى العهد ــ الذى كان خارج العاصمة وقت الحرب عاد بعد الاتفاق على هذه الهدنة ، وأثاره هذا الاتفاق ، واعتبره هزيمة ونيلا من كرامة الملك ، والملكة فقرر نقض الهدنة ، ومحاربة العدو بكل ما أوتى من قوة ، وأرسل الى علاء الدين يهدده ويتوعده ، وينذره بسرعة الانسحاب بدون قيد أو شرط (٣) .

رفض علاء الدين التهديد ، ولم يكن هناك بد من الحرب والقتال . واعد العدة لمواجهة العدو وقهره ، واتبع في ذلك خطة واضحة ، فأبقى على حصار القلعة بفرقة من جيشه ، أسند قيادتها الى نصرت خان ، وبذلك حال بين الملك وبين الاتصال بابنه العنيد ، ودارت رحى معركة عنيفة بين سنغانا وبين علاء الدين ، وانسحب نصر خان من امام القلعة ، وانضم الى علاء الدين وشدد علاء الدين من هجماته على العدو حتى وهنوا وضعفوا (٣) ففروا الى الحقول المجاورة ، وبعد انتصار علاء الدين ، عاد الى القلعة ، وجدد حصاره لها ، وقتل الكثير من جندها ، واستنجد الملك بعد فـوات الأوان براجات البلاد المجاورة ، وانتهت الحرب باستيلاء علاء الدين وسيطرته على المملكة ، ولم يبق سوى القلعة ، فعاد اليها ، وشدد حصاره لها ، ورأى الملك أن لا قبل له بعلاء الدين ، واستولى على القلعة ، وغنم مغانم

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ٩٦ .
(٢) المصدر السابق
(٣) Lal : Hist of the Khaljis. p. 45.

كثيرة ، منها عدة أحمال من الذهب ، وكميات كبيرة من الاحجار الكريمة والمعادن (١) .

وبذلك حقق علاء الدين هدفه من هذه الحملة ، فقد استسلمت مملكة ديفاجيرى له ، وتعهد ملكها بدفع جزية سنوية ، وتزوج علاء الدين من ابنة الملك وانسحب من المملكة بعد أن حصل منها على ثروات هائلة اختلف المؤرخون في تحديدها وتقديرها ، ولم يكتف علاء الدين بذلك بل اجبر الملك على دفع جزية سنوية عن ولاية Ellichpur الشبور التابعة له ، وأفرج علاء الدين عن اسرى الحرب ، وغادر ديفاجيرى ، وفيطريقه الى كره ، دمر حصن أسير جره Asirgarh الذى يحكمه أحد الراجات ولم ينج من الحصن الا من لاذ بالفرار (٢) .

وبينما كان علاء الدين مشغولا في عملياته الحربية ، سار جلال الدين الى جاولار في مستهل سنة ١٢٩٦ ، وقد غضب من مسلك علاء الدين ، اذ لم يأذن له بمهاجمة ديفاجيرى ، وان كان قد اسعدته الانتصارات الرائعة التى أحرزها هذا الامير في المعارك التى خاضها ضد العدو ، بل عقد احتفالات كثيرة بهذه المناسبة .

ولما عاد علاء الدين الى كره محملا بالغنائم ، لم يتصل بالسلطان جلال الدين عدة أشهر ، ووقعت الوحشة بين الرجلين ، واستعد جلال الدين المسير الى كره لاعادة ابن أخيه الى الطاعة والولاء ، ولكن علاء الدين لما رأى الموقف في دهلى ضده ، ويهدد طموحه ونفوذه ، أرسل الى عمه جلال الدين يستعطفه ويسأله العفو والصفح ، ويعده بأرسال الغنائم والثروات الهائلة ـــ التى حصل عليها ـــ اليه ، فلقيت هذه الدعوة استجابة من الملك الشيخ فأرسل الى ابن أخيه أمانا وعفا عنه وعن كل أخطائه ، ولكن علاء الدين كان يضمر السوء لعمه ، ويتطلع الى التخلص منه ، والقبض على زمام الامور في سلطنة دهلى (٣) .

وانتهت الخلافات بين الرجلين ـــ كما قلنا بتخلص علاء الدين من عمه السلطان ، وولى السلطنة بعد أن تغلب على العقبات التى اعترضته ،

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .
(٣) بارانى ص ٢١٩ .

ودخلت المملكة في عهد جـديد ، تطـلع النـاس من خـلاله الى مستقبل سعيد (١) .

تعرضت سلطنة دهلى لمشاكل خارجية هددت كيانها ووجودها ، فقد شن الغزاة من أهل الهند وغير أهل الهاد عدة حملات عليها ، فلم يكف المغـول عن غـزو سلطنة دهلى سنويا من الشمال الغربى ، كما أن قبائل الكهكرية الشديدة المراس تكررت هجماتها في البنجاب والملتان والسند ، وتثير الرعب والفزع في النفوس وفي جنوب السند تقع مملكة الكجرات الغنية ، ويحكمها أحـد الامراء الراجبوتين ، وبالقرب من الكجرات تقع الممالك المختلفة ، ويحكمها امراء من الراجات ، وكلها مستقلة عن بعضها ، ومستقلة عن سلطنة دهلي ، ولم يستطع الحكام المسلمون السيطرة الكاملة على هذه البلاد ، وفي نفس الوقت تحافظ دول في الهند مثل شيتور Chittor ورانثمبهور على الاستقلال عن دهلى وفي وسط الهند تقع ممالك مالوا و Dhar ويوجين Ujjain وكلها مستقلة . (٢)

بينما حكم راجات الهنود أو الامراء المسلمون بهار والبنغال واوريسا . وفي البنغال بالذات حكم ناصر الدين محمود وخلفاؤه من بعده مستقلين، وكانت الدؤاب في أيدى الاقطاعيين من المسلمين أو الهنود . ولم يصل نفوذ دهلى الى أودة والبلاد المجاورة لها (٣) .

رأى علاء الدين ضرورة السيطرة على كل هذه البلاد ، وتوسيع رقعة دولته على حساب البلاد المجاوره لها ، فبدأ بتنظيم شؤون دولته ، والضرب بيد من حديد على مثيرى الفتن والانقسامات الداخلية ، وفي نفس الوقت أعد جيشا قويا لتنفيذ سياسته (٤) .

تطلع علاء الدين الى مملكة الكجرات ، وكانت من أعظم الممالك الهندية ثروة في العصور الوسطى ، وانتاجها الزراعى يأتى بعد الدؤاب وانتعشت فيها الصناعة ، وراجت التجارة ، ومن موانيها حملت صناعاتها الى بلاد فارس وبـلاد العرب وزارها ماركوبولو ، وأعجب بطيب هوائها ، ونقاوة وعذوبة مائها ، وجمال عمارتها ، وازدهار زراعتها . وجدير بالذكر ان هـذه

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 68.
(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 63.
(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .
(٤) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٧ .

المملكة تعرضت لغزوات الغزنويين والغور والمماليك ، وظلت تحت ظلم الراجبوتيين حتى شرع السلطان علاء الدين في غزوها ، وقسم جيشه الى قسمين أسند قيادة الاول الى يلغ خان ، والثانى الى نصرت خان وقد غادر يلغ دهلى في فبراير سنة ١٢٩٩ ، وامره السلطان بأن يسير من السند ويلحق بالقوة التى يقودها نصرت خان (١) .

اجتاز يلغ خان البلاد التى في طريقه الى كجرات واستولى عليها ، وبدأ بمهاجمة الكجرات ، واستولى على مدينة انهلواره الجميلة ، وقد فزع راجا المدينة ولاذ بالفرار الى ديفاجيرى ، وأسر المسلمون رجاله ، واستولوا على كنوزه ، وتعقبت فرق من الجيش الملك الهارب بينما سارت فرق أخرى الى سومنات ــ وقد أعيد بناؤه بعد أن دمره السلطان محمود الغزنوى ، وصادر المسلمون الثروات الهائلة التى كان يدعها الهنود لزوار هذا المعبد ، ودمروا الصنم ، وحمل الى دهلى واجمع المؤرخون على ان نصرت خان وبلغ خان دمرا مدنا بأسرها في الكجرات ، وغنموا ثروات هائلة من القصور والمعابد في الكجرات (٢) .

سيطرت جيوش دهلى على مملكة الكجرات بعد معارك متعددة مع جندها ، وعادت الى دهلى محملة بالغنائم الهائلة ، تتضمن أسرى من الرجال والنساء والولدان وكميات هائلة من الذهب والفضة والحلى وأمتعة لا تقدر بثمن (٣) .

وفي أثناء عودة الجيش الى دهلى محملا بالغنائم حدثت معركة تمرد في الجيش ، واستولى بعض الجند على قدر كبير من الغنائم ، وقتلوا بعض اقرباء قائدى الجيش بلغ خان ، ونصرت خان ، غير ان المتمردين فروا من الجيش قبل دخوله دهلى خوفا من عقاب السلطان ، ولما بلغ الجيش دهلى ، وعلم السلطان بحركة التمرد ، نكل بأفراد أسر المتمردين ، وكان انتقاما وحشيا بربريا ، حتى ان الطفل كان يقطع اربا اربا (٤) .

وفي خلال غزو السلطان لملكة الكجرات ، أرسل السلطان علاء الدين

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥١ — ٢٥٣ .

(٣) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 71.

(٤) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٣ .

قائده ظفرخان لمحاربة المغـول المحتشـدين بأطـراف الهند ، وهزم القائد الشجاع جيش المغول وسيق الكثيرون منهم أسرى الى دهلى سنة ١٢٩٩ التى فتحت فيها الكجرات (١) .

قضت الحملات التى شنها السلطان عـلاء الدين في أواخـر القرن الثالث عشر على البلاد الهندية المجـاورة ، وعلى معظم الراجـات الاقوياء وخضعوا لسلطان دهلى ، وفي الفترة من سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١٠شن علاء الدين عدة حروب في شمال الهند ، واكثرها شدة وضراوة كانت في صحراء الثار . **وفي الفترة الواقعة بين سنتى ١٣٠٨ ، ١٣١٢ أخضع حكام دكا ، ولكن معظم جهـود علاء الدين تركزت في البنغال حيث واجهت قواته** مصاعب كثيرة (٢) .

اتخذ السلطان علاء الدين كافة الاستعدادات لغزو اقليم البنغال وضمه الى مملكته ، وارسل السلطان فرقا من جيشـه الى هذا الاقليم ، وأمـرجنده بالاتجاه شرقا ، واتخاذ الطريق الشرقى الى البنغال واوريسا ، بينما سار السلطان الى جزيرة دكا (٣) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن البنغال ظلت مستقلة عن دهلى بعد ان حكمها الخلجيون ولم يحاول جلال الدين الخلجى بسط نفوذه على هذا الاقليم النائى البعيد ، وكان يحكمه ناصر الدين محمود بن بلبن حتى وفاته سنة ١٢٩١ ثم خلفه ابنه ركن الدين خلجى ، وكان متمردا وثائراعلى أبيه حتى انه أرسل الى علاء الدين يحالفه ، وعاشت البلاد في مستهل القرن الرابع عشر في قلق واضطراب ، وثار شمس الدين فيروز على أخيه ، واستقل بغرب البنغـال ، وتـاريخ البنغال في هـذه الفترة بالـذات غامض كل الغموض ولا نعرف عن هذين الملكين شيئا ، ولم ترد عنهما أية معلومات اللهم الا العملة التى تحمل اسميهما (٤) .

وقد لقب فيروز نفسه سلطانا . ومن المحتمل جدا أن حركات التمرد والعصيان ضد السلطان علاء الدين وانشغاله في قمعها قد أغرى فيروز بالاستقلال نهائيـا عن دهلى . على أن سياسة علاء الدين ــ كما قلنا ــ

---

(١) Lal : Hist of the Khaljis p. 77.

(٢) تاريخ باراني ، ص ١١١ .

(٣) Lal : Hist. of the Khaljis. 78.

(٤) Camb : Hist. of India, 111. p. 108.

اتجهت الى استعادة سيطرة دهلى على البنغال ، بـل كان يتطلع ــ قبل توليته السلطنة ــ الى البنغال والاستقلال بها ، واعد العدة للمسير فعلا الى البنغال والاستيلاء عليها والاستقلال بها ، اذا فشل في تحقيق خطته الرامية الى التخلص من عمه سلطان دهلى (١) .

أرسل علاء الدين ــ كما ذكرنا ــ جيشا الى البنغال لضمها الى مملكته ، بعد انتزاعها من فيروز الذى استقل بها نهائيا عن دهلى . وحوادث غزو البنغال ونتائجه غامضة كل الغموض ، مضطربة كل الاضطراب ، ولكن يفهم من روايات المؤرخين ان جيش عــلاء الدين لم يستطع هزيمة جنــد البنغال ، واخضاع الاقليم ــ تبعا لذلك ــ لسلطان دهلى . وكان علاء الدين في ذلك الوقت مشغولا في قمع حركات التمرد والعصيان التى قامت ضده . على كل حال ظل شمس الدين فيروز يحكم البنغال حكما مستقلا حتى سنة ١٣٢١ (٢) .

ولا يمكن قبول رواية بارانى عن البنغال ، اذ ان عرضه لهذه الفترة التاريخية التى نحن بصدد الحديث عنها ــ يدل تماما على غموض الأحداث بالنسبة له ، فهو يروى أن البنغال كانت فى ســـلام فى ظل حكم ناصر الدين محمود بن بلبن ، وحتى زمن علاء الدين وخلفائه الى أن حكمــها غياث الدين تغلق ، ويخلط المؤرخ بارانى كذلك بين ناصر الدين محمود ، وشمس الدين فيروز ، ويذكر ان ناصر الدين حكم ٤٣ سنة . وهذا القول غير صحيح ، وتؤكد العملة عدم مطابقة قوله مع الواقع . فرواية بارانى غير موثوق فيها عن هذه الفترة . ويردد ــ كما رأينا ــ احــداثا غـــير صحيحة (٣) .

ومهما يكن من امر فقد عادت حملة علاء الدين على البنغال ادراجها الى دهلى دون ان تحقق أهدافها ، وقد ألحق بها شمس الدين فـــيروز هزيمة فادحة ، وبقى آمنا فى بلده بعد انتصاره على علاء الدين ، مستقلا فى حكمه ، قويا فى مملكته .

على ان علاء الدين الخلجى لم يقف مكتوف اليدين ازاء هزيمته بل عول على العودة الى غزو البنغال ، والعمل على تحقيق هدفه الرامى الى

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٣ .
(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .
(٣) بارانى : تاريخ فيروزشاهى ، ص ٣٩٥ .

السيطرة على هذا الاقليم ، ولكنه رأى أن يبدأ بالامارات التى يحكمها الراجات حكما مستقلا عن دهلى ، ورأى أن هزيمتهم والسيطرة على بلادهم تكسبه هيبة كبيرة فى بلاد الهند ، ويرفع من شأن سلطنة دهلى (١) .

بدأ علاء الدين حملاته على بلاد الراجبوتيين بأن هاجم جيسالمير Jais almer ، وجدير بالذكر أن السلطان جلال الدين شن عليها حملة من قبل ، ولا تشير المراجع التى كتبها المسلمون المعاصرون عن وقت غزو علاء الدين لهذه البلدة ، الا أن المراجع الفارسية تشير الى أن ذلك تم في اثناء مسير جيش علاء الدين الى الكجرات سنة ١٢٩٩ ، ولكن الراجبوتيين يشيرون الى غزو علاء الدين لجيسالمير ، وان كانوا لا يذكرون موعد هذا الغزو كعادتهم فى تسجيل الأحداث التاريخية ، وقد تم ذلك بقيادة يلغ خان الذى كان يقود جزءا من الجيش الذى سيره علاء الدين الى الكجرات ، وقد احتل هذا الجيش الحصن ، وقتل عددا كبيرا من كفار الهنود ثم غادر البلدة الى الكجرات بعد ان ترك في البلدة حامية استقرت في قلعتها (٢) .

بعد ذلك أعد علاء الدين العدة لغزو رانثمبهور ولهذا الاقليم أهمية خاصة لدهلى ، لقربه منها ، ولأن جلال الدين سبق أن فشل فى السيطرة عليه يضاف الى ذلك حصانتها ومناعتها ، ويعمل لقوتها كل حساب وقد تكون خطرا على أمن وسلامة سلطنة دهلى ، والسبب المباشر لغزو علاء الدين لها يرجع الى أن راجا هذه البلدة ، ساعد ووقف الى جانب راجا جيسالمير ضد غزوات دهلى ، وقد تعرضت هذه البلدة لغزوات القادة المسلمين قبل جلال الدين ، ولكن لم يستطع واحد منهم السيطرة الكاملة عليها (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد أمر السلطان علاء الدين قائديه يلغ خان ونصرت خان بالمسير الى رانثمبهور بسنة ١٣٠٠ (٤) ، وتحركت جيوش دهلى صوب حصنها المنيع وفى طريقهم احتلوا غين Jhain بدون أن

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 80.
(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 84.
(٣) Camb : Hist of India, 111. p. 832.
(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٧٢ .

تصادفهم مقاومة ، وارسل يلغ خان الى أمير رانثمبهور يطلب منه التسليم حفظا لدمائه ودماء قومه وحماته ولكن الراجا رفض الاستسلام ، وآثر الحفاظ على تقاليد أسرته وشرفها ومجدها التى ترفض وتتصدى بكل قوة للغزو الخارجى ، وترفض السيطرة الخارجية مهما كانت التضحيات (١) .

وعلى ذلك فقد أمر يلغ خان قواته بالأهبة والاستعداد وسرعة المسير الى رانثمبهور ، وعسكر بجوارها ، وحاصرها وشدد عليها الحصار ، ونصب المنجنيقات وادوات الحصار وأعد راجا رانثمبهور العدة لمقاومة الحصار ، وقهر الغزاة ، وكان جيشه يتألف من ١٢ ألف فارس وعديد من المشاة ، ويضم الجيش عددا كبيرا من الفيلة وانهالت القذائف من رانثمبهور على القوات الخلجية ــ كما يقول ناصر خسرو ــ وأدت الى مصرع نصرت خان . وقد انتشر الذعر بين المسلمين بفقد القائد ، وتأثرت روحهم المعنوية ، وضعفوا ووهنوا ، وأدرك راجا وانثمبهور اضطراب الجند الخلجى ، فهاجم قوات المسلمين ، وحطم خطوطهم الدفاعية ، ولم يستطع يلغ خان التصدى له ، ووقف هجماته ، وهزم جند دهلى ، ولاذوا بالفرار الى جيسا لمير . وبذلك فشلت محاولة علاء الدين فى السيطرة على رانثمبهور ، وقرر علاء الدين المسير بنفسه لتحقيق هدفه الرامى الى السيطرة على رانثمبهور ، واضعاف قوة الراجبوتين الفرسان (٢) .

على أن علاء الدين اعترضته عقبات أثناء مسيره الى رانثمبور ، وقامت ضده عدة ثورات وحركات تمرد ، وبعد أن انتهى منها سار الى رانثمبهور ، وشدد الحصار على قلعتها ، وأثار حماس قواته ، واستمر الحصار عدة أسابيع ، قاسي فيه جند دهلى ويلات الشقاء والبؤس ، ذلك أن المدافعين عن القلعة القوا على المهاجمين مواد مشتعلة انهكت قواهم . كما قاست قوات العدو المحاصرة من نقص في المؤن والقوت ، والجوع كافر ــ كما يقولون ــ لذا ضعفت مقاومة جند رانثمبهور ، ووهنت عزيمتهم ، واشتد بهم الكرب ، أما السلطان علاء الدين فكان يشجع قواته على المضي قدما فى مهاجمة العدو ، وينفق الاموال الطائلة فى مرضاتهم ، فطابت نفوسهم ، وقويت عزيمتهم (٣) .

---

(١) Munshi. op. cit. 180.
(٢) IBID. P. 181.
(٣) Camb : Hist of India 111. p. 517.

دارت رحى معركة فاصلة بين الفريقين ، اريقت فيها دماء غزيرة ، وقتل في هذه المعركة الكثير من الراجات الذين اشتركوا فيها الى جانب حليفهم راجا رانثمبهور ، ومن القتلى راجا هامير ، بعد ان حارب ببسالة نالت اعجاب معاصريه ، وكتب كتاب كثيرون عن هــذه المعركة ، وكتبوا عن اســاليب الفروسية التى اظهرها الراجات في حربهم ضد علاء الدين ، وجمع بــين الراجات تحالف وثيق ضد العدو المشترك ــ عــلاء الدين ــ الذى اصبح خطرا يهدد استقلال بلادهم (١) .

على كل حال انتصر علاء الدين على اعدائه واستولى على رانثمبهور وحطم اصنامها ، ودمر بعض المعابد ومن بينها معبد هارديفا Har Deva الذى جعله الســلطان دكا ، ودمر الكثير من منــازل البــلدة . واصبحت رانثمبهور تابعة لسلطنة دهلى ، وعهد السلطان الى يلغ خان بالاشراف على قلعة رانثمبهور . كذلك ضم علاء الدين الى حوزته غين (٢) .

شجع هذا النصر الرائع الذى احرزه ســلطان دهلى في رانثمبهور ضد حاكمها الراجبوتينى ، شجعه على مواصــلة النضــال ضــد الامراء الراجيوتيين في ارض الهند ، وجاء دور شيتور Chittor اقوى قلعة في الراجبوتانا وتقع على تل ارتفاعه خمسمائة قدم ، قويــة التحصين ويحكمها راجا مستقل حتى سنة ١٣٠٣ حين غزاها علاء الدين (٣) .

ظلت شيتور زمنا طويلا عاصمة لاقليم ميوار Mewar وتعرضت لغزو السلطان التمش ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها ، كما غزاها ناصر الدين محمود سلطان دهلى ــ وفي سنة ١٢٩٩ هاجم يلغ خان ميوار ــ وهو في طريقه الى الكجرات ــ ولكنه هزم (٤) .

سار علاء الدين الى شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وحاصر القلعة، وشدد عليها الحصار ، وباشر السلطان بنفسه عملية الحصار ، واستعان براجات البلاد المجاورة ، غير انهم لم ينظموا عملية انقاذ شيتور ، ذلك ان الخلافات كانت شديدة بينهم من ناحية ، وبين بعضهم وراجا شيتور من ناحية اخرى ، لذا لم توضع خطة موحدة لانقاذ شــيتور ، وخرج لنجدته

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 96.

(٢) Munshi. op. cit. p. 181.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠

منهم من خرج متفرقى الكلمة . ومهما يكن من امر فقد اشتدت مقاومة جند شيتور في القلعة حتى تحولوا في بعض فترات الحرب من الدفاع الى الهجوم ، غير ان علاء الدين شدد هجماته على العدو ، والقى قذائف عديدة على القلعة حتى اشتد اليأس بين أهل شيتور واقام النساء خنادق تحت الارض ، واحرقن انفسهن فيها حتى لا يقعن اسرى في ايدى اعدائهم ، ومن بينهن نساء الامراء والفرسان الراجبوتيين (١) .

واصل السلطان علاء الدين تشديد هجماته على القلعة ، حتى استسلمت في اغسطس من نفس السنة ، بعد ان بذل جند دهلى جهودا مضنية في الحرب وامر السلطان علاء الدين بقتل كل من وقع في يده من العدو ، ودمر المعابد واحرق الاصنام وكل مظاهر الشرك ، ويختلف المؤرخون حول مصير راجا شيتور ، فيرى بعضهم انه قتل في اثناء المعركة، ويرى آخرون انه قتل بعد المعركة ، ويؤيد خسروخان الرأى الاخير ، وجدير بالذكر انه رافق السلطان علاء الدين في الحرب (٢) .

استسلمت قلعة شيتور بشرط دفع الجزية لسلطنة دهلى ، وضم علاء الدين شيتور الى حوزته ، وضبط الامور في البلدة ، واعاد اليها الامن والطمأنينة ، ونظم ادارتها في ظل الحكم الجديد ، وعاد الى دهلى مسرعا ، اذ كان يتوقع غزوا مغوليا لدولته (٣) .

ازدادت هيبة السلطان علاء الدين في بلاد الهند على اثر سيطرته على رانثمبهور الحصينة والقوية وعلى شيتور ، وتغلبه على المعارك الضارية التى خاضها ، لذا خشي بعض الامراء الراجبوتيين من ان تدور الدائرة عليهم ولا طاقة لهم بسلطان دهلى ، وارسلوا يقدمون اليه فروض الولاء والطاعة . على ان راجا ماهلاك Mahlak حاكم مالوا Malwa رفض الاستسلام لدهلى ، واعد العدة لمقاومة السلطان الخلجى (٤) .

وجدير بالذكر ان الجيوش الاسلامية غزت البلاد قبل علاء الدين ، غزاها شمس الدين التمش سنة ١٢٣١ ، واستولى على بعض حصونها ،

---

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٩٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) Lal : Hist of the Khaljis. p. 113.
(٤) Majumdar. op. cit. p. 295.

ودمر المعبد المشهور ماهلاك Mahlak ، ولكن هـذا الغزو كان خاطفا . وعاد ديفا بالا الى حكم هذه البلاد ــ كما كان الحال من قبل ــ وتعرضت مالوا لغزو سريع ايضا في عهد السلطان جلال الدين (١) .

على ان الغزو الحقيقى الذى تعرضت له مالوا من قبل المسلمين ، كان بقيادة علاء الدين ، سار اليها ــ كما قلنا ــ سنة ١٣٠٣ ، وكانت مهمــة السلطان الخلجى عسيرة معقدة ذلك ان راجا مالوا كان يمتلك جيشا قويا يضم الكثير من المشاة والفرســان ، ويتولى قيادته قائد شجاع ، خبر أساليب الحرب والقتال .

سار علاء الدين الى مالوا ، ودارت معركة بين الجند الخلجى وجند مالوا ، قتل فيها موليتانى ــ القائد المالوى ــ وقد ادى مقتله الى اشــاعة الفوضي والاضطراب بين جنده ، وكانت فرصه ســانحة لجند دهلى ، فشددوا هجماتهم على جند مالوا وانتصر الخلجيون على اعدائهم ، وقتلوا منهم كثيرين ، ثم حاصر الخلجيون القلعة ، وشددوا عليها الحصــار ، وقد عثر الخلجيون على منفذ مكنهم من دخول القلعة وفوجىء جند مالوا بالخلجيين داخل القلعة ــ حصنهم الحصين ــ ودارت معركة رهيبة بــين الفريقين انتصر فيها جند دهلى ، واستولوا على القلعة ، واستسلم جند مالــوا وتبــع ذلك ســيطرة الخلجيين على مالــوا بأسرهــا وكان لهــذا الانتصار الرائع أثر كبير في التطور التاريخى لبلاد الهند ، ذلك ان سلطنة دهلى اصبحت اكبر قوة ضاربة في بلاد الهند ، فضــلا عن ازدياد ضعف الراجبوتيين . وسر السلطان بهذا الفتح المبيين ، والنصر المؤزر ، وامــر باقامة الزينات والحفلات في دهلى عدة ايام ، واقيمت الولائم لاهل دهلى على اختلاف مستوياتهم (٢) .

ومن ابرز نتائج ضم مالوا الى سلطنة دهلى ، تيسير السبيل امــام الخلجيين لبسط سيطرتهم على الكثير من الامارات الرجبوتية ، فدخلت مدن يوغين Ujjain وماندو ود هارنا جارى Dharnagaari وشانديرى في طاعة السلطان الخلجى ، اذ خشي حكامها من غزو السلطان لبلادهم . وعهد السلطان الى عين الملك موليتانى بحكم ماندو بالاضافة الى

---

(١) IBIBD. p. 296.

(٢) Indian Historical quarterl. 1. 1925. p. 653-656.

مالوا مكافأة له على شجاعته وبسالته وقهره للعدو (١) .

لم يكتف علاء الدين بما احرزه من نصر ، بل تطلع الى ضم المزيد من الاراضى الى دولته ، فأعد جيشا سار على رأسه الى سيفانا لفتحهـا ، وكان يحكمها ساتال ديفا Satal Deva — احـد القـادة الراجبوتيين الشجعان في سنة ١٣٠٨ — واعد الراجا العدة لمقاومة الهجوم ، وانضم اليه الكثير من الراجبوتيين وحاصر علاء الدين العدو في القلعة ، وشدد عليها الحصار ، ودام القتال وقتا ليس بالقصير ، وقد صمد المدافعون عن القلعة، وألقوا بالنيران والحجارة على الخلجيين الذين لم تفتر عزيمتهم — رغم ذلك—وقرروا مواصلةالحرب حتى النصر ، ودرس الخلجيون القلعة من جميع جوانبها ، حتى عرفوا نقط الضعف فيها ،وتمكنوا من اجتياز القلعة على أثر ذلك ، واستولوا عليها ، وقد اسقط في يد الراجا فغادر القلعة ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء واتجه الى جالور Jalar ، ولكنـه سـقط في كمين ، ولقى مصرعه . ويذكر امير خسرو ان ساتال ديفا قوى البنيان متين الجسم ، وقد دهش السلطان ورجاله من منظر رأسه الضخم التى أحضرت الى معسكره ومهما يكن من امر فقـد عاد علاء الدين الى دهلى بعد ان سيطر على سيفانا ، وعهد الى كمال الدين جورج Gurg بحكمهـا (٢) .

اعتزم علاء الدين وهو في طريقه الى دهلى ، غزو جالور ، كجـزء من سياسته الرامية الى السيطرة على كل البلاد الخاضعة للراجبوتيين . وجدير بالذكر ان السلطان الخلجى غزا جالور سنة ١٢٩٩ في اثناء عـودة قواته من الكجرات . ويذكر فرشتة (٣) انه فى سنة ١٣٠٤ بينما القائـد نصرت خان وألبخان عائـدين من مالوا ، وبلغا جالور ، استسلم راجـا البلدة للمسلمين ، واعلن ولاءه للسلطان الخلجى ، دون ادنى مقاومة ، لانه خشي ان يتعرض للمصير الذى لقيه حكام البلاد التى غزاها الخلجيون. وأما الغزو الذى نحن بصدد الحديث عنه — فقد حدث سنة ١٣٠٨ حينما ادرك علاء الدين ان جالور لم تعد موالية لدهلى ، فاعتزم اخضاعها ، كما اخضع الممالك الراجبوتية من قبل .

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٥ .

(٢) Lal : Hist of the Khaljis. p. 118.

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٨ .

على كل حال ارسل علاء الدين جيشا الى جالور سنة ١٣١١ ، ولم يعرف اسم قائد الجيش الذى عهد اليه سلطان دهلى بهذه المهمة ، ولكن يبدو ان هذا القائد لم يكن على قدر كبير من الكفاءة والشجاعة ، ودارت عدة معارك بين جند جالور والخلجيين ، هزم فيها جيش دهلى ، ودارت المعارك عدة سنين ، وقد جزع علاء الدين لذلك ، وارسل جيشا قويا اسند قيادته الى قائده الشجاع كمال الدين جورج ، وشدد هذا القائد الحصار على قلعة جالور ، ونثر الذهب على بعض اهالى جالور حتى يكونوا عونا له ، فأخبروه على ممرات سرية تؤدى الى داخل القلعة ، وتمكن القائد الخلجى بذلك من اقتحام القلعة ، ودار قتال داخلها بين الفريقين ، هزم فيه الخلجيون اعداءهم ، وقتلوا منهم الكثيرين ، واستولوا على القلعة وعلى البلدة ايضا (١) .

سقطت جالور اذن في ايدى الخلجيين سنة ١٣١١ ، ولكى يخلد علاء الدين انتصاره ، شيد مسجدا على اشهر قلعة في دهلى ، لا يزال موجودا الى يومنا هذا . وبدخول جالور في حوزة علاء الدين نستطيع ان نقول بأن راجات دول الراجبوتانا دخلوا في طاعة سلطان دهلى جسالمير ، رانثمبهور ، شيتور ، سيفانا ، جالور والبلاد التى تتبع هذه الدويلات ، على كل حال لم ينته النصف الاول من القرن الرابع عشر الا وكان الراجبوتيون قد ضعف امرهم ، ولم يعد لهم شأن في بلاد الهند وخضعت بلادهم لسلطنة دهلى ، وفقدوا ما اتصفوا به منذ القدم ، بالفروسية والشجاعة (٢) .

* * *

ويجدر بنا ان نناقش الدوافع والاسباب التى ادت الى هزيمة الراجبوتيين امام جيوش علاء الدين على الرغم من قوة بأسهم ، وحرصهم على الاستقلال .

دخل السلطان علاء الدين ـ كما ذكرنا ـ في معارك متعددة مع الراجبوتيين وبالذات في الفترة ما بين سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١١ وحقق فيها انتصارات رائعة على اعدائه ، وقاوموه بكل ما اوتوا من قوة ؛

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .
(٢) المصدر السابق .

لكنه اصر على دحرهم وهزيمتهم ، الامر الذى احدث معارك دموية بين الطرفين ، تكررت في اثناء حصار السلطان لكل حصن .

كان الراجبوتيون ـ على الرغم من اصرارهم على المحافظة على حريتهم ، ودرء كل محاولة تهدف النيل من استقلالهم متفرقى الكلمة ، لم يستطع واحد منهم توحيد صفوفهم في وجه العدو المشترك ، لذا حارب السلطان كل بلد من بـلادهم على انفراد ، الامر الذى مكنه منهم ، وكان الراجبوتيون يلتمسون الامـان في حصونهم المنيعة . وتبـدأ المجاعة تعمل عملها بين الجند ، وتؤدى حتما الى ضعف مقاومتهم وتوقفها في النهاية .

وفي نفس الوقت ينتاب أهل البلدة التى بها القلعة الجزع والفزع ، فاما يفرون منها ، واما يبقون بها تحت رحمة العدو ، وفي هـذه الحالة تضعف عزيمتهم ، ويسـتبد بهم اليأس ، ويضطر نفر منهم من اصحاب النفوس الضعيفة ان يخبر العدو عن ايسر السبل للنفاذ الى القلعة ، واذا استطاع العدو دخول القلعة ، وشدد ضرباته للمدافعين داخلها ، ـ وقد انهك طول الحصار وشدته قواهم ، خصوصا اذا نفذت المؤن والمعدات ـ استطاع المهاجمون ازاء هذه العوامل التغلب على المقاومة داخل القلعة ، والسيطرة عليها ، وربما فرض معاهدة استسلام على حاكم البلدة .

وثمة حقيقة اخرى لا يمكن تجاهلها عند مناقشـتنا لاسباب الهزائم المتلاحقة التى حلت بالرجبوتيين على الرغم من شجاعتهم وبسالتهم ، وذلك ان الراجات ظلوا يحافظون على تقاليدهم التى ورثوها منذ زمن قديم في الحرب ، واستمروا في استخدام الاساليب القديمة الموروثة عن الآبـاء والاجداد ، والاسلحة التى فات اوان استعمالها وعفا عليها الزمن ، وولت ايامها ، ولم يحاولوا الاسـتفادة من التقدم الحربى الذى بلغته بلدان وسط آسيا ، والاسلحة المتطورة التى استخدموها ، واتقنوا اسـاليب استعمالها ، فكان جيش دهلى يستخدم الاسلحة الحديثة وقتئذ ، ويطلع على فنون الحرب خصوصا عند المغول ، واستخدم الآلات الحربية المتطورة ـ خصوصا المنجنيقات ـ حتى اصبح لدى دهلى تكتيكات حربية رائعة ، اما الراجات فكانوا يستخدمون الفيلة الضخمة ، وحكوماتهم ترتكز على مبادىء اقطاعية ، ويعهدون بالجندية في اوقات الحروب الى فئة يختارونها لهذا الغرض ، واذا نشبت الحرب ، واعتصموا في القلاع ـ كما ذكرنا ـ واحتاجوا الى تعزيزات من الجند ، فمن الصعب ادخال هذه التعزيزات في القلعة المحاصرة ، بل من العسير جدا اختيار العناصر الصـالحة وهم محاصرون في القلعة .

يضاف الى ذلك ان موارد الثروة في بلاد الراجات كانت محدودة ، فبلادهم جبلية وعرة ، قاحلة ، انتاجهـــا الزراعى محدود جدا يكاد يكفى احتياجاتهم . وهذه الحالة الاقتصـــادية المتدهورة اضعفت من شـــأن الراجات امام اعدائهم في سلطنة دهلى ذات الموارد الاقتصادية المزدهرة ، فمن ولاياتها البنجاب واده وكوجرات اعظم المناطق خصبا في بلاد الهند ، فهى توفر لدهلى الاموال الكثيرة ، والجند ، واذا اجتمع المـال والرجال ، اصبحت عوامل النصر متاحة وممكنة الى حد كبير .

ولكن علينا ان نقرر حقيقة على جانب كبير من الاهميـــة ، ذلك ان الراجات كانوا لا يهابون الموت ، ويرونه شرفا في ارض المعركة ، ودليلا على رضـــاء آلهتهم ونعمة كبرى ، وفي نفس الوقت كان الراجات يتقنون اساليب الفروسية ، لذا كان سقوط بلادهم في ايدى اعدائهم امرا صعبا وعســـيرا ، ولا يتم الا بعد لاى وعنـــاء ، وتضحيات جســـيمة في الانفس والاموال .

على كل حال حارب الراجات حتى المـــوت ، وحينما يأســـوا من المعركة ، ووهنوا وضعفوا ، ألقوا نساءهم في النار حتى لا يقعن في ايـــدى العدو ، ومع ذلك فان ســـيادة دهلى على الامارات الراجبوتية لم تـــدم طويلا ، ذلك لان الراجات دأبوا على المطالبة باستقلالهم ، والتمسوا الأوقات المناسبة لذلك ووضعوا العراقيل في سبيل حكام ســـلطنة دهلى ونجحت بعض البلاد الراجبوتية في نيل اســتقلالها عن دهلى ، لذا فان ســـيطرة دهلى على بلاد الراجبوتانا لم تكن مستقرة ، ولا كاملة ، واستمر الصراع دون انقطاع بين الامارات الراجبوتية وســـلطنة دهلى واســـتولى عـــلاء الدين ــ كما رأينا ــ على رانثمبهور وسافانا وجالور ، البلدة تلو الاخرى دون ان يتحرك الراجبوتيون لمساعدة اخوانهم ، وتجلت الخـــلافات بينهم حينما هاجم علاء الدين سافانا ، ولم يتحرك راجا جالور لمساعدتها ونجدتها ، على الرغم من ان سقوط سافانا يشكل خطرا عليه ، وعلى بلده التى تبعد خمسين ميلا عنها وفعلا دارت الدائرة على جالور ، وسقطت في ايـــدى الخلجيين بعد عامين .

ومن اسباب هزائم الراجبوتيين ان حصونهم تقع على قمم جبال عالية ، بحيث تستعصي على الغزاة لصـــعوبة الصـــعود اليها الامر الذى يضطرهم الى التجمع على سفح الجبل ، وفي هـــذه الحالة تكون المحاصيل والدواب في متناولهم ، فبينما يجد الجيش المحاصر ما يلزمه من المـــيرة

والعلوفة ، فان المدافعين القابعين في القلعة عليهم الاعتماد على ما في القلعة من مؤن وتنفذ اذا طال الحصار .

اتجهت انظار السلطان علاء الدين بعد ذلك الى الدكن وكان هذا الاقليم الى جانب بعده عن العاصمة ، يحكمه عصبة من امراء الهند الاقوياء (١) .

عهد السلطان علاء الدين الى قائده كافور – وكان مملوكا حيشيا قديرا – بفتح الدكن ، فاخترق هو وجنده مالوه ثم الكجرات – اعظم اقاليم الهند التجارية واغناها واطيبها جوا ، ثم هاجم راى كران ، فلاذ بالفرار من بلده ، وهناك انضم بلغ خان ورجاله الى قوات كافور ، فساروا جميعا الى ملجأ غريمهم ، وتم القبض عليه مع افراد أسرته ، وافرج عنه السلطان واعاده الى ولايته ، وزوج ابنته من ابنه . وبذلك ضمن هذا السلطان ولاء الامير الهندوكى (٢) .

القت انتصارات كافور الرعب في نفوس امراء الدكن ، وما يلى بلادهم جنوبا . ففتحت البلاد ابوابها للغزاة المسلمين . وفي سنة ١٣٠٩ استسلمت تلنجانا – قاعدة اقليم اودة – وافتدى قومها انفسهم باموال طائلة وثروات كبيرة حملها الى دهلى الف بعير ، كادت تنوء بها ، عدا مئات من الفيلة ، والوف من رؤوس الخيل (٣) .

شجعت الانتصارات التى احرزها جيش دهلى والغنائم والثروات التى احرزها علاء الدين على المضي قدما في الفتح طلبا للمزيد من الاراضي والثروات . وعاد كافور على رأس جيشه الى دهلى سنة ١٣١٠ بعد ان استولى على اقليم مير في الجنوب الشرقى من الدكن ، ولم يرجع قائد الجيش الجسور من الدكن حتى تم له اخضاع الجنوب الهندى كله ، بل كان سلطان الخلجيين يشمل شبه القارة الهندية كلها . وبالتحديد ترك علاء الدين مملكة تمتد من البنجاب الى البنغال ، ومن جبال الهملايا الى تلال الوندهايا ، وهى الرقعة التى اصطلح على تسميتها الهندوستان (٤)

---

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٧٣ .

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 194.

(٣) تاريخ باراني : ص ٣٧٥ .

(٤) Lane Poole : Medieval India. p. 101.

وبينما تتعرض بلاد الهند لغزاة يهاجمونها من اجل الحصول على الذهب والفضة ، نرى ان السلطان علاء الدين لا يتطلع في غزواته في البلاد الهندية الى الثروة بقدر ما يتطلع الى تحقيق هدفه الرامى الى توحيد بلاد الهند تحت سلطانه فنراه يقضي السنوات الطوال في صحراء الثار ، القاحلة يحارب الراجبوتيين هناك ويقاسي جنده الشدائد في حربهم ، ولا ينـال هو وجنده من الغنائم ما يتناسب مع الجهد والمشقة في ارض الثار القاحلة(١).

وبسقوط جالور Jlor دخلت بلدان شمال الهند بما في ذلك الثار في حوزة سلطان دهلى .بينما نفذت جيوشه الى الشـمال الغربى من الهند حتى بلغت غزنه . وفي الشمال الشرقى من الهند امتد نفـوذ دهلى الى بنيبال . وبالجملة اصبح السـلطان عـلاء الدين بفضل قوة بأسـة وسطوته سيد بلاد الهند وستان بلا منازع .

وأسند حكم الولايات الهندية التى خضعت لسيطرته الى ولاة محليين ممن يثق في طاعتهم وولائهـم .

وأتم السلطان علاء الدين السيطرة على شمال الهند وأتبعها بالسيطرة على جنوبها ، وأسند قيادة هذه العملية الى قائده المخلص ملك كافـور الذى هاجم ممالك الجنوب ، وسقطت كلها في يـده الواحدة تلو الاخرى ، تساقط اوراق الخريف .

وظلت هذه البلاد موالية لسـلطان دهلى علاء الدين ، ولما توفى ، وولى قطب الدين مبارك شاه ، وقتل حاكم الكجرات ــ الب خان ــ تطلع أهل الكجرات الى استعادة استقلالهم عن دهلى ، واعلنوا الانفصـال ، وقتلوا قائد جيش دهلى كمال الدين جورج ولم تعد الكجرات تعتـرف بسيادة دهلى ، ولما علم نائب الملك بثورة الكجرات عهـد الى عين الملك موليتانى ــ حاكم ديفاجيرى ــ بالمسير الى الكجرات ، لكنه علم في طريقه بوفاة نائب الملك ، فتوقف عن المسير الى الكجـرات وعـاد ادراجـه الى ديفاجيرى (٢) .

على أن السلطان قطب الدين لم يتغاض عن اقتطاع ولاية الكجرات

---

(١) تاريخ باراني : ص ٣٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٨

عن دولته بل عول على استعادتها ، وأسند هذه المهمة الى ملك تغلق ، وأمره بالانضمام الى عين الملك ، والمسير الى الكجرات ، واعادتها الى الطاعة والولاء لدهلى . ولما بلغت الجيوش السلطانية الكجرات ، استبد الجزع والخوف بقائد الحركة الاستقلالية ، ففر من الكجرات هو وأنصاره، وكان عين الملك قائدا محنكا وسياسيا قديرا ، كتب نداءات سرية الى ضباط جيش الحركة الانفصالية يطالبهم فيها بقتل قوادهم والخضوع والولاء لسلطان دهلى ، وذكرهم بأنه ليس من المعقول أن يتقابل المسلمان بسيفهما ، واذا لم يعد هؤلاء الى الولاء ، فمن اليسير جدا على قوات دهلى هزيمة الانفصاليين وسحقهم . ونجحت دعوة عين الملك ، فقد استجاب كبار الضباط لندائه ، واقنعوا الجند بالكف عن القتال حقنا للدماء ، ولما اصطف الفريقان للحرب ، انسحب الكثير من جند الكجرات، وانضموا الى جانب القوات الامبراطورية الامر الذى اضعف من شأن الحركة الانفصالية ، ولم تعد لها سوى فئة قليلة حاربت بشدة وضراوة الفئة الكبيرة ، وهزم الانفصاليون شر هزيمة ، وفر من نجا منهم الى أماكن نائية في الهند (١) . وبذلك فشلت الكجرات في الانفصال عن دهلى ، وعادت الى الولاء والطاعة لسلطانها وبقيت تابعة لسلطنة دهلى .

وأسند السلطان لظفر خان ولاية الكجرات ، واستطاع هذا الوالى بفضل حنكته الادارية وحزمه وقوة بأسه أن يعيد الاستقرار والامن والطمأنينة الى الكجرات وحكم بالعدل بين الناس ، وعم البلاد الرخاء في عهده ، فالتف الناس حوله ، وأنساهم ذلك أيام ألب خان (٢) .

على أن الكجرات لم تنعم طويلا بالامن والسلام ، ذلك لان المؤامرة التى دبرت لاغتيال السلطان في دكا غيرت سياسته ، وتحول الى حاكم مستبد سريع الشك في نوايا رجال دولته والمقربين اليه ، ومن ضحاياه ظفر خان ــ والى الكجرات ووالد زوجته ــ شك في اخلاصه ، كما شك في اخلاص غيره ، وكان لمقتل ظفر خان وقع سيء على أهل الكجرات ، ففقدوا ثقتهم بسلطان دهلى ، ونبذوه ، وحكم البلاد هشام الدين ، فجمع أقاربه وانصاره ، وأسند اليهم وظائف الاقليم ، واعتمد عليهم في الشؤون الادارية في الكجرات ، واستاء الناس منه ، ورفعوا شكاواهم منه

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٩ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٩٣ .

الى السلطان ، فعزله واستبدله بوال اخر ، وتدهورت الكجرات ، وساء حكم دهلى فيها ، وتطلع أهلها الى الاستقلال ، وضعفت حكومة دهلى ، واصبحت في وضع لا تستطيع فيه ادارة ولاياتها وضبط امورها .

واستقلت الكجرات في نهاية الامر عن سلطنة دهلى ، وتبعتها الكثير من الولايات مثل ولاية ديفاجيرى ، واستقل بها هاربال ديفا Harpal Deva

ولم يتغاض قطب الدين عن موقف حاكم ديفاجيرى الانفصالى عن دهلى ، بل سار بنفسه على رأس جيش كبير لاعادة البلدة الى حوزته، وسار سنة ١٣١٨ تجاه دكا وأناب عنه حاكما في دهلى ، وعول على اخضاع ديفاجيرى ، وحمل امراء دكا وتلنجانا Telingana على أداء الجزية ، واقترب السلطان من ديفاجيرى ، وفي طريقه اليها انضم اليه الكثير من المتطوعين ، فكثر جنده ، وعظم جمعه ، واشتد بأسه ، وخشي حاكم ديفاجيرى الانفصالى من بأس السلطان وسطوته ، ففر مع وزرائه الى التلال القريبة ، ودخل قطب الدين ديفاجيرى ، واستعاد سيطرة دهلى عليها دون أن تصادفه مقاومة ذات شأن يذكر ، وفر الجند الذين حشدهم هاربال ديفا في ديفاجيرى لحمايتها ، وخضعت البلدة تماما لدهلى ، ووقع هاربال ديفا في الاسر ، وعاقب السلطان المتمردين ، وأعاد الهدوء والسكينة والامن الى البلدة ونظم امورها ، وأقام فيها وحدات عسكرية لضمان ولائها الى الدولة ، وعين فيها واليا من قبله (١) .

ولى غياث الدين تغلق العرش ، وقد تفككت سلطنة دهلى ، واستقلت ولاياتها ، وضعف نفوذها حتى في البلدان التابعة لها ، فعول على استعادة ممتلكات دهلى ، وبدأ باقليم الدكن والاقاليم الشرقية ، وأرسل حملة بقيادة ابنه الغ خان الى تلنجانا ، وتمكن من اعادتها الى حوزة دهلى ، ولم يكتف سلطان دهلى بذلك بل سار الى البنغال على رأس جيش كبير ، ولما بلغها رأى حاكمها ناصر الدين حفيد بغرا خان بن بلبن أن لا طاقة له بجيش دهلى ، فأعلن دخوله في طاعة سلطان دهلى . وبذلك عادت البنغال الى حوزة دهلى .

وشرع السلطان التغلقى في مشروع خطير وهو غزو خراسان والعراقين، وشجعه على هذا العمل الكبير حكومة المماليك في مصر ، واعد

---

(١) باراتى : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٩٥ .

لهذا الغرض جيشا كبيرا قوامه ٣٧٠ الف مقاتل . وأبقى جيشـــه تحت السلاح عاما كاملا ولكن المماليك عدلوا عن مطلبهم ، بل تحالفوا مـع أبى سعيد ميرزا ـ صاحب بلاد ما وراء النهر ـ واطلقوا يده في بلاد الفـرس والتركمان فعدل سلطان دهلى عن قراره (١) .

حرص السلطان التغلقى على توسيع رقعة دولته ، فأرسل جيشـا الى ولايات الهملايا العليا ، ولكن جيشه تعرض لمصاعب شديدة ، بسبب البرد الشديد ، وقتل من جند دهلى كثيرون ، ويقال انه قصد من حملته غزو بلاد الصين للحصـــول على ثرواتها الطائلة . وعادت حملته خاسرة(٢) .

ادى فشـــل السلطان في مشروعاته الى ضياع هيبته بين الناس ، فانفصلت عن دهلى الكثير من ولاياتها وبذل السلطان جهودا مضنية لاقرار الامـــور في الشـــمال ، ثـم حـاول اعـادة الدكـن الى حوزتـه ، وهذه الولاية استقلت عن دهلى وشجعت بلدان الجنوب على أن تحـــذو حذوها ، وفشل السلطان في اعادة الدكن الى حوزته ، واستقلت الكجرات كذلك وتوفى محمد تغلق سنة ١٣٥١ بعد ان استقلت معظم ولايات سلطنة دهلى ، ولم يعد لدهلى الا القليل من هذه البلاد (٣) .

ولم يستطع السلطان فيروز استعادة الولايات التى انفصلت عن دهلى الى حوزته . لذا اخذت دولته في التفكك والانحلال . وخلفه ســـلاطين ضعاف انصرفوا الى الصراعات الداخلية ، بينما تنفصـــل البلدان عن دهلى ، الامر الذى أدى الى تدهور سلطنة دهلى .

---

(١) تاريخ فرشته ص ١٢٨
(٢) المصدر السابق ص ١٢٨
(٣) المصدر السابق ص ١٢٩

٢ ـ مع المغـــول

قبل أن نتحدث عن الغزو المغولى لبلاد الهند يجدر بنا أن نتكلم عن الدولة الخوارزمية ، وعلاقتها بالمغول لما في ذلك من صلة بتطلع المغـــول لغزو بلاد الهند ، وتوجيه انظارهم اليها

أسس الدولة الخوارزمية توشتكين ـ أحد الاتراك في بلاط ملكشاه ـ وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى في سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لـذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكما على اقليم خوارزم ولقبه خوارزم مشاه سنة ٤٩٠ هـ ، وكان حاكما عادلا ، قصر أوقاته على معـدلة ينشرها ، ومكرمة بفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقى خراسان ، أقر محمـد خوارزم مشاه على اقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايتـه ، وعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفى محمد بن توشتكين ولى ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعلم ابنه واستصحبه معه في اسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدما وعلوا .

عول أتسز على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية وانتهز فرصة تهديد الخطأ للسلاجقة ، لكن سنجر احبط محاولته ، وهزمه ، على أن اتسز استجمع قوته . وانتهز فرصة سيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على امواله وجواهره سـنة ٥٣٦ هـ /١١٤١ م ولـكن السـلطان سـنجر اسـتطاع أن يسـترد اقليم خراسان من اتسز سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أتسز بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولـة السلجوقية في الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسـلاجقة ، واستطاع السلطان الخـوارزمى تكش

---

(١) ابن الأثير الكامل حوادث ، سنة ٤٩٠ هـ .

أن يهزم ويقتل اخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق ، واستولى على أصفهان والرى .

ولما توفى تكش ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه فسار على سياسة أبيه الرامية الى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم اقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطأ سنة ٦٠٦ هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على اقليم كرمان ومكران ، والاقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور في افغانستان . وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصي اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، اذ امتدت من حدود العراق العربى غربا الى حدود الهند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندى جنوبا (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين .

وكان العالم الاسلامى في ذلك الوقت قد مزقته الانقسامات ، ولم تعد فيه دولة قوية الا الدولة الخوارزمية ، وكان الخليفة العباسي الناصر يخشي بأس هذه الدولة ، لان خوارزمشاه كان يطمع في بغداد ، فسعى الى تدبير المؤمرات والدسائس للنيل منه ، بل تقاعس عن نصرته ، ولكن لا يمكن قبول ما أشيع في ذلك العصر من أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله حرض المغول على غزو أعدائه الخوارزميين ، وكان من الطبيعى أن تكثر الشائعات في هذه الايام المضطربة ، وكان السلطان جلال الدين منكبرتى يتهم الخليفة العباسي بأنه يحرض عليه المغول دون أن يمتلك دليلا على اتهامه (٢) . والخليفة العباسي يعلم يقينا أن غزو الدولة الخوارزمية يؤدى بالضرورة الى تهديد الدولة العباسية المتداعية ، ذلك انها تقف سدا منيعا يحول بين المغول وبين العراق .

نشأ المغول في صحراء جوبى القاحلة ، وهم شعب اشبه بالترك في اللغة والمظهر العام ، وعاش هؤلاء القوم في بلادهم في شظف من العيش ، يعملون بالصيد والرعى في حياة كلها ترحال وتجوال ، وكثر بينهم النزاع

---

(١) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٨ .
(٢) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص ١٦٠ .

والشقاق ، وتكررت اغاراتهم على المناطق الخصبة المجاورة لذا شـــيد الصينيون سور الصين العظيم درءا لشرهم وحماية لبلادهم من شرهـــم المستطير (١) .

ظلت هذه القبائل في منازعاتها وفرقتها حتى ظهر منهم شـــاب في ريعان شبابه الغض هو تيموجين ، واستطاع أن يوحد هذه القبائل تحت لوائه ، وهذا الشاب نشأ يتيما ، وكان ابوه زعيما لاحدى قبائل المغول ، ولما توفى انفض أفراد القبيلة من حول تيموجين واســـتصغروا شـــأنه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع اسرته عيشة بؤس وحرمان وشقاء(٢)، وكان عليه ان يتلمس سبل العيش ، وقاسي الكثير من النكبات وهـــذه المحن اصقلته واخرجت منه رجلا صلبا شجاعا (٣) .

ولما بلغ تيموجين مبلغ الرجال ، التف أفراد قبيلته حوله لما اظهـره من قوة البأس ومضاء العزيمة ، ولم يكتف بذلك بل ظل يناضل حتى تمكن من السيطرة على قبائل المغول ، وقضي على كل الحركات التى تهـــدف الى عرقلة جهوده . ولم يأت عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م حتى كان قد أخضـــع لسلطانه كل بدو صحراء جوبى ، واتخذ من حصن قراقورم مقرا له ووضع نظاما للقبائل الخاضعة له يسمى الياسا وهو دستور اجتـماعي وحربى صارم أساسه الطاعة العمياء للسلطان ، واخبر تيموجين الرؤساء بأن السماء اضفت عليه اسما جديدا هو جنكيز اى امبراطور البشر واعظم حـكام الارض (٤) .

تطلع جنكيز خان ــ بعد أن وحد القبائل المغولية تحت سـيطرته ــ الى توسيع رقعة دولته ، وكان المجال الحيوى له بلاد الصين التى تقـع جنوب مملكته ــ حيث الخصب والرخاء والازدهار ــ فشن عدة حمـلات على امبراطورية كين واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م (٥) .

---

(١) Hart : Mongol Compaigns. p. 705.
(٢) Grenard : Gengis-Khan. p. 8.
(٣) IBID. pp. 7-8.
(٤) IBID. pp. 65-66.
(٥) Douglas : The story of China. p. 387.

اصبحت امبراطورية المغول القوية تجاور الدولة الخوارزمية العظيمة ، دولة الاسلام القوية البأس ، ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين العظيمتين ، ولابد ان تنقض احداهما على الاخرى ، ووجد السبب لاشتعال الحرب ، فقد وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيز خان الى اترار في الدولة الخوارزمية ، فارتاب فيهم ينال خان ــ حاكم اترار ــ وأرسل الى السلطان محمد خوارزمشاه يخبره بالامر ، فأمره بالقبض عليهم واعدامهم على اعتبار انهم جواسيس بعث بهم جنكيزخان ، وظاهر امرهم التجارة ، وهؤلاء التجار كان مركزهم خجند وتسير منها قوافلهم الى منغوليا تحمل الى خان المغول الهدايا من نسيج الكتان والديباج ، وكان يشجعهم على ممارسة نشاطهم التجارى (١) .

ساءت العلاقات بين الدولتين عقب قتل التجار ، وشعر السلطان خوارزمشاه بمغبة قتل التجار ، فأرسل الى دولة المغول جواسيس لاستطلاع قوتهم ، ومعرفة نواياهم فعادوا اليه ، وأخبروه بكثرة عددهم ، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من سلاح بأيديهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد تشدد علاء الدين محمد مع جنكيز خان ولم يقبل شروطه في تجنب الحرب ، فقد أرسل جنكيز خان الى خوارزمشاه رسلا يطلب منه تسليم حاكم اترار ، وجاء في رسالة خاقان المغول : فان كنت تزعم أن الذى ارتكبه ينال خان ــ حاكم اترار ــ كان من غير امر صدر منك ، فسلم ينال خان الى لاجازيه على ما فعل حقنا للدماء ، لكن السلطان الخوارزمى اعتقد انه لو لاطف جنكيزخان ، في الجواب ، لم يزده ذلك الا طمعا فيه . فتماسك وتجلد بل أمر بقتل الرسل سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ويقول الجوينى : « ان دمهم آهرق ، ولكن كل قطرة منه قد كفر عنها بسيل جارف من الدماء ، وان رؤوسهم قد سقطت ، ولكن كل شعرة منها ، قد كلف مئات الالوف من الناس حياتهم » ، يقول النسوى (٢) : « فيالها من قتلة هدرت دماء الاسلام ، واجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، فاستوفى عن الغيظ فيضا ، واخلى بكل شخص أرضا » .

---

(١) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 204.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٨٨ .

ونستطيع أن نقول أن الدولة الخوارزمية كانت ستتعرض لغزو المغول سواءا حدثت مذبحة اترار أو لم تحدث ، ذلك أن دولة المغـــول قامت على اساس التوسع والغزو وضم الاراضي اليها بالقوة ، ونعرف من تاريخ المغول أنهم استمروا في ضم البلاد واحتلالها طمعا في ثرواتها وخيراتهـــا ، ولكن مذبحة اترار كانت بمثابة الشرارة التى فجرت الموقف بين الدولتين ، وعجلت بغزو المغول للدولة الخوارزمية .

اتسمت غارات المغول على الدولة الخوارزمية بالوحشية والهمجية ، وتدمير المدن والقرى ، وهذا يتضح من كتابات المعاصرين ، ويقـــول ابن الاثير (١) : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة اســـتعظاما لها ، كارها لذكرها .. وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والاطفال ، وشقوابطون الحوامل، وقتلوا الاجنة .. وكان مظهر المغول يدعو الى الفزع والجزع ، ويلقى الرعب في النفوس ، كانوا قساة مع اعدائهم ، لـم يبقوا على أحد من قاهريهم ، واشاعوا الخراب والدمار في كل بلد ملكوه ، وكانوا يستزلون اسراهم ، بحيث يجعلوهم في طليعة الجيوش التى يحاربون بها ، واذا بدأت المعركة يقذفون بهم في المقدمة ، ويتخذونهم دروعا لهـم ، حتى تحولت المدن العامرة ، والقرى والمزارع الخصبة الى صحارى (٢) ، وقد يقذفونهم في الفجـــوات التى يحدثونها في أســـوار المدينة ليمـــلاوا الخنادق بأجســـامهم ، واذا سلم أحـــد منهم يتخلصـــون منه بالقتـــل ، حتى يفسحوا المجال للاسرى الجدد . على كل حال اكتسح هذا الزلزال المدمر ، وتلك القوى الجامحة العالم الاسلامى واتوا على الاخضر واليابس ، واهلكوا الحرث والنسل .

أعد جنكيزخان جيوشه لمهاجمة الدولة الخوارزمية ، وقسم جنده الى أربع جيوش ، الاول بقيادة ابنيه جغتاى وأوكتاى ، ومهمته فتـــح مدينة اترار ، والجيش الثانى ســـند قيادته الى ابنه جوجى ، ووجهتـــه البلاد الواقعة على ساحل نهر جيحون (٣) والثالث مهمته فتح مدينتى بناكت وخجند على نهر سيجون . اما الجيش الرابع فيتكون من اغلب قـــوات المغول ، ويقوده جنكيزخان ومعه ابنه تولوى ، ووجهته وسط اقليـــم ما وراء النهر (٤) .

---

(١) الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٢) Sykes : A Hist of Persia, p. 56 .

(٣) Harold Lamb the Grusades. p. 337.

(٤) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tomi. pp. 217-219.

سارع المغول الى مدينة اترار ، وشددوا هجماتهم عليها ، وقد اعتصم ينالْ خان ــ حاكمها ــ بقلعتها ، ودافع بكلّ بسالة بل انهك المغــــول واجهدهم شهرا كاملا بضرباته القوية لهم ، حتى فقد معظم رجاله ، ونفذت المؤن والاقوات وشدد المغول حصارهم للقلعة ، فالقى بنفسه الى سقف أحد المنازل ، وظل يقاتل المغول بكل ما أوتى من قوة حتى قبض عليه المغــول ، وسيق الى جنكيزخان ــ وكان أمام سمرقند ــ فأمر بسبك الفضة وقلبها في اذنيه وعينيه ، فقتل تعذيبا . وبذلك انتقم جنكيزخان من قاتل التجار، وسقطت مدينة اترار ــ مفتاح بلاد ما وراء النهر سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م بعد أن قتل المغول سكانها ودمروها تدميرا (١) .

سار الجيش الثانى بقيادة جوجى الى مدينة جندعلى نهر سيجون بعد ان استولى في طريقه على المدن والحصون على ساحل سيجون . ولما بلغ المغول جند ، رأى قائدها أن لاقبل له بالمغول ، فغادر البــلدة تاركا أهلها يدافعون عن مدينتهم ، وأغلق اهلها ابواب المدينة ، وشدد المغــول هجماتهم ، ورموها بالمنجنيقات حتى اقتحموها . وبذلك سقطت جنــد في ايدى المغــول (٢) .

اتجه الجيش الثــالث الى منطقة فرغانة والوادى الاعلى من نهــر سيجون ، وحاصر هذا الجيش بناكت ، ولم يجد المغول مقاومة من سكان هذه المدينة ، فاستولوا عليها بســهولة ويسر ، وعلى الرغم من اعطــائهم الامان لاهلها ، الا انهم قتلوا منهم الكثيرين ولم يبقوا الا على من التمسوا فيهم المقدرة على خدمتهم ، ثم ســار المغــول الى خجند ــ وهى مدينــة جميلة اشتهرت بحدائقها الغناء وانتعاش التجارة فيها ، وشجاعة اهلهــا وقوة بأسهم ــ وقد قاوم حاكمها الشجاع تيمور ملك المغولَ بكلّ بســالة ، حتى ضعفت قوته ، فامتطى جواده ، واتجه الى خوارزم حيث كان يرابط السلطان (٣) . ودخلت خجند في حوزة المغول .

سارت جيوش المغول بقيادة جنكيزخان الى بخارى ودارت الحــرب بين جند المغول ، والجند الخوارزمى ثلاثة ايام هزم فيها الخوارزميون ، وفر الجند الخوارزمى فضعف اهلها ووهنت عزيمتهم ، واعتصم بعضهم في

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٩١ .

(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. 1. p. 77.

(٣) Howorth : Hist. of the Mongols. 1. p. 77.

القلعة ، وشدد المغول هجماتهم عليها ثلاثة ايام ، وقاتل من فيها حتى قتلوا جميعا ، وتسلم جنكيزخان القلعة ، وامر اعيان المدينة وتجارها بالاجتماع معه وجردهم جميعا من اموالهم ، وطردهم من المدينة ، وقتلوا كل من صادفوه في بخارى من اهلها بعد ذلك ، فنهبوا البلدة وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من النساء والرجال والولدان ، وتفرقوا أيدى سبا ومزقوا شر ممزق ، واحرقت المساجد والمدارس (١) ، وبعد ان استولى المغول على بخارى ساروا الى سمرقند ، وأمامهم الاسرى مشاة على اقبح صورة ، وكل من عجز عن المشي قتل ، وحاصروا سمرقند ، وبها الكثير من الجند الخوارزمى ، واعد أهل سمرقند العدة لمقاومة المغول ، ودار قتال شديد بين الفريقين ، هلك فيه اكثر الجند الخوارزمى ، الامر الذى اضعف مقاومة اهل سمرقند ، وطلبوا الامان ، واجابهم المغول الى طلبهم ، وفتحوا ابواب البلدة ، وطلبوا من أهل البلدة تسليم اسلحتهم وامتعتهم ودوابهم ، ففعلوا تجنبا للقتل ، ولكن المغول كعادتهم وحبهم لسفك الدماء اعملوا السيف في رقاب الاهلين ، حتى افنوهم عن آخرهم ، ودخلوا البلد ونهبوا ما فيه ، واحرقوا الجامع ، وبذلك دخلت سمرقند في حوزة المغول سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠ م (٢) .

وبعد ان امتلك المغول بخارى وسمرقند ، اعد جنكيزخان جيشا يتألف من عشرين ألف مقاتل ، وامر قائده بالتوجه الى خوارزمشاه والبحث عنه أينما وجد «ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه» فسارت جيوش المغول تتعقب خوارزمشاه الذى اخذ يضرب في الارض ، وينتقل من بلد الى بلد ، وجند المغول تطارده ، وانتهى به المطاف الى الاستنداد — وهى من امنع النواحى في اقليم مازندران — وباغته المغول فلجأ الى احدى جزر بحر قزوين (٣) وقد انتابه اليأس من الحياة ، ومرض ، وكان يقول : « لم يبق لنا مما ملكناه من اقاليم الارض قدر ذراعين نحفر فنقبر ، فما الدنيا لساكنها بدار ، ولا ركونه اليها سوى انخداع واغترار » . واقام بالجزيرة في عزلة تامة يعانى المرض وكان اهل مازندران يقدمون اليه كل ما يشتهى ، وقبل وفاته سنة ٦١٧ هـ /١٢٢٠ م اوصي بالسلطنة من بعده لابنه جلال الدين (٤) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٦ هـ .
(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٨ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .
(٤) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

وولى جلال الدين منكبرتي السلطنة بعد ان سيطر المغـول على بـلاد ما وراء النهر ـ اهم اجزاء دولتـه المتداعيـة وامتلكوا اقليم مازندران رغم حصانته ومناعته ، ثم اتجهوا الى الرى ،وفي الطـريق التقوا بالملكة تركان خاتون ـ والدة السلطان علاء الدين ـ وقد غادرت خوارزم على اثر تهـديد المغول ، ولم تر فيه دار قرار واستصحبت ما امكنها استصحابه من حرم السلطان وصغار اولاده ونفائس خزائنه ، وقبض المغـول عليها ، واستولوا على ما معها من ثروات هائلة . وهكـذا قضت الملكة ايامها الاخـيرة في اسر المغول ، وجدير بالذكر ان تركان خاتون كانت ذا مهابة ورأى ، تنظر في المظالم ، وتحكم فيها بالعدل،وتنصف المظلوم من الظالم ، ولها اصلاحات كثيرة ، وكان لها من كتاب الانشاء سبعة من مشاهير الكتاب (١) .

باغت المغـول الرى على حين غفلة من اهلها ، وملكوها ونهبوها ، واسترقوا نسـاءها، وقتلوا اطفالها ، ثم غادروها في طلب خوارزمشاه ، وعاثوا في البلاد التى مروا بها نهبا وفسادا ، واقتربوا من همذان ، فقدم اهلها للمغول الاموال والهدايا حتى يكفوا عن قتلهم ، وسيطر المغول على هذه البلدة ، ثم زحفوا الى قزوين ، وامتلكوها عنوة وقهرا (٢) . وبذلك سيطر المغول على بلاد العراق العجمى .

اثار المغـول الرعب في بلدان الدولة الخوارزمية حتى ان اقترابهم من مدينـة او قرية ، يثير الفزع في النفوس ، فيهجرون بلدانهم ، او يقدمون فروض الولاء والطاعة لاعدائهم . وبذلك استسلمت البلاد الاسلامية للمغول في سهولة ويسر ، الا ان استسلام الاهلين لم ينجهم من بطش المغول وويلاتهم ، وظل المغـول يواصـلون تقدمهم حتى بلغوا تبريز ـ عاصمة اذربيجان ـ ويحكمها اوزبك بن البهلوان ، وهو شيخ بلغ من العمر أرذله ، يقضي وقته في الشراب ، ولا يكاد يفيق ، ولما اقترب المغول من بلاده ، ارسل اليهم المال والهدايا والثياب والدواب وصالحهم ثم اتجهوا الى ساحل البحر حيث المراعى الكثيرة اللازمة لدوابهم ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا موقان ، ودخلوا في معارك حامية مع اهالى بلاد الكرج ، وهزموهم ، وامتلكوا مراغة سنة ٦١٧ (٣) هـ . وبذلك سيطروا على اذربيجان وبلاد الكرج .

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٩٩ .

(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 243.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

شرع جنكيزخان بعد ان امتلك بلاد ما وراء النهر وبلاد العراق العجمى واذربيجان الى السيطرة على خراسان وخوارزم حتى يتم له السيطرة على بلاد الدولة الخوارزمية قاطبة ، فأعد جيشين ، الاول عبر جيحون وقصد مدينة بلخ ، وطلب اهلها الامان فامنهم المغول سنة ٦١٧ هـ ، ولم يتعرض المغول لهم بالقتل والنهب وادخلوا البلدة في حوزتهم ، وواصلوا تقدمهم في بلاد خراسان ، فسقطت البلاد في ايديهم ، البلدة تلو الاخرى(١) ثم حاصروا مرو ،وشددوا عليها الحصار حتى استسلمت وامعنوا في قتل اهلها ، ونهبوا البلدة ، وضموا اليهم ارباب الحرف والصناعات من سكان مرو ، ويقال انهم اجهزوا على اهل البلدة جميعهم حتى بلغ عدد القتلى سبعمائة قتيل ، ثم ساروا الى نيسابور ، فامتلكوها بعد حصار دام خمسة ايام ، وارتكبوا مع أهلها من الفظائع ما ارتكبوه مع غيرهم ، وأقاموا في البلدة خمسة عشر يوما ينهبون ويدمرون ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا طوس ، وامتلكوها ثم ساروا الى هراة ، وبسطوا سيطرتهم عليها ، ومنها اتجهوا الى غزنة ، فالتقوا بالسلطان جلال الدين منكبرتى ، ودارت معركة انتصر فيها خوارزمشاه على اعدائه (٢) .

اما الجيش المغولى الذى اتجه الى خوارزم ، فقد لقى مقاومة باسلة من اهلها ، ودارت بين الفريقين معارك ضاريه ، وصمد اهل خوارزم للحصار الذى دام خمسة اشهر ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وبلغ الامر بالمغول أن أرسلوا الى جنكيزخان يطلبون منه النجدة وامدهم بجيش كبير ، وتمكنوا من الاستيلاء على خوارزم بعد لاى وعناء ، وبعد ان امتلك المغول خوارزم بعد هذا الجهد الشاق والتضحيات الكثيرة قتلوا كل من فيه ، ونهبوا كل ما فيه ، ولم يكتفوا بذلك ، بل فتحوا ماء جيحون على خوارزم فغرقت البلد ، وتهدمت الابنية ، ولم يسلم من البلدة أحد ، فمن اختفى من النار اغرقه الماء ، ومن سلم من الماء قتله الهدم ، فأصبح البلد خرابا يبابا ، كأن لم يغن بالامس (٣) .

ولى السلطان جلال الدين منكبرتى — كما راينا — في وقت حرج ، اذ

---

(١) Howorth : Hist of the Mongols. p. 93.

(٢) D'ohsson : Histoire des Mongols. 1. p. 325.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استولى المغول على معظم المملكة ، ونهبت خزائنها ، ومزق جيشها ، وكان جلال الدين شجاعا مقداما ، اعتزم استرداد ملكه السليب ، وطرد الغزاة المعتدين عن بلاده، واستطاع جمع شمل جنده المبعثرين في البلدان الخوارزمية، واقام في غزنة بعد أن استردها من المغول ، ونظم جيشا قوامه ستين الف مقاتل، وقد ازعج ذلك جنكيزخان، فعول على التخلص من خصمه، وارسل جيشا الى غزنة ، التقى بالجيش الخوارزمى في معركة حامية الوطيس ، انزل الله فيها نصره على المسلمين ، وانهزم المغول شر هزيمة ، وقتل المسلمون منهم كثيرين (١) . وكان لهذا النصر اهمية كبيرة في البلاد الاسلامية التى فرقتها هزائم المغول المتكررة ، وعاش أهلها في يأس وقنوط وتمزق فارتفعت الروح المعنوية عند المسلمين ، وتيقظوا وثاروا على المغول ، وقتل اهل هراة واليهم المغولى (٢) .

سار جلال الدين على سياسته الرامية الى طرد المغول من بلاده ، وارسل الى جنكيزخان يتوعده ويهدده ويقول «في اى موضع تريد يكون الحرب حتى تأتى اليه » فلم يتفاض جنكيزخان عن هذا التهديد ، وشن الحرب من جديد على جلال الدين الذى أصبح يشكل خطرا على مملكته المترامية الاطراف، ولكن السلطان الخوارزمى انتصر مرة أخرى على جيش جنكيزخان ، وقتل الكثير من المغول ، وغنم الخوارزميون ما معهم واسترد للمسلمين اسراهم من العدو ، لكن الخوارزميين انشغلوا بجمع الغنائم ، وكانت تفوق كل وصف، وتنازع جند السلطان حول المغانم نزاعا ادى الى انقسام خطير في الجيش وعجز السلطان عن تداركه ، وفارق فريق من الجيش الخوارزمى المعركة بقيادة بغراق الى بلاد الهند ، وحاول جلال الدين عبثا ان يثنى هذا الرجل عن عزمه ، واوضح له خطورة عمله هذا على الاسلام والمسلمين ، والح عليه في ترك الخلاف والشقاق بل بكى بين يديه (٣) . لذلك ضعف أمر جلال الدين بمفارقة معظم جيشه له ، ونهض اليه عدو الله بجيوشه ، ودارت المعركة بين الجمعين على حافة نهر السند ، وكادت ان تدور الدائرة على المغول ، لولا ان نصب جنكيزخان كمينا ادى الى قتل كثير من الخوارزميين ، وحلت الهزيمة بالمسلمين ، وكان الرجل منهم يأتى النهر فيهوى بنفسه في تياره ،

---

(١) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 267.

(٢) IBID P. 268.

(٣) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٥٥ وما بعدها .

وهو يعلم انه لابد غريق « وان ليس له الى الخلاص طريق » واسر ولد جلال الدين ،وكان غرا في الثامنة من عمره وقتل بين يدى غريمه جنكيزخان ولما عاد جلال الدين الى حافة السند كسيرا ، راى والدته وام ولده وجماعة من حرمه يصحن بأعلى صوتهن : بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الاسر ، فأمر بهن فغرقن ، « وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب » (١) . وعبر جلال الدين نهر السند مع اربعة آلاف من رجاله متجهين الى الهند « حفاة عراة كأنهم اهل النشور ، حشروا فبعثوا من القبور» وقد اعادت الهزيمة التى لحقت بالخوارزميين الى المغول هيبتهم ، واستردوا قوتهم ، وامتلكوا غزنة التى كانت خالية من الجند ، وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم ، واسروا النساء ودمروا البلدة تدميرا ، حتى اصبحت غزنة خرابا دمارا (٢) .

اعتزم جلال الدين استرداد قوته في بلاد الهند ، واستعان بسلطان دهلى . لكن التمش توجس خيفة من جلال الدين ، وقضي في الهند ثلاث سنوات ، واشتبك مع سلطان دهلى في عدة معارك وخشي قباجة ــ حاكم السند ــ من اقامة الخوارزميين في ولايته ، لانها قد تؤدى الى تعقب المغول لهم ، وما ينجم عن ذلك من خطر داهم على بلاده . ولكن جلال الدين أوقع بهم الهزيمة ولما علم جلال الدين ان المغول يعتزمون القدوم الى الهند،والنيل منه سار الى دهلى ، وسأل سلطانها ــ التمش ــ ان يعطى جنده حق الاقامة في دلهى . لكن السلطان المملوكى اعتذر اليه بحجة ان حرارة الجو في دهلى لا تناسب الخوارزميين ، ذلك ان سلطان دهلى خشي ان ينضم جند الترك في دولته الى سلطان الخوارزميين جلال الدين منكبرتى . وارسل اليه يراوغه ويوادعه ويقول : ليس يخفى ما وراءك من عدو الدين ، وانت اليوم سلطان المسلمين وابن سلطانهم ، ولست استحل ان اكون عليك عونا للزمان، وعدة للحدثان ، ولا يليق بمثلى ان يجرد السيف في وجه مثلك الا اذا اضطره اليه دفاع أو سامة اليه تحرز واقناع . وان رأيت زوجتك يابنتى لتحتكم الثقة (٣) .

وعلم السلطان جلال الدين أن التمش ــ سلطان دهلى ــ وسائر ملوك الهند وراجاتها وأصحاب ولاياتها قد تآمروا على طرده من ديارهم . ولم

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

(٣) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٦٨ .

يتفاضي جلال الدين عن موقف سلطان دهلى العدائى منه، فاشتبك مع قواته بالقرب من دهلى ، ثم انسحب الى لاهور ، وكثر جمع جلال الدين بما وقد عليه من الجند التابعين لاخيه غياث الدين ـ حاكم العراق ـ .كذلك انضمت اليه قبائل الكهكرية الهندية ـ وكانوا ناقمين على قباجة . فكثر جمعه واشتد بأسه ، وعظم امره ، وتمكن من انتزاع بعض البلدان من والى السند (١) .

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند ، الاقامة فيها ، وانما كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته ، ويعود الى بلاده وقد واتته الفرصة للانتقام من المغول ، وشن الحرب ضدهم ، واستعادة ملكه السليب حين توفى جنكيزخان ـ قاهر الخوارزميين ـ واعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التى تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى مواطنها الاصلية ، فعبر جلال الدين نهر السند سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥ م ، وقصد ايران ، واشتبك مع المغول في عدة معارك (٢) .

عادت معظم بلدان الدولة الخوارزمية الى حوزة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ولجأ اليه حكام المدن والبلاد الخوارزمية يعلنون ولاءهم وبهجتهم بالتخلص من حكم المغول وابقى بعضهم على ما بيده ، وعزل بعضهم « وافرجت ايام السلطان عن الناس الكرب ، واطفأت من نيران الفتن ما التهب ، وتفرقت العمال والوزراء في الاطراف بتواقيع السلطان فضبطوها (٣) .

وبذلك استرد هذا السلطان الشجاع ملكه وسلطانه على اقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران . على ان بلاد ما وراء النهر بقيت في ايدى المغول .

خلف اجتاى Ogtai جنكيزخان ، وعول على استرداد البلاد التى آلت الى جلال الدين ، وسير جيشا كبيرا الى الرى فانتزعها ، واستولى على همدان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م وطارد المغول السلطان جلال الدين ، وتعقبوه في موقان وتبريز وفي اذربيجان ، واتجه الى آمد ،

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .
(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. iii. p. 11.
(٣) IBID

فهزمه المغـــول هناك ، وشردوا رجاله ، وقتل المغول كـل من تتبعه في فراره ، وظل السلطان يتنقل من بلد الى بلد ، والمغول تلاحقه أينما سار واتجه ، حتى وصل الى جبال كردستان ، وقد شك فيه بعض الاكـراد وأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من ظفروا به ، فحين هموا بقتله ، قـال لكبيرهم سرا : « انى انا السلطان فلا تستعجل في أمرى ، ولك الخيـار في احضارى عند الملك المظفر شهاب الدين ، فيغنيك ، أو ايصالى الى بعض بلادى فتصير ملكا . فرغب الرجل في ايصاله الى بلاده ، وتركه عند امرأته ومضي بنفسه الى الجبل لاحضار خيله ولكن هاجم المنزل رجل من الاكراد، وقتله بعد أن تعرف عليـــه ، ثأرا لمقتل اخ له على يديه سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م » (١) .

وهكذا كان مصير هذا السلطان الشجاع ، وبوفاته زالت الدولـة الخوارزميـــة .

تتابعت انتصارات المغول وفتوحاتهم ، واستولوا على اذربيجان وبلاد أران وغالبية مدن جورجيا وارمينية الكبرى ، وزحفوا الى شمال العراق، وهددوا أقاليمه الشمالية ، واشتبكوا عدة مرات مع جيش الخـــلافة العباسية لاختبار قوتهـــا .

وبعد أن هز جنكيزخان بفتوحاته اركان الدول مرض سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م وشعر بدنو أجله ، فاستدعى أولاده ، وأوصاهم بأن يخلفـــه ابنه أكتاى لمزية رأيه المتين وعقله الرزين ، وأوصاهم بقـــوله : « اعلمـوا يا أولادى الجياد أنه قد قرب سفرى الى دار الاخرة ودنا أجلى ، وأنا بقوة الإله والتأييد السماوى اســتخلفت مملكة عريضة .. فوصيت اليكم انكم على رأى واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال » (٢) .

لما توفى جنكيزخان شكل ابناءه وأفراد اسرته مجمعا يسمى قـور يلتاى ، وأجمعـــوا على مبايعة أكتاى خلفا لابيه حسب الوصية ، ولقبوه قا آن أى ملك أو سلطان . وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م توفى هـــذا السلطان وخلفه ابنه كيوك ، فقسم المملكة بين أولاده واخوته ، واقطـــع

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٨١ .
(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٢٨ .

البلاد الغربية وتحصيل الاموال لهولاكو ، وولى ارغون اغا على هندوستان وخراسان ومازندران والعراق وفارس وكردستان والموصل والشـــام وفي عهد هذا السلطان نجت بلاد الهند من شر المغول .

عهد منكوقان ــ خاقان المغول في قراقورم ــ لاخيه هولاكو بالتوجـه الى العراق والشام ومصر وبلاد الروم والارمن ، والســـيطرة عليها ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات .

زحف هولاكو بجيشه الى بغداد ، وقضي في طريقه على طائفـــة الاسماعلية سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٢ م ، وهاجم بغداد وكان الخليفة العباسي المستعصم بالله رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة، واقتحم المغول حاضرة الاسلام الكبرى ، ودمروا وخربوا المســـاجد والقصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة ، وأباحوا القتل وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت في بغداد السنة النيران في كـل جانب واتت على الاخضر واليابس ، ودمرت بغداد وخربت . وبسقوط بغداد في ايـدى المغـول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م زالت الدولة العباسـية ، وضـعف أمـر المسلمين ، وقصد امراء المسلمين هولاكو ، وقدموا له فروض الولاء والطاعة حتى لا يتعرضوا لاعمال المغول التخريبية .

وتعرضت بلاد الهند لتهديد المغول بعد سقوط بغـداد فقد سمعوا عن ثروتها ، واعد بلبن العدة لصد الاعـــداء عن بلاده ، وبقى في دهلى لا يغادرها ، وحصن دهلى حتى لا تتعرض لما تعرضت له بغداد من ويلات وشرور ، واعاد بناء القلاع التى دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول الســـابقة ، وأقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالاسلحة والمعدات واسند القيادات العسكرية الى رجال اكفـاء ، وعين ابنه الشجاع محمد ــ حاكما على الملتان ــ وكان لخطته الدفاعيـــة أثرها الكبير في درء خطر المغول عن بلاد الهند (١) .

على أن العلاقات السياسية عادت وتحسنت بين الدولتين المغوليـة والملوكية في الهند ، وارسل هولاكو سفارة الى دهلى محملة بالهدايا ، واتفق الطرفان على احترام السيادة الاقليمية لكل منهما وانسحب المغول

---

(١) Munshi : The Struggle For Empire. p. 193.

من الاراضي الهندية التى كانوا قد احتلوها (١) .

تطلع المغول في فارس الى السيطرة على بلاد الهند للحصول على ما فيها من ثروات هائلة ، وتقدم عبد الله ـ حفيد هولاكو ـ خان فارس ـ بجيش قوامه ١٥٠٠٠ الف مقاتل الى بلاد الهند ، وحينما علم جلال الدين خلجى ـ سلطان دهلى ـ بذلك اعد العدة لدفع الخطر عن دياره ، وغادر عاصمته دهلى ، واشتبك الطرفان في عدة معارك صغيرة ، قصد منها اختبار كل من الفريقين لقوة الاخرى ، ثم وقعت المعركة الفاصلة بين الفريقين ، هزم فيها المغول ، ومزقوا شر ممزق ووقع من نجا من المعركة في الاسر ، ومن بينهم الكثير من فرسان المغول وقادتهم ، ودارت مفاوضات بين الفريقين انتهت بترتيب اجتماع بين عبد الله وجلال الدين ، واجتمع الزعيمان ودارت مفاوضات مباشرة ، انتهت باتفاق ودى بمقتضاه عاد عبد الله الى وطنه ، وبقى الغو ـ وهو من أحفاد جنكيزخان ـ مع بعض الجند في بلاد الهند،واعتنق الاسلام وزوجه جلال الدين واحدة من بناته ، والتحق هو واربعمائة من رجاله بالسلطان الخلجى في دهلى بأسرهم ، واستقبلوا خير استقبال ، واقام لهم سلطان دهلى مستعمرات يقيمون فيها وهى غازيور ـ اندرابت ـ كلغارى ـ تالوك ، وسميت أرض المغول ـ مغول بورا ـ واختلطوا بأهل سلطنة دهلى ، وسموا بالمسلمين الجدد (٢) .

عاد خطر المغول يدق ابواب الهند من خانات جغتاى في بلاد ما وراء النهر ، وتاريخ أولاد جغتاى ناقص ويحيط به الغموض ، وليس لدينا من المعلومات الصحيحة عنه الا ما ورد بخصوص الغارات على حدود ايران أو الهند ، وكذلك الصراع الداخلى بين امراء آل جغتاى .

على ان تلك الغزوات المغولية في بلاد الهند لا يمكن مقارنتها بتلك التى حدثت في عهد السلطان علاء الدين ، فقد اتسمت بالعنف والقوة والقهر ، ففى سنة ١٢٩٧ أرسل دافا ـ خان بلاد ما وراء النهر ـ جيشا يتألف من مائة الف مقاتل الى البنجاب بقيادة قائده كادار Kadar واخترق الجيش المغولى ـ كما جرت العادة بلاد الهند من ناحية الشمال الغربى ـ واحرقوا القرى التى مروا بها ودمروها تدميرا ، ثم دخلوا سهول البنجاب،

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 193.
(٢) Lal : pp. 30-31.

وعاثوا حول لاهور فسادا وتخريبا ، وكان زحف المغول في الهند يلقى الفزع والرعب في أرجائها ، فيهجرون قراهم ويتركون ديارهم ، ويخشون من التصدى للمغول اعتقادا منهم أنهم قوم لا يقهرون ، وأن من يعترضهم لا محالة هالك (١) .

أعد السلطان علاء الدين العدة لدرء خطر المغول عن بلاده ، واسند قيادة جيشه الى يلغ خان ، وسيره الى مواقع المغول في الهند ، والتقى الجمعان في معركة حامية الوطيس بالقرب من جلندهار ، وهزم فيها المغول شر هزيمة ، ويقال ان عدد قتلى المغول بلغ ٢٠ الفا ، واسر عدد كبير من مقاتليهم ، قتلوا جميعا في مذبحة مروعة ، وارسل القائد يلغ خان الى السلطان علاء الدين رسالة يبشره فيها بالنصر ، وارسل أيضا الى دهلى رءوس قتلى المغول ، والسبى من النساء والاطفال (٢) .

ومما لا شك فيه أن هذا النصر المؤزر قد انقذ مملكة دهلى من كارثة مروعة كادت أن تعصف بها ، كما أدى هذا الانتصار الى تقوية مركز علاء الدين في دهلى امام اعدائه المتربصين به (٣) .

على أن المغول لم يتغاضوا عن هذه الهزيمة المروعة التى حلت بهم ، بل تحينوا الفرص المناسبة للانتقام من سلطنة دهلى ، ففى سنة ١٢٩٩ ، انتهز المغول فرصة انشغال القائدين يلغ خان ونصرت خان في اخضاع اقليم الكجرات ، واخترق جيش المغول بقيادة سالد Sald حدود الهند ، وشنوا حربا على سلطنة دهلى تحدث عنها فرشته وبارانى (٤) ، بينما لا يذكر امير خسرو مجرد اشارة عن هذه الحملة ، ومهما يكن من امر فقد هاجم المغول اقليم سيفستان فأمر السلطان علاء الدين قائده بالمسارعة الى سيفستان لصد المغول عنها ، وطردهم نهائيا من الهند ، وأدى ظفر خان واجبه الوطنى خير اداء ، فشدد هجماته على المغول حتى هزمهم وأعمل رجاله السيف في رقابهم كيف شاءوا ولاذ من نجا منهم بالفرار ، ووقع في الاسر كثيرون ، واسترد ظفر خان سيفستان وأرسل

---

(١) Lane Poole : Muhammedan Dynasties. p. 215.
(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 130.
(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٣ .
(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .
بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٧ .

الى دهلى الاسرى من الجنسين ، ومن بينهم القائد سالدى وأخيه (١) .

وتتضارب اقوال المؤرخين عن غزو المغول للهند في هذه الفترة فيقول فرشتة ان دافا ــ خان ما وراء النهر ــ وأخاه سالدى استوليا على سيفستان بينما لا يذكر باراني ان دافا كان مع اخيه سالدى في غزو سيفستان ، والواقع أن دافا كان طوال هذه الفترة مشغولا بالصراعات السياسية في وسط آسيا ، وأرسل أكثر من قائد من قواده المقربين لضم سيفستان الىحوزته (٢) . كما أن دافا لا يمكن أن يستسلم لحرب بسيطة كالتى حدثت أمام سيفستان . ويذكر باراني وفرشتة أن سالدى وأخاه أسرا وسيقا الى دهلى حيث قتلا ، كما جرت العادة مع أعداء السلطنة . ومن ناحية أخرى فقد بقى دافا على قيد الحياة حتى سنة ١٣٠٦ (٣) . وعلى ذلك فلا صحة لما قاله فرشتة بأن دافا كان مع سالدى في الحرب أمام سيفستان . أما المؤرخون فيذكرون انه كان على رأس المعركة سالدى وأخاه ، ولا يذكرون اسم دافا . يضاف الى ذلك انه لو كان دافا على رأس المعركة لبرز اسمه في روايات الرواه وكتب المؤرخين (٤) .

وأثار انتصار ظفر خان في هذه المعركة اعجاب الناس غير أن علاء الدين اخذ يتوجس شكا وريبة من قوة ظفر خان ومقدرته الحربية ، كما أن القائد يلغ خان شعر بنفس شعور السلطان أيضا ، لان انتصار ظفر خان على المغول ، قد أنسي الناس انتصاره هو ــ أى يلغ خان ــ في الكجرات والملتان ومهما يكن من أمر فقد عسكر ظفر خان في سامانا Samana لمراقبة تحركات المغول في الغرب ، لان المغول لن يتغاضوا عن الهزائم التى لحقت بهم في الهند ، لكن السلطان علاء الدين تناسي فضل هذا القائد الشجاع ، وفكر في سمل عينيه او ابعاده الى البنغال (٥) ، ولكن التطورات السياسية الجديدة جعلت هذا السلطان يعدل عن موقفه البغيض من قائده الشجاع (٦) .

قلنا ان مملكة ما وراء النهر المغولية لا يمكن أن تتغاض عن الهزيمة

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 132.
(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٥٥ .
(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .
(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .
(٥) Hist. of the Khaljis. p. 133.
(٦) IBID. p. 234.

المروعة التى لحقت بجيشها أمام سيفستان فقرر خانها الانتقام من هـذه الهزيمة وازالة العار الذى لحق به ، ففى سنة ١٢٩٩ ارسل جيشا كبيرا بقيادة كتفلق خواجي ـ ابنه ـ الى الهند ، وعدة هذا الجيش عشرين الف مقاتل ، مدربين خير تدريب (١) ، وعبر الغزاة نهر السند ، وزحفوا بسرعة حتى اقتربوا من دهلى دون أن يزعجوا القـــرى التى مروا بها ، واقترب خطرهم وشرهم من دهلى ، الامر الذى ادى الى فزع وجزع أهل دهلى والقرى المجاورة لها ، فهجر بـلده كل من تيســر لـه الهجـرة ، وحاصر المغول دهلى (٢) وحشدت الحكومة الهندية عددا كبيرا من الجنـد والمتطوعة حتى امتلات العاصمة بهم ، بل لم تستطع الحكومة تدبير اقامة الكثير منهم . وفي نفس الوقت شدد المغول حصارهم لدهلى ، واستولوا على البضائع والمؤن والمعدات التى حملتها القوافل المتجهة الى دهلى (٣) . الامر الذى ادى الى قلة الاقوات في دهلى ، وبالتالى رفع الاسعار ، فناشد السلطان علاء الدين ولاة الاقاليم بارسال الميرة والمعـدات الى دهلى بسرعة وبدون ابطاء ، وفي نفس الوقت بذل جهودا مكثفة لتقوية وسائل الدفاع عن الحاضرة الاسلامية الكبرى ، وعهد الى أحد رجاله المقربين بأن ينـــوب عنه في حكم دهلى ومنحه سلطاته بصفة مؤقتة ، ريثما ينتهى من الحرب ، وخرج هو على رأس جيشه الى Kili ، وعسكر بالقرب من القوات المغولية بقيادة كتلغ خواجى (١) .

وكان الجيش الهندى يعسكر في موضع آمن في Kili كيلى وتحميه الحشـــائش والادغـــال والغـــابات من كل جانب ، وانضـــم حـــكام البنجاب والملتان وسامانا بجندهم الى سلطان دهلى ، وانضم اليه بعض راجات الهنـــود من اقدر المحاربين واشجعهم ، وقسم علاء الدين قواته الى فرق ، ووزع الفيلة بينها ، وأمر كل جندى بالا يبرح موضعه بدون أمر منه ، وبث علاء الدين روح الحماس بين جنده ، وحثهم على التضحية بالنفس لدرء الخطر المغولى عن ديارهم ، وادار المعركة بكفاءة ومهـــارة وشجاعة (٥) . وعلى الرغم من ضغط المغول على قواته ، وشـــدة وعنف هجماتهم ، فان الدائرة دارت عليهم ، ومزقوا شر ممزق ، ولم ينج منهم

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .
(٤) Lal. p. 137.
(٥) تاريخ فرشته ص ١٠٣ .

الا الشريد ، وأعمل فيهم المسلمون السيف كيف شاءوا حتى افنوهم ، وتمكن علاء الدين من فك أسر المسلمين الهنود ،وانقذهم من شرورهم(١) .

على أن ظفر خان الذى كان يقود احد اجنحة الجيش قد انفرد بحرب فريق من المغول يفوق جنده عددا ، لذا أمر رجاله بشن هجوم يائس على العدو وتقهقر المغول أمام هجماته القوية ، فتمكن منهم ونكل بالكثيرين ، وفي نفس الوقت أعد كمينا للمغول أثناء انسحابهم ، سقط فيه حوالى عشرة آلاف ، ومع ذلك كان جيش ظفر خان لا يزيد عن الف فارس ، وجيش المغول أضعاف عددهم . ولم يكتف ظفر خان بما أحرزه من نصر بل اعتزم الدخول بجنده القليل مع العدو في معركة فاصلة ، ورفض كل الرفض فكرة الانسحاب من المعركة حتى لا يعاقبه السلطان بتهمة الجبن . ودارت معركة يائسة بين الفريقين حمى فيها وطيس القتال (٢) ، ولم يكن الفريقان متكافئين بسبب قلة عدد جند دهلى بالنسبة للمغول ، وقتل مع ذلك من الهنود ثمانمائة ، ولم يبق مع ظفر خان سوى مائتين ومع ذلك ظل يواصل القتال بجنده القليل ، واظهر من ضروب البطولة والشجاعة ما صار مضرب الامثال فقد قتل من المغول في هذه المعركة الضارية خمسة آلاف مقاتل ، وظل ظفر خان يحارب حتى قتل حصانه فوقف على قدميه ، وواصل الحرب ، وتحدثت المصادر المعاصرة عن شجاعته حديثا يدعو الى الاعجاب ، ولم يحظ القائد الشجاع بتقدير الهنود فقط ،بل أعجبت شجاعته ومقدرته القتالية الاعداء أيضا.ولما ضعف ظفرخان عن المقاومة ، ولم يعد في إستطاعته مواصلة القتال ، ولاحظ قائد المغول ذلك ، أرسل اليه يعرض عليه العفو والامان ، ويطلب منه الدخول في خدمته ، لكن القائد المسلم الشجاع رفض هذا العرض ، وآثر ان يموت في ميدان القتال شريفا غير خائن ، شهيدا في سبيل الله والوطن ، وفعلا ظل يقاتل حتى قتل .

وبعد هذا النصر المؤزر عاد علاء الدين من كيلى ولم يزعجه نبأ مقتل ظفر خان ، لانه كان يخشي بأسه ويشك في نواياه نحوه . ومما لا شك فيه أن هذا الانتصار الخلجى الرائع على المغول قد جنب بلاد الهند من ويلاتهم وشرهم المستطير فترة من الوقت ، حتى ان المغول امضوا وقتا لم

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق .

يفكروا فيه في غزو الهند ، بعد أن وقفوا على حقيقة قوة سلطنة دهلى ، وكفاءة سلطانها ، وعظم بأسه ، ومقدرة جيشه القتالية ، وانصرف المغول الى شؤونهم الداخلية في وسط آسيا .

على أن علاء الدين لم يطمئن الى فترة الهدوء التى انصرف فيها المغول عن الهند ، بل ظل يترقب هجوما متوقعا منهم ، ويتتبع الاحداث السياسية في وسط آسيا ، وفي نفس الوقت يعد العدة ، ويتأهب عسكريا واقتصاديا لغزو مغولى مفاجيء (١) .

وباقتراب سنة ١٣٠٢ سار علاء الدين الى دكا عن طريق البنغال ، وهاجم شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وهناك علم بأن المغول أعدوا قوة ضاربة لغزو سلطنة دهلى من جديد (٢) .

وجاء الغزو المغولى في وقت حرج للغاية بالنسبة للسلطان علاء الدين ، ذلك أن جيشه قد انهكه الهجوم على شيتور ، ونفذت الكثير من معداته ومؤنه ، كما أن الجند مات أو مرض أكثرهم أثناء عودتهم الى دهلى عن طريق صحراء الثار القاحلة ، واقترب المغول من دهلى بقيادة تارغى Targhi على رأس ١٢٠ الف جندى وكان على علاء الدين أن يعد العدة بسرعة لانقاذ دهلى من هذا الخطر الداهم (٣) ، وأصدر أوامره الى ولاة الاقاليم في دولته في الشرق والغرب لارسال النجدات الى العاصمة ، والاستعداد لقهر الغزاة المغول ، ودفعهم عن البلاد .

واقترب المغول من دهلى ، واثار قائدهم حماس جنده ، وحثهم على الانتقام مما لحق بكتلغ خواجى وجنده ، ودعاهم الى الحرب بشجاعة وحماس حتى لا تتكرر مأساة الهزيمة المروعة السابقة ، وحتى يمكن الانتقام لقتلاهم . وقد فزع علاء الدين من هذا الهجوم لان النجدات التى طلبها من ولاة الاقاليم لم تصله بعد، فجمع جنده في سهول سيرى Siri كما أبقى فريقا من الجند في دهلى . ولما كان من الخطورة محاربة المغول في ارض مكشوفة وجها لوجه بسبب قلة جند دهلى بالنسبة للعدو ، فقد قرر علاء الدين تقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، وكانت اضعف نقطة

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٦١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
(٣) Lal : Hist. of the Khaljis, p. 300.

دفاعية عن دهلى تقع في شمالها ، أما الجهات الاخرى فتحيط بها الادغال والغابات والمستنقعات ، وقد أقام علاء الدين خندقا حول دهلى. وبذلك وجد المغول صعوبات بالغة وأهوال جسام في البحث عن نقطة ضعف تمكنهم من اقتحام دهلى (١) .

وأحكموا الحصار حول دهلى من جميع جهاتها ، وازداد حرج علاء الدين ، النجدات لم تصله ، وجيشه الذى أرسله الى البنغال عاد ممزقا ، ومنع المغول الماء عن دهلى ، وكذلك الميزة وكل ضروريات الحياة ، وكان المغول يسيرون في جماعات في بلدان سلطنة دهلى ، وينهبون مخازن الحبوب فيها ، بل أرسلوا فرقة نهبت مخزن الحبوب الملكى ، فعم القحط دهلى ، واشتد البلاء ، وقاسي الناس ويلات البؤس والحرمان ، وضعفوا ووهنوا . على أن الخطوط الدفاعية الحصينة التى اقامها علاء الدين حول دهلى لم تمكن المغول من اقتحامها .

ودارت بين الفريقين عدة مناوشات لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، ولما طال الحصار ، راى قائد المغول أن اقتحام دهلى أمر صعب ، ويكلفه ما لا يطيق ، بسبب قوة استحكامات علاء الدين ، لذا نجد قائد المغول يقرر الانسحاب بعد شهرين من الحصار (٢) . وبذلك أنقذ الله دهلى من خطر داهم وشر جسيم .

وقد اختلف المؤرخون في تعليل انسحاب المغول على الرغم من تفوقهم الحربى والعددى عن جيش علاء الدين ، وعن احكامهم الحصار لدهلى ، ومنع الماء والقوت عنها . وقد أرجع المؤرخ بارانى هذا النصر الى الدعوات المخلصة للشيخ نظام الدين الذى عرف عنه التقوى والورع . وعلى كل حال يمكن تعليل انسحاب المغول الى عدة عوامل ، منها أن السلطان علاء الدين تصدى للمغول بكل ما أوتى من قوة ، ورفض الاستسلام ، وأحكم خطة الدفاع ، ومن هنا رأى قائد المغول عدم جدوى الاستمرار في الحصار . كما أن تقوية وسائل الدفاع — كما رأينا — قد احبط محاولة المغول دخول دهلى . ومن ناحية أخرى فان معارك المغول في الهند كانت خاطفة وسريعة حتى لا يؤثر استمرار الجيش المغولى في الهند على موقفهم الحربى في وسط آسيا .

(١) IBID. pp. 140-141.

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٢ .

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٠٣ .

على أن الغزو المغولي قد دفع علاء الدين الى تقوية وسائل الدفـاع في مملكته تجنبا لتكراره من جديد . فقد شيد حصنا وقصرا في سيرى ، ونقل مقر قيادته هناك ، حتى أن سيرى عرفت بالعاصمة ، وشـيد علاء الدين أسوارا عالية ، وضخمة حول البلدة لمنع الغزاة المغول من اقتحامها، وأصلح القلاع القديمة ، وشيد حصونا على حدود دهلي لمنع المغول من اجتياز الهند من جديد ، وحشد الجنود والضباط في القلاع والحصـــون الشمالية ، لمنع المغول من غزو الهند ودرء خطرهم وأعاد تنظـيم الجيش وتسليحه ، بأحدث وأقوى المعدات المتطورة وقتئذ .

وبعد أن أعد علاء الدين عدته لهذا الامر اطمأن الى أن المغـــول لن يلحقوا بالهند من الويلات ما حدث قبلا ، بل أصبح مستعدا لتلقينهم درسا قاسيا اذا فكروا في غزو الهند ، وتعريضهم للقتل والتنكيل والتشريد « ويقع نساؤهم اسرى في ايدى المسلمين ، ويمزق رجالهم سيوف المسلمين وتدمرهم الفيلة » (١) .

على أن المغول قد استاءوا من الهزائم المتلاحقة التى لحقت بهم مـن سلطنة دهلي ، وعولوا على ضرورة الانتقام من علاء الدين ، فسيروا جيشا كبيرا بقيادة على بك Ali Beg وتـارغى وســـارتاك ، وكان تـارغى يتعطش للثأر والانتقام مما لحق به سنة ١٣٠٣ من خيبة أمل وهزيمة وقتل كتلـغ خواجى . ومهما يكن من أمر ، فقد شن المغول حملتهم على الهنـد سنة ١٣٠٥ ، في حملة لا تقل ضراوة وشراسة عن حملاتهم السابقة ، ضم جيشهم خمسين الف مقاتـــل ، وعبر المغول المنطقة الجبلية في شـمال غرب الهند . ويذكر أمير خسرو ان تارغى لقى مصرعه في بداية الحـرب ، واتجه الجيش المغولى الى دوآب ،وعاث جند المغول نهبا وفسادا في البلاد التى مروا بها ، والحقوا بها الخراب والدمار ، وقد تجنب المغول مهاجمة دهلي لمناعتها وحصانتها ، وأيقنوا من ذلك في هجومهم عليها سنة ١٣٠٣ ، وساروا مباشرة الى الدوآب واودة ــ وهما اعظم بلاد المملكة خصبا وزخاءا ــ ولما اقترب المغـول من المدينتين ، اخذ الفزع من سكانها كل مأخذ ، وعمهم الهلع ، فهجروا ديارهم الى القرى والغابات المجاورة (٢) .

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٧٣ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٢٠ .

وحينما علم السلطان علاء الدين بأنباء هذا الغزو المدمر وفزع الاهلين منه ، أعد جيشا من ثلاثين أو اربعين الف مقاتل لدرء الغـزاة عن أرض الوطن والتقى جيش دهلى مع جيش المغول في معركة حامية الوطيس ، هزم فيها المغول هزيمة نكراء ، ومزقهم المسلمون كل ممزق في أواخـر سنة ١٣٠٥ (١) ، وقتل في المعركة أكثرية جند المغول ولاذ من نجا منهم بالفرار ، وقد غنم المنتصرون خيولهم ووقع قائـدا المغول على بك وتارتاك في اسر المسلمين وسيقا الى دهلى مكبلين بالسلاسل والاغلال (٢) .

وكان لهذا الانتصار الرائع صدى عميقا في نفوس أهل الهند ، وعقد سلطان دهلى مجلسا يضم كبار رجال الدولة من الامراء والوزراء وقواد الجيش واستعرض الجيش المنتصر بالغنائم التى غنمها من العـدو ، وسارت الاسرى في موكب أمام مجلس السلطان ، واجتمع الناس من كـل مكان للمشـاركة في هذا الاحتفال الكبير ، وامر علاء الدين بعرض موكب الاسرى في دهلى ، ثم قتلهم بعد ذلك . ويقول فرشـته أن ثمانمائة رأس مغولى استعملت بدلا من الحجارة لتشييد قصره في سـيرى . على أن السلطان أمر بحبس قائدى الجيش ، وانزلهم في دار خصصها لهما ، ولم يلبث أن أمر بقتلهما .

ولم يكد علاء الدين يتنفس الصعداء من هذا الغزو المغـولى الذى تحدثنا عنه ، حتى عاد المغول من جديد في سنة ١٣٠٦ لمهاجمة بلاده انتقاما من مقتل على بك وتارتاك وجند المغول ، وخرجت الحملة المغولية بقيـادة كوباك ، واجتاز بلاد الهند بجيش قوى ، وسار الى راڤى Ravi ، وخرب البلاد التى مر بها ، وتحرك فريق من المغول جنوبا ، وبلغوا ناجور Nagaūr وأحدثوا الرعب في القرى المجاورة لهذه البلدة

وكان طبيعيا الا يتغاضي السلطان علاء الدين عن اجتيـاز المغول لبلاده فأرسل جيشـا لتتبعهم ، وطردهم من مملكته ، واسند قيادة جيشه الى ملك نائب كافور وحرص علاء الدين على بث روح الحماس بين جنـده الذين أضناهم كثرة الحروب بل أمر بدفع منح مرضية لجنده ، وتقـدم

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

جند دهلي صوب جنـد المغول ، ووقف الفريقـان وجها لوجه ، ودارت رحى معركة بين الفريقين ، انتهت بانتصار جيش دهلي على جند المغول انتصارا حاسما ، وتقهقر جيش المغول مغادرا بلاد الهند نهائيا ، وعـاد المغول الى بلادهم يجرون أذيال الفشـــل والخيبة ، وعاد الجيش المظفر الى دهلي مصحوبا بعدد ضخم من أسرى الحرب . ويقول فرشته أن عدد الاسرى المغول قدر بالآلاف . ولما كان علاء الدين شديد الغضب من غزوات المغول المتـــكررة والتى أشاعت الخراب والدمار في القرى والبلدان ، فقد كان انتقامه من الاسرى كبيرا ، فأمر بقتلهم تحت اقدام الفيلة ، وبيـــع نساء واطفال المغول في أسواق النخاسة بالهنـــد ، وشيد من جماجـــم المغول برجا امام احدى بوابات دهلي (١) .

وهذه الغزوة ، آخر غزوات المغول في بلاد الهند ، وحدث معظمهـــا في عهد دافا خان الذى ولى عرش بلاد ما وراء النهر سنة ١٢٧٢ ، وتوفى ســـنة ١٣٠٦ ولقد اضطربت بلاد ما وراء النهر بعد وفاته ، وتعاقب على العرش في مدى ثلاث سنوات ثلاث خانات ، ولكن غزوات المغول في بـلاد الهند توقفت بعد وفاة دافا وأنقذ الله سلطنة دهلي من ويلاتهم واعمالهم التخريبية وانتهى الوقت الذى كان يعيش فيه الاهلين في رعب وفـزع . ومما لا شك فيه أن جهود علاء الدين المضنية وشجاعته النادرة هو وقواده كان لها أثر كبير في درء كل محاولة بذلها المغول للنيل من بلاد الهند . ولما كانت غزنة وكابل تشكلان اهمية استراتيجية كبيرة على امن الهند وسلامته من ناحية الغرب فقد شرع علاء الدين في احتلالهما ... وفعلا بسط سلطانه على البلدتين . وبذلك وضع حدا لما كانت تتعرض له الهند من حـروب تشن عليها من الحدود الشمالية الغربية وبالذات من غزنه وكابل (٢) .

ويجدر بنا أن نناقش أســـباب الهزائم المتلاحقة التى حلت بالمغول من جيوش سلطنة دهلي ، واسباب فشلهم في احتلال بعض اجزاء من الهند

ويمكن القـــول ان اســـطورة جيش المغـــول الذى لا يقهـــر قد فات اوانها وولت أيامها ، بعد أن فقد المغول قدرا كبيرا من قوتهم ترجـــع في معظمها الى الانقسامات الشديدة بين خانات المغول ، والى انقطـــاع الصلة بين خان المغول في بلاد ما وراء النهر ، والخان الاعظم في الصـــين ، فضلا عن أن خان بلاد ما وراء النهر شغلته الاحداث السياسية في وسط

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .
(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٤ .

آسيا عن تركيز جهوده في الهند ، ويقال أن دافا غزا وسط آسيا خمسين مرة ، ولما رأى أن حروبه هناك لا جدوى منها ولا طائل ، انفذ جيوشه الى الهند ، وكان ينضم الى جيش المغول في الهند عناصر غير مدربة على القتال ، وهى الكهكرية والافغانية ، وهؤلاء لا يهمهم سوى التخريب والتدمير والحصول على منافع شخصية ، يضاف الى ذلك أن نوعية الجندى المغولى قد اختلفت عنها في الايام المبكرة لدولتهم والتى اكسبتهم صلابة وقوة بأس وبالتالى نجاحا وتفوقا ، وفقد جند المغول ما عرف عنهم من سرعة الحركة والصبر على القتال ، وتحمل الشدائد ، ويتجلى ذلك في حروبهم في الفترة ما بين سنتى (١٣٠٠ – ١٣٠٣) فقد استطاع علاء الدين ان يتصدى لهم ، ويدخص كل محاولاتهم التوسعية ، ويوقف كل هجماتهم ، وتعددت معاركه معهم ، وانتصاراته عليهم ، حتى نفد صبرهم وفقدوا القدرة على مواصلة غزو سلطنة دهلى ، لذا انسحبوا من ميدان القتال مخذولين مدحورين (١) .

يضاف الى ذلك ان دافا الذى كان يباشر الحرب بنفسه في وسط آسيا ، لم يفعل ذلك في الهند ، لذلك لم يتعرف على طبيعة الحرب فيها ، ففى الوقت الذى تفوق فيه في وسط آسيا ، هزمت جنوده في الهند مرات ومرات . وبعد وفاة دافا حدث تنافس على العرش في بلاد ما وراء النهر ، صرف المغول عن فكرة غزو الهند ، ولقد فطن علاء الدين الى أهمية افغانستان بالنسبة للهند لانها قاعدة اتخذها المغول لشن حملاتهم على الهند ، فاستولى على غزنة وكابل – كما ذكرنا – وبذلك امنت البلاد من غزو المغول الذى كان يأتيها من هذه الجهات عادة (٢) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن علاء الدين كان رجل حرب ورجل دولة ، يضع الخطط الحربية المحكمة ، ويبث روح الحماس في جنده ، ويعد جيشه خير اعداد ، فضلا عن شجاعته وذكائه وصبره الذى لا ينفد .

وتعرضت سلطنة دهلى للغزو المغولى في عهد السلطان محمد بن تغلق

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٦ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

عقب وفاة أبيه . ففى سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م اقتحم تومشير خان بن داود خان ـ زعيـــم قبائل الاولوس الجغتائية الذائع الصيت ـ بلاد الهند على راس جيش كبير واستولى على لمغان والملتان عند الحدود الشـــمالية الغربية وواصل زحفه في بلاد الهند متجها الى دهلى .

ولم يكن محمد بن تغلق على أستعداد لصد القائد المغولى عن بلاده ، فأرسل وفدا الى القائد المغولى محملا بالهدايا والاموال اليه ، وما زال مبعوثو السلطان بقائد المغول حتى اقنعوه بالعـــودة عن الهند ، فانسحب بجيشه الى بلاده .

الغزو التيموري لبلاد الهند

ينتمي تيمورلنك الى فرع كركن ، ونشأ في قرية كش ، وكان أبـوه شيخا لاحدى القبائل ، ونشأ تيمور منذ نعومة اظفاره على التمسك بتعاليم الاسلام ، وظهرت شجاعته ونجابته في ريعان شبابه الغض ، وقد بث فيه والده تعاليـــم وطنية بضرورة تقويض أركان الدولة المغولية ، وكـــان طموحا يتطلع الى المجد والعظمة ، استوعب منذ صغره كتب الحـــكمة العالية والقوة الخارقة ، وحمل نفسه على الاباء والحذر من المحيطـــين به ، كان يمضي وقته في تلاوة القرآن الكريم والصيد والعاب الفروسية والشـــطرنج .

ارتفع شأن تيمور في بلاد ما وراء النهر حتى تقـــلد بعض المناصب الرئيسية وأسند اليه الامير حسين حفيـــد الامير الجغتائي قزغان ولايـــة كش ، ولكنـــه لم يستمر فيهـــا فقد طـــرد منهـــا ، ولم يلبث أن عـــاد اليها بعد لاى وعناء ، ولم يكتف بولايته بل سيطر على سجستان وبلخ ، وبذلك ازداد نفوذه وارتفع شأنه وقوى امره وكثر رجاله ، واشتبك في عدة حروب مع اعدائه ، وما زال ينتقل من نصر الى نصر حتى تمكن من طرد الجغتائي نهائيا من بلاد ما وراء النهر بعد موت تغلق تيمور ، ودخل مدينة سمرقند وأعلن نفسه سلطانا سنة ١٣٦٩ م .

واتسع ملكه بأن امتد الى ايران والعراق ، وقضي على الدويلات الصغيرة في تلك الانحاء ، وبرزت فيه آثار القدرة والدهاء والعظـــمة « بعد أن قارع الملوك ودوخ الممالك » .

تطلع تيمور الى بسط نفوذه على بـــلاد الهنـــد لمـــا لها من مـــوارد اقتصادية هائلة ، وقد واتته الفرصة بعد وفاة فيروز شاه ــ سلطان دهلى ــ والاضطرابات والقلاقل التى اعقبت وفاته ، وتقدمت طلائع جيشه سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م الى حصن أوكا ، واستولت عليه ، ثـم اتجهت الى الملتان ولم يستطع حاكمها دفع التيموريين وسقطت الملتان في ايدى قوات

المسلمون في العالم

تيمور ، وتقدم جند تيمور في بلاد الهند وسقطت في ايديهم الحصون والبلاد التى مروا بها ونهبوها ثم استولوا على سرستى وأبادوها ، وسقطت في أيديهم فتح آباد ، ثم جاء دور هراة ، فلما بلغها تيمور نزل اليه ولد ملكها غياث الدين بالامان فاستولى عليها ، واستصحب تيمور معه ملكها الى سمرقند (١) .

أعد تيمور العدة لغزو دهلى ، وسار اليها بجيش كبير ، فخرج سلطانها محمود تغلق من حاضرة دولته لدرء خطر المغول وجمع الخيل والرجال وفرق الاموال وأحضر ما في بلاده من الافيال ثم حصن مدائنه ، وجد فى المسير « حتى كاد يسبق الطير ولم تعترضه صعوبات ، والتقى بجيش دهلى وقدم الهنود الفيول لتفنى الخيول ، وخلف الافيال الهنود فوارس الحرب وأبطال الطعن والضرب » ولما أطلع تيمور على قوة العدو وشدة بأسه وحسن استعداده ، أعمل الحيلة والمكيدة ، فلما تراءى الجمعان ، نكص على عقبيه متظاهرا بالانسحاب ونصب الكمائن لعدوه وسقط الهنود في كمائنه ، فانقض عليهم تيمور وجنده وابادهم ومزقهم كل ممزق ودخل تيمور دهلى ، وقدم له اعيانها وعلماؤها فروض الولاء والطاعة ، وأقيمت الخطبة له في مساجدها . وبذلك دخلت دهلى في حوزة الدولة التيمورية (٢) .

على أن جنود تيمور نهبوا منازل دهلى وأسواقها ، واستباحوها ، ووفد على المدينة الكثير من الهنادكة بأسرهم واستاء الهنود في دهلى من جند تيمور ، وأعد الهنادكة العدة لمقاومتهم فقتلوا نساءهم وأطفالهم ، وأغلقوا أبواب دهلى ودارت حروب بين الاهلين والغزاة ، قتل فيها من سكان دهلى ما يقدر بحوالى مائة الف ، وامتلات دهلى بجثث القتلى ، وتحولت الى بحر من الدماء ، وأعقب ذلك تفشي الاوبئة ، ونهب جند تيمور كل ما وقع في أيديهم من ثروات دهلى الهائلة وأعقب ذلك سقوط اقاليم سلطنة دهلى في أيدى تيمور . وزار تيمور عاصمة الاسلام الكبرى بعد ما لحقها الخراب والدمار ، ونظم ادارتها وعاد الى سمرقند وفي صحبته مهرة الصناع والمعماريين .

وذكر تيمور في سيرته بعد أن فتح دهلى : لقد قضيت خمسة عشر

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور فى أخبار تيمور ، ص ١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨ — ٦٩ .

يوما في دهلي بين مظاهر الفرح والنعيم ، اعقد مجالس البلاط الملكية ، واقيـــم الاسمطة العظيمة ، ثم ذكرت انني اتيت الى هندوستان لشن الحرب على الكفار وقد بارك الله هذه الحملة ، فجعل النصر حليفى ، والظفر يتبعنى أينما ذهبت ، ولقد انتصرت على خصومى ، وقتلت بعض مئات الالوف من الكفار وعبدة الاصنام ولطخت سيف الدعوة بدمـــاء اعداء الدين . الان وقد تم هذا النصر المبين ، اشعر انه لا يحق لى أن أخلد الى الراحة ، بل أن ابذل جهدى لشن الحرب على كفار هندستان (١) .

---

(١) Elliot, Vol. p. 8.

الباب الرابع

النظم والحضارة في سلطنة دهلى الاسلامية

١ ـ نظم الحكم والادارة .

٢ ـ الحالة الاقتصادية في سلطنة دهلى الاسلامية .

(أ) ازدهار الزراعة .

(ب) تقدم الصناعة .

(ج) النشاط التجارى :

التموين والتجارة الداخلية .

التجارة الخارجية .

(د) الادارة المالية .

٣ ـ المظاهر الاجتماعية .

(ا) طبقات المجتمع .

(ب) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية .

(ج) العادات والاخلاق .

(د) المواكب والاعياد .

٤ ـ الحياة الثقافية في سلطنة دهلى الاسلامية .

١ – نظم الحكم والإدارة

كان الاقليم الاسلامى في بلاد الهند في عصر الغزنويين والغور يحكمه نائب السلطنة في غزنة او فيروز كـــوة ، ويختص بادارة الاقليم الهندى، والدفاع عنه ضد هجمات الهنود ، والمحافظة على الامن والنظام ، ونشر تعاليـــم الاسلام ، وولى منصب النائب أحد القادة العسكريين ، ولـم يتردد السلاطين الغزنويون في عزل النائب وعقابه اذا لم يحكم بالعدل بين الرعيـــة ، فقد كان ارياروق ـ نائبا للسلطان في الهند ـ ولما أساء السيرة عزله السلطان مسعود ، وأودعه السجن ، وعهد الى أحمد بن ينالتكين بحـــكم اقليم الهند الاسلامى . وعلى الرغم من كفاءة هـــذا النائب العســـكرية والادارية ، وتوسيعه رقعة الاقليم الاسلامى في الهند ، الا أن الشـــكوك حامت حوله ، اذ اتهم بنهب أموال الناس ، والاتصـــال بالسلاجقة ، فأرسل اليه مسعود جيشا هزمه وقتله (١) .

وعهد الغزنويون أحيانا الى بعض الهنود بتولية وظيفة النائب ، فتلك الهندى الذى انفذه السلطان مسعود لاخضاع ينالتكين ، كافـأه السلطان بأن استنابه على هذه البلاد . واحيانا يعهد الغزنويون والغوريون الى بعض أمراء البيت الحاكم بحكم الهند ، كما فعل السلطان مسعود حين أسند الى ابنه مجدود منصب نائب السلطنة في الهند . ولما قتل مسعود، وولى السلطان محمد ، عزل مجدود ، وعهد الى احد ابنائه بولاية اقليـم الهند . على أن السلطان الجديد مودود سار اليه وقبض عليه بعـد أن انتزع السلطنة من عمه محمد وأسند سلطان الغور علاء الدين الى أخيـه غياث الدين حكم الهنــد نيـــابة عنه ، ولما ولى غياث الدين الســـلطنة اســـند حكم الهند الى مولاه قطب الدين ايبـك وقد قـاوم اعـداء الدولة والمتآمـــرين على سلطانها (٢) .

لما سقطت دولة الغور حكم قطب الدين أيبك الاقليم الاســـلامى في الهند حكما مستقلا ، وأقام منه دولة عرفت بدولة المماليك ، حاضرتها دهلى ، وتوج سلطانا بها . ومن ثم قامت في بلاد الهند منذ ذلك التـاريخ

---

(١) Munshi : The Struggle for Empire. p. 92.

(٢) K. Ali : A New Hist. ofIndo-Pakistan. p. 81.

دول اسلامية مستقلة وهى دولة المماليك والدولة الخلجية ودولة بنى تغلق ، وكان الحـــكم وراثيا في هذه الدول . على أن قاعدة الوراثة في الحـــكم لم تسر على قاعدة ثابتة .

وخلف قطب الدين أيبك ، ألتمش ، وكان مملوكا لســـيده قطب الدين وصاحب عسكره ، ونائبا عنه ، فلما توفى سيده تربع على عرش السلطنة في دهلى ، وأخذ الناس بالبيعة فأتاه الفقهاء ، وعلى رأســـهم قاضي القضاة وطلبوا منه ان يثبت حريته فأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا (١) ، وصار الحكم وراثيا في بيت بلبن وخلفه ابنه ركن الدين ، ولما قتل ، حكمت رضية البلاد .

وظلت قاعدة الوراثة غير ثابتة في العهد الخلجى ، فلما قتل السلطان جلال الدين ، ولى ابنه ركن الدين السلطنة لكن علاء الدين ابن أخ جـلال الدين ، نحاه عن الحكم وولى هـــو السلطنة على الرغـــم من أنه ليس الوريث الشرعى للســـلطنة وعهد علاء الدين قبـــل وفاته بتأثـــير مملوكه كافـــور بالحـــكم الى ابنـــه شهاب الدين على الرغـــم من انه أصغر أخوته ، وخلفه قطب الدين وولى الحكم وانقسم البيت الحاكـــم على نفسه بل ولى دهلى سلطان لا ينتسب الى البيت الحاكم وهـــو خسرو خان .

تربع تغلق على عرش دهلى ، وعهد الى ابنه محمد ، ولما ولى محمد لم يكن له ولد ، فخلفه ابن عمه فيروز بعهد منه ، ولم يعهد فيروز لابنه محمد بسبب سوء سيرته وتصريفه للامور ، وعهد الى حفيده غياث الدين ابن فتح خان ، واضـطربت الامور ، وتنافس الامراء على العرش ، وظـل الحال كذلك حتى غزا تيمور بلاد الهنـــد .

وكان سلاطين الهند مستقلين تماما عن الخلافة العباسية وان كان فريق منهم مثل التمش وبعض سلاطين تغلق ، تودد الى الخلفاء العباسيين في مصر من باب التشريف ولزيادة نفوذهم بين رعاياهم المسلمين ، فقـــد نقشوا اسماءهم على السـكة ، وامروا بذكرهم في الخطبة .

حرص سلاطين بنى تغلق على الاعتراف بسيادة الخليفة العباسي الروحية على العالم الاسلامى ، وسعوا الى الحصول منهم على تقليد بحكمهم

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ١١١ .

الدولة الإسلامية
في
شبه القارة الهندية
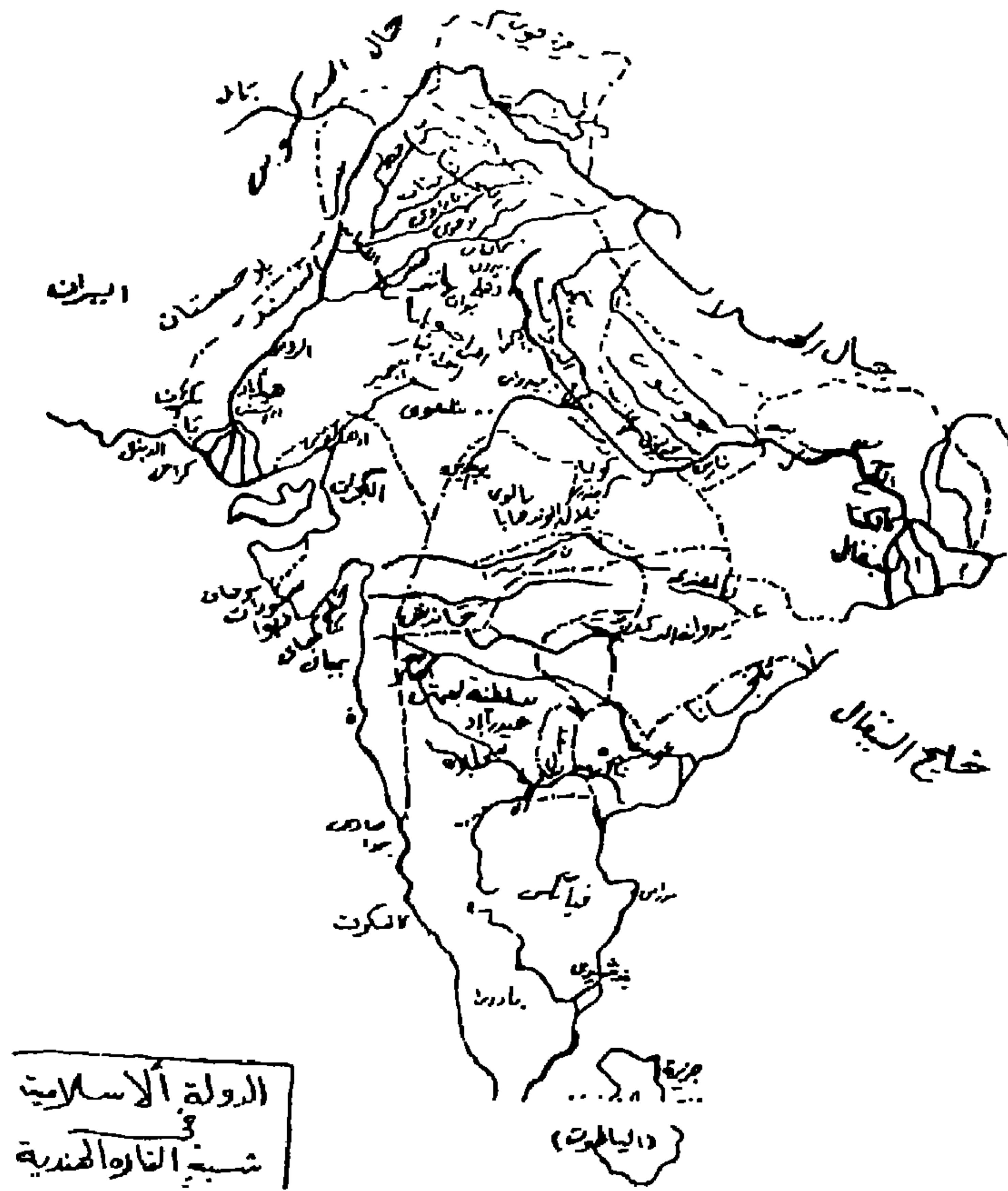
لسلطنة دهلى حتى يكسبوا حكمهم الصفة الشرعية . فأرسل محمد بن تغلق الى الخليفة العباسي بالقاهرة ، المستكفى بالله يطلب منه تفويضا ، ولما حظى بالتقليد بالغ في احترامه وتقديره ، وبعث بالهدايا الى الخليفة العباسي ، وقرر ذكر اسمه في الخطبة ، ونقشه على السكة ، مقترنا بكثير من المدائح، وظل اسم المستكفى برغم وفاته سنة ١٣٤٠ ينقش على العملة حتى سنة ١٣٤٣ ، مصحوبا بهذا الدعاء : اطال الله بقاء الخليفة » (١) .

وقد اظهر السلطان محمد بن تغلق ولاءه وتقديره للخليفة العباسي وارسل اليه الخليفة الحاكم بأمر الله احمد بن المستكفى بالله بالقاهـرة خلعة مع سفيره حاجى سعيد صرصرى ، ولما قدم هذا السفير الى دهلى سنة ١٣٤٣ ، خرج اليه السلطان بصحبة النبلاء ، وقابله بمظاهر الحفاوة والاحترام ، ثم تقدم في السير حافى القدمين مسافة مبالغة منه في احترامه ثم بعث الى الخليفة كتابا يجدد له ولاءه وتبعيته له ، وظل يتبادل معـه الرسائل لمدة عامين حتى انفذ اليه الحاكم بأمر الله تقليدا بالحكم (٢) .

كذلك حرص السلطان فيروز على اكساب حكمه الصفة الشرعية ، بالحصـول على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي في القاهرة فأرسل الى المعتضد بالله يطلب منه تفويضا بالحـكم ، فأجاب الخليفة طلبه ، وبعث اليه بخلعه مماثلة للخلعة التى أرسلت لمحمد بن تغلق ، وخطابا يتضمن كثيرا من عبارات المجاملة والاحترام ، كما أرسل اليه تقليدا بالحـكم سنة ١٣٥٦ ، وقد كان فيروز فخورا بهذا التقليد وتحدث عنه في كتـابه الذى أرخ فيه لنفسه ، قال : أن أعظم ما حصلت عليه من رضوان الله أنه بفضل طاعتى وتقواى وصداقتى للخليفة ممثل النبى ، توطدت سلطتى ، فبتأييـده تتوطد سلطة الملوك ، ولا يصبح أى ملك آمنا على نفسـه وملكه ، الا بعد أن يذعن للخليفة ، وينال تثبيتا من العرش المقـدس ، وقد أرسل الخليفة عهدا بتثبيت سلطتى كنائب له ومرشد للمؤمنـين ، وانى لفخور بأن يلقبنى الخليفة ، سيد السلاطين ، كذلك أنعم على بخلع ولواء وسيف وخاتـم ، وهذه كلها تمثل شعار الشرف (٣) .

وكان سلطان دهلى حاكما مطلقا في دولته ، مصدرا لكل سلطاتها ،

---

(١) Arnold : The Caliphate p. 104.

(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ السلطان الناصر بن قلاوون ، ص ١٠٠ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٨٠ .

وهو القائد الاعلى للجيش ، والمحرك الادارى للدولة ، وقاضي قضـاتها ، وحامى حمى الدين او امير المؤمنين ، وهو مسئول فقط امام الله ، وسلطان الله في ارضه ونائبه على عباده ، وواجبه على الناس الطاعة والانقياد له ، ونفوذه غير مقيد بقانون وبلا حدود ، ولا يسأل عما يفعل ، وما على الرعية فقط الا تنفيذ اوامره وتعليماته . (١)

ويشتمل البلاط الملكي على عدد من الموظفين ، واول هؤلاء الموظفين ، وكيل الدار ، وتتضمن اختصاصاته حفظ مفاتيح بوابات القصر الملكى ، وينظر في ادارة البلاط الملكى ، ويراس موظفى القصر الملكى ، ويمنحهم رواتبهم ، ويباشر شؤون تعليم اطفال العائلة المالكة وتثقيفهم بما يتناسب ووضعهم الاسرى ، وهو مسؤول عن كل مرافق القصر مثل مطبخ القصر ومخزن الملابس واسطبلات القصر . ويباشر تنظيم الحرس السلطانى ، ويتفقد اعمالهم ونشاطاتهم ، لذلك كان يسند هذا المنصب الكبير الى رجل معروف بالمهارة والذكاء والامانة والكفاءة ومركزه حساس ودقيق ، واقل خطأ فى عمله ، يعرضه لغضب السلطان عليه ، فقد يعزله بل وقد يقتله ،ويساعد وكيل الدار في عمله موظف كبير هو نائب وكيل الدار .

ومن الوظائف الهامة في البلاط الملكى وظيفة امير حاجب ، ويلى وكيل الدار في الاهمية ، وامير الحاجب هو كبير امناء القصر ، ويباشر المراسم السلطانية ، ويعد الترتيبات للحفلات الملكية الخاصة وحفلات الاستقبال لضيوف السلطان ، وتوديعهم ، ومراسم تنصيب الوزراء وكبار رجال الدولة ، ويقوم بدور الوسيط بين السلطان من جهة وموظفيه من جهة اخرى ، ويساعده في عمله نائبه وعدد من الحجاب (٢) .

ومن موظفى البلاط الملكى قائد الحرس السلطانى ، وسمى Jandars ويحيط قائد الحرس مع الحراس التابعين له حول السلطان بسيوف مسلولة في البلاط والمواكب الملكية والاجتماعات العامة التى يجتمع فيها السلطان برعاياه . ومن واجبات الحرس الملكى حماية السلطان من الهجوم

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

عليه ، لذا من شروط اختيارهم خفة الحركة واليقظة وحسن التدريب والكفاءة القتالية (١) .

يضاف الى هذه الوظائف ، وظيفة المشرف على خيل السلطان ، وملاحظ الفيلة ، والمشرف على شؤون الصيد الخاص بالسلطان ، ومدير المطبخ الملكي ، وهذا الاخير واجبه الاساسي تذوق الطعام الذى يقدم للسلطان ، قبل ان يقدم على المائدة السلطانية حتى يتأكد من سلامة الطعام من السموم التى قد يضعها اعداء السلطان في طعامه . ومن موظفى القصير ، امين مخزن الاسلحة ، وحامل اختام الملك ويتبع هؤلاء الموظفين جميعا عدد من الكتبة والسكرتيريين والمحاسبين ولكل اختصاصه وواجباته (٢) .

استعان السلطان في ادارة دولته بعدد من الموظفين من اهل الكفاءة والمقدرة ، ومن ابرز هؤلاء الرجال ، الوزير ورؤساء الدواوين ، وقائد الجيش ومن أهم اختصاصات الوزير ادارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، بما في ذلك الاشراف على ايرادات الدولة ، ويتحقق من فائض دخل ولايات وبلدان السلطنة ويباشر نفقات الحكومة المركزية ، ويساعده عدد كبير من الكتبة والموظفين ، ومن ابرزهم المشرف ، ومن واجبه فحص اوجه النفقات وقد انشأ هذا المنصب السلطان جلال الدين الخلجى ، وانشأ ايضا وظيفة الناظر لفحص التقارير المرفوعة الى المشرف ، لذا كانت اعمال ديوان الوزارة معقدة ومتشابكة . وفي عهد السلطان شهاب الدين عمر شاه كان للوزير اربع سكرتيرين (٣) ، وكل منهم يراس ثلاثمائة كاتب ، وتتعدد اعمال الوزارة في عهد فيرزز شاه ، وتتنوع اختصاصاتها فتشمل الاشراف على الزراعة والعمارة ومعاهد البر ومراقبة تنفيذ قوانين الدولة ولوائحها ، والاشراف على الادارات الحكومية ، وبالجملة فان كافة اجهزة الدولة تخضع بطريق مباشر أو غير مباشر للوزير (٤) . ويذكر باراني (٥) ان الملك لا بد له من وزير ناجح ، ولا يستقيم الملك بدونه . والملك يسير في طريق المجد والعظمة اذا كان الوزير حكيما .

---

(١) Lal : op. cit., p. 161.

(٢) Munshi op. cit. P. 190.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٦١ .

(٤) Munshi : op. cit., p. 197.

(٥) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٩١ .

ومن ابرز وزراء سلطنة دهلي الخواجة خاطر ـ وزير السلطان علاء الدين ـ وهو صاحب خبرة طويلة عرف عنه الحكمة والرشاد ، وتـدرج في سلك المناصب ، فكان نائبا للوزير في عهد السلطان بلبن ، ثم عينه السلطان جـلال الدين وزيرا ، وظهرت كفاءته الادارية وحنكته السياسية ، لـذا بقى في الوزارة في عهـد علاء الدين ، وكانت تنقصه الكفاءة العسكرية ، واقتصرت مهامه على الشؤون الادارية والمالية . على ان خلفه في الـوزارة نصرت خان جمع الى جانب عمله المدنى ، الجانب العسكرى ، اذ كان ذا خبرة واسعة في الحرب والقتال ، لذا اضاف اليه السلطان علاء الدين بعض المهام العسكرية ، وشن حملة عسكرية ناجحة في اقليم الكجرات ، ومـات وهو يحارب في رانثمبهور ، لكنه لم يوفق في الاشراف على الادارة الماليـة ، بل اساء الى الاهلين ، واغتصب منهم الاموال الكثيرة (١) .

وثمة وزير آخر هو سيد خان يذكره فرشتة (٢) ، كان وزيرا للبلاط بالاضافة الى عمله كوزير للدولة ، وكان قائدا عسـكريا ماهرا ، يحبـه السلطان ويؤثره .

وفي عهد السلطان علاء الدين كانت مهمة الوزير الاولى العمل على زيادة ايرادات الدولة ، لشدة حاجة السلطان الى المال لتغطية نفقاته العسكرية الكثيرة ، ويجب على الوزير ايضا في دولة محاربة كهذه ـ الكفاءة العسكرية والمهـارة القتالية ، فقد كانت سلطنة دهلى ـ كما رأينا ـ معرضة للغزو المغـولى من الشمال الغربى ، وفي حروب متصلة لصد المغول ، وغيرهم من الغزاة وفي نفس الوقت قامت سلطنة دهلى بغزوات كثيرة للتوسع في شبه القارة الهندية او لقمع الحركات الانفصالية . على كل حال كان الوزير مسؤولا امام السلطان عن مباشرته للاجهزة الادارية والماليـة للدولة ، والاشراف على حكومات الولايات ، وتقوية الاجهزة العسكرية للدولة ، وقيادة الجيوش لدرء الاخطار الخارجية او لتوسيع رقعة الدولة او التنكيل بعناصر الفتنة والثورة على السلطان .

ومن وزراء السلطان فيروز شاه ، خان جهان ، وهو من اصل هندوسي ، وكان اداريا حازما ، ورجل دولة ، ويرجع اليـه الفضـل في الانجازات والاصلاحات التى حققهـا فيروز شاه لشـعبه ، والرخاء الذى نعم بـه

---

(١) Lal. op. cit., p. 156 - 157.

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٥٨ .

الجماهير ، وكان يقول : ان الله الرحيم جعلني خادمه ، وانا اتطلع الى رحمته بالاخلاص لمنع القتل غير القانوني للمسلمين ، والايذاء لهم سواء مني او من واحد آخر . وجدير بالذكر ان هذا الوزير كان يرسل الاعانات لكل من اضير في العهود السابقة بالايذاء والتشويه ، وجعل للجند رواتب ثابتة من خزانة الدولة ، بعد ان كانت من الاقطاعات ، ومنع نهائيا التعذيب للمساجين والمتهمين الذى كان سائدا في العهود السابقة (١) .

انحصرت الاعمال الادارية في سلطنة دهلى في عدة دواوين ، وابرزها ديوان الوزارة او الرئاسة ــ الذى تحدثنا عنه ــ ويليه في الاهمية ، ديوان العارض ويختص بشؤون الجيش من تغطية نفقاته الحربية وارزاق الجند، وجمع الفرق العسكرية او الامدادات ، وتدبير الاموال للعناية بمتطلبات الجيش ، واعداد التقارير العسكرية ، والتفتيش على وحدات الجيش ، وتفقد اسلحته ، وتزويده بما يحتاجه من اسلحة ومؤن ومعدات ، وصاحب ديوان العارض يصحب الجيش في المعركة ، واحيانا ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة . وعلى صاحب هذا الديوان ان يستقبل الفرق العسكرية التى يكلف السلطان الولايات بامداد دهلى بها ، ويتأكد من مطابقتها لاوامره ، وعليه الاستعداد للحرب واعداد الفرق اللازمة لذلك وعليه أن يدبر رواتب الضباط والجند ، ويباشر ترتيبات نقل الجند الى ميدان القتال (٢) . وكان لهذا الديوان اهمية كبرى ، لذا رأت حكومة دهلىوضع ميزانية مستقلة له عن ميزانية الدولة تيسيرا لمهمته وفي عهد علاء الدين ولى ديوان العارض، ملك نصر الملك ونائبه حاجى خفاجى واعتاد الذهاب مع ملك كافور في حروب دكا ، وكان لجهود هذين الرجلين في دكا أثر كبير في انتصار جيوش دكا (٣) .

وصاحب ديوان العارض يجب ان يكون رحيما بالجند رؤفا بهم ، وفي نفس الوقت حازما معهم ، ويتصرف معهم كوالد ويعاقبهم بالاسلوب

---

(١) Rawlinson. op. cit. p. 285

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٨ .

(٣) Lal : op cit., p.p. 158-159.

الابوى لولد عاق ، فلا يقسو على الجندى ، وكان عماد الملك ـ صاحب ديوان العارض في عهدالسلطان بلبن ـ يعامل الجند معاملة ودية ، ويساعد المستحقين منهم من أمواله الخاصة ، ونجح بلبن بكفاءة هذاالرجل من تكوين جيش قوى يضم جندا مخلصين .

واشتد علاء الدين في معاقبة الموظفين الماليين الذين يقصرون في دفع ارزاق الجنود ومستحقاتهم ، وامر رئيس ديوان العارض بالا يقسو في معاقبة الجند واصدر تعليماته الى قائده ـ ملك كافور في حرب دكا ـ بان يكون والدا فاضلا لضباطه وجنوده (١) . وهذا يوضح سر نجاحه كقائد أعلى للجيش ، وواضع اساس امبراطورية مترامية الاطراف .

والديوان الثالث في الدولة ، ديوان الانشاء ، واختصاصه تحرير المراسم ووثائق التولية والعزل والرسائل الرسمية ، ومراسلة حكام الولايات والموظفين واعداد القرارات الحكومية . ويستعين صاحب ديوان الانشاء بعدد من الكتاب والموظفين ، ويشترط في هؤلاء الكتاب الدقة في التلخيص، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن عرض الموضوعات ، ومن بين هؤلاء الموظفين موظف يعرف بكاتب الديوان ، يختص بترتيب الكتب وتلخيصها ، ويعرضها على صاحب الديوان ، والمراجعون ويختصون بقراءة وتصفح كل ما يكتب في الديوان قبل أن يراجعه صاحب الديوان ، واختص الخطاطون بتبيض الكتب ، ويحفظ الخازن المكاتبات التى ترد الى الديوان ، ومن اهمها الاوامر الرسمية التى تصدرها الدولة ، ويحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل عليه حصرها . ويعد هذا الديوان التقارير اللازمة لانجازاته . وكان صاحب هذا الديوان في عهد السلطان علاء الدين، كبير الدين بن تاج الدين عراقى ، وكان على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة، وكتب كبير الدين كتابا عن عهد علاء الدين ، تضمن انجازاته العسكرية وانتصاراته الحربية ، وفقد هذا الكتاب (٢) .

والديوان الرابع ديوان المراسلات ، والمراسلات هنا خاصة بالمراسلات الخارجية او الدبلوماسية ، ويشبه هذا الديوان في اختصاصاته ، وزارة الخارجية في يومنا هذا ، يقوم بتغطية كل المراسلات التى ترسل الى الدول الخارجية ويبقى على اتصال وثيق بالسفراء ، وقد عنى الخلجيون بهذا

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .
(٢) المصدر السابق .

الديوان ، ومن أبرز من أشرف عليه ملك حميد الدين وعزيز الدين ، وعنى بهذا الديوان السلطان علاء الدين ، وكان لا يسند رئاسته الا لمن يوليه ثقته وتقديـــــره (١) .

واهتم سلاطين دهلى بالقضاء،لان العدالة هى المقياس الدقيق لقياس السيء من الجيد من الناس كما يقول باراني ويحترمها الهندوس والمسلمون على السواء ، لذا كان واجب القاضي مباشرة عمله في محاكم علنية ، وحرص سلاطين دهلى مثل التمش وبلبن وعلاء الدين ومحمدتغلق على النظر في القضايا التى ترفع اليه في المحاكم العلنية ، وكان السلطان ينظر بنفسه فى المظالم التى ترفع اليه في مجلس عام ومن حق اى مواطن ان يلجأ الى السـلطان للنظر في ظلامته ، والمطالبة برفع مظلمته أو بالعدالة ، وعرف عن كل من التمش وبلبن حرصهما الشديد على ان تكفل العدالة لكل مواطن ، وكـان التمش ، يطلب من المظلومين أن يرتدوا زياله لون معين(٢) ، فكان فيتجواله أو في مجلسه اذا راى رجلا يرتدى الزى ، يستدعيه ، وينظر في ظلامته، كما اقام اجراسا امام قصره ، ومن حق المتظلم ان يدقها ، فيســتدعيه السلطان الى داخل القصر ، وينظر في امره (٣) . وشيد بلبن دارا اسماها دار الامن ، يلجأاليهااصحاب المظالم ، وينظر في شكاواهم ، ويخفف اعبـاء الحيـاة عنهم ، ولم يفرق في ذلك بين رعاياه الهنـادكة والمسـلمين . ولكن لم يصف لنا ابن بطوطة وغيره من المؤرخين الذين عاصروا هذه الفتـرة ـ التى نحن بصدد الحديث عنها ـ محكمة هؤلاء السـلاطين (١) .

ويتولى السلطان رئاسة السـلطة التشريعية بالاضافة الى السلطة التنفيذية ويعين قاضي القضاه ، ويشـبه اختصاصه اختصاص وزيـر العدل في أيامنا هذه ، اذ يعين القضاة في النواحى ، ويسـاعد القضـاة في مهامهم المفتين ، وهم من علماء الفقه والتشريع ، ويستعين بهم القضاة في ابداء الرأى في القضايا المعقدة ، ولكل مدينة قاض ، وينيب عنـه في القرى

---

(١) Lal. op. cit. p. 159 - 160.
(٢) Munshi : The struggle for Empire. p. 18.
(٣) IBID. PP. 157 - 158.
(٤) Wahed Husain : Administration of justice during the Muslim rule in India p. 22.

التابعة للمدينة ، كبار رجالها ، للفصل في القضايا التى تعرض عليهم ، وكان يعهد للأمراء وقواد الجيوش وكبار موظفى الدولة النظر في القضايا التى تتعلق باداراتهم ، ولا يحتاج الفصل فيها الى قانون أو تشريع (١) .

وكان يتم الفصل في القضــــايا بسرعة ، وبدون تعقيدات ادارية او اجرائية ، ولا يحق للمتهم ان يعهد لمحام بالدفاع عنه ، ويتم الحكم بعــد مناقشة المتهم والشهود ، والاستماع الى شـــهاداتهم ، ويتم الحكم من واقع للشريعة الاســــلامية (٢) .

لكن باراني (٣) لم يكن مقتنعا بسير العدالة في عهد الســـلطان علاء الدين ، ويقول ان قاضي قضاة المملكة صدر الدين على الرغم من عدالتــه وخبرته الواسعة لم يكن ضليعا في استنباط الاحكام من الشريعة ، ويقول ان مولانا زياد الدين القاضي ونائبه جلال الدين كانت تنقصهما قوة الشخصية ، التى يجب ان يتحلى بها صاحب هذا المنصب الرفيع ، كما أن القاضي حميد الدين الملتانى لم يكن كفؤا في القضاء بل فقد القضاء هيبته في عهده .

على أن استياء باراني من بعض القضاه لا يعنى فساد نظامه في عهد علاء الدين . حقيقة حدثت مساوىء في القضــاء يمكن ان تكون فردية ، فبعض نواب القضاه كانوا يجلسون في المساجد للفصـــل في القضــايا ، فيأخذون اموالا ورشاوى من المتهمين وبديهى لم تصل هذه المفاســد الى مسامع السلطان الذى عرف عنه الشدة والحزم . وفي عهده كان القضاة يعاملون باحترام شديد ، ومن حقهم محاكمة اعظم موظفى الامبراطورية وحرص علاء الدين على مراقبة القضاة والتأكد من حسن سلوكهم في حياتهم العامة والخاصة ، ولا يتردد في معاقبة من تثبت عليه تهمة شرب الخمر . وجهازه الادارى كان من الكفاءة بحيث لا يغيب عنه معرفة الموظفين السيئين ، وكانوا لا ينجون من عقابه وهذا لا يمنع من وجود قضاة على جانب كبير من السوء في عهد علاء الدين ، ولكن السلطان طالما كان حازما ، شديد البأس في مراعاته للعدالة ، فمن الطبيعى ومن المنتظر مسير العدالة في مسارها الصحيح ، ويعيش الناس في أمن وطمأنينة تبعا لذلك (٤) .

---

(١) Parasad : Hist. of qaraunah Turks, 1. 269.

(٢) Parasad, 1. 269.

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٤٤٦ .

(٤) Parasad. op. cit. p. 269.

قلنا أنه من الناحية الرسمية بحكم القاضي طبقا للشريعة الاسلامية غير أن العقوبات التى كانت تفرضها الدولة شديدة قاسية بعيدة كل البعد عن احكام الاسلام ، تضمنت بتر الاطراف ، واحيانا الجلد أكثر من مائة، ويصف فرشته (١) بعض العقوبات الشائعة في ذلك الوقت ، فيقول انه كان يتم اراقة دم المسلمين لاسباب تافهة بسيطة ، ولجرائم صغيرة ، ومعاقبتهم بقطع ايديهم واقدامهم وانوفهم وآذانهم وسمل العيون ، وضرب المذنبين بالمطارق حتى تكسر عظامهم ، وحرق الجسم بالنار وفصل الجلد من الجسم ، ونزع الاظافر ، واخيرا اذا كانت الجريمة كبيرة يقطع جسم مرتكبها اربا . والتاجر الذى يتلاعب في وزن السلع او غشها ، يعاقب بقطع بعض اعضاء جسمه ، ويعاقب الزانى بالموت ،والعقاب يتم علانية في مجمع من الناس ، وتعرض راس القتيل او يد السارق في مكان عام (٢) .

ومن يحكم عليه بالسجن ، يستجن في آبار اعدت لهذا الغرض ، ولما كانت هذه السجون مفزعة وغير صحية ، وفيها اهمال شديد للسجناء ، فكثير من نزلائها كانوا يموتون فيها ، واذا خرجوا منها ، خرجوا كأشباح بعثوا من القبور ، وجدير بالذكر أن احد نزلاء السجون في عهد السلطان محمد بن تغلق ، وصف السجن بانه مأوى للحيات والحشرات الضارة ، وأن احدا لا يخرج منه على قيد الحياة . والخلاصة أن العقوبات كانت في بعض الاحيان شديدة قاسية تتنافى تماما مع روح الاسلام السمحة (٣) .

استعان سلاطين دهلى بعدد من الموظفين الاكفاء في الادارة والمخابرات للاشراف على تنفيذ سياستهم الداخلية في البلاد حتى يضمنوا استمرار حكمهم ، وعدم ظهور حركات تمرد ضدهم ، ويراس جهاز الاشراف هذا المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه رئيس المخابرات الآن وهو واسع النفوذ والسلطان، وعلى عاتقه مسؤوليات جسام ، اذ يشرف على تنفيذ اوامر الدولة وقوانينها ، وينصح السلطان في الامور الهامة ، ويوضح له أو يحذره من الاخطاء السياسية التى قد يرتكبها ويقوم بحماية حريم الملك

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٦٠ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٣ .

(٣) Nazim : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 144.

في حالة غيابه عن العاصمة ، ولصاحب هذا المنصب تأثير كبير على السلطان مثل ملك فخر الدين في عهـــد بلبن ، ونصرت خان في عهد عــلاء الدين ، وحديث المشرف علاء الملك (١) . وتأثيره على علاء الدين يوضـــح بجــلاء مركزه واختصاصه وسعة نفوذه .

نظم علاء الدين ادارة دولته ، وعزز الادارة بوظائف جديدة ، عين لهــا رجالا اكفاء ، واوجد فيما أوجده وظيفة المحتسب ، ومن اختصاصه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويراقب حركة الاسواق ، ويمنع الغش في الموازين والمكاييل ، ويمنع التجار من رفع الاسعار (٢) .

واذا كانت هذه الاجراءات الادارية قد نظمت أمور البلاد ودعت الناس الى السلوك القويم ، فان نظام الجاسوسية قد اقلقهم وافزعهم وأثار مخاوفهم ، فشكل سلاطين دهلى أجهزة للجاسوسية ، يقوم بادارتها موظفون مدربون على هذا العمل ، ولقد كان هذا النظام قائما في عهد السلطان محمود الغزنوى اذ استحدث منصب المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه ، اختصاص رئيس المخابرات في عصرنا الحالى ، فهو يقوم بجمع الاخبـار التى تتعلق بالدولة ، والتى تمس امنها وسلامتها ، وينقلها الى السلطان ، ويعاونه في عمله اربعة مشرفين يراسون عددا كبيرا من المشرفين الاقل منزلة ، ويتولى كل واحد منهم الاشراف على مدينة او ناحية وللمشرف جواسيس ينبثون بين الرجال لمعرفة الاخبار ، وينقلونها الى المشرف الذى يبلغها الى السلطان (٣) .

وأعد بلبن جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل أخبار موظفى الدولة ، ويراقبون المصالح الحكومية ، والجيش والبلاط الملكى ، وحتى ابناء السلطان ، ويرفعون تقاريرهم الى السلطان ، وكان هناك جواسيس لمراقبة الجواسيس في اعمالهـم ، والتـأكد من صحة بياناتهم (٤) ، ومن اختصاص جهاز المخابرات ادارة البريد ، ويراســـه صاحب البريد الذى

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٨١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .
(٣) عصام الدين عبد الرؤف : تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر التركى ص ١٥٣ - ١٥٤ .
(٤) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

يساعده عدد من الموظفين يعينون في المدن والاسواق وفي التجمعات السكانية ويرفعون الى السلطان تقارير عن كل ما يجرى في المملكة ، ويستطيع السلطان بواسطة عامل البريد ان يقف على كل صغيرة وكبيرة في دولته ويطمئن على أحوال الناس المعيشية ، وعلى ولاء حكام الاقاليم والشعب له وعلى عدالة القضاة والاجهزة الادارية في الدولة . وبذلك يكون متصلا تماما برعيته ، آمنا على ملكه .

حرص السلطان علاء الدين على حسن تنظيم مخابراته ، ودفعها الى تأدية واجبها على اكمل وجه ، ولم يكتف بنظام البريد ، بل عين الى جانب نظام البريد ، موظفين يعرفون بالاستعلاميين ، وهم من مستويات مختلفة ، ومهمتهم اعلام السلطان بالامور التى تتعلق بالاشخاص على اختلاف مستوياتهم ، لذا كان من حق الاستعلاميين دخول منازل الناس ، ومراقبة ما قد تصدر منهم من اساءات نحو نظام الحكم القائم ونحو السلطان . ويذكر باراني(١) ان علاء الدين بواسطة هؤلاء الناس كان يعرف ما يجرى في منازل الامراء والموظفين ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة وقادة الجيش . على ان هذا النظام قد نشر الخوف بين الناس ، والقى الرعب في قلوبهم ، وفقدوا الثقة في بعضهم البعض ، وامتنع الناس عن التكلم في الامور التى يخشون وصولها الى السلطان ، بل صاروا يتكلمون همسا . وكان الفرد يعاقب ويحاكم على ما قد يصدر منه من قول أو كلام يغضب السلطان . لذا عاش الناس في خوف وفزع من تقارير هؤلاء الاستعلاميين ، واصبح الفرد غير آمن على نفسه في يومه وغده ، وقبع الناس في بيوتهم خوفا من الخروج الى الاماكن العامة ، والخوض في احاديث تؤدى بهم الى السجون (٢) . على ان هذا النظام لا يسود الا في ظل الحكومات الاستبدادية ، ورغم مساوئه ومتاعبه لافراد الشعب ، الا ان اثره اتضح في حسن ادارة الاسواق وحفظ الامن والنظام ، واختفاء اللصوص وقطاع الطرق ، وقمع حركات التمرد والعصيان ، وحرص موظفى الدولة على تأدية واجباتهم بنزاهة واخلاص لشدة ما عليهم من رقابة .

حرص سلاطين دهلى على تيسير الشؤون الادارية للبريد ، وحينما

---

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٦ .

(٢) Lal : op. cit. p. 167.

IBID. P. 167.

يرسل السلطان حملة الى بعض البلدان البعيـدة ، يؤسس مراكز للخيل ومشاة بين العاصمة ووجهة الجيش ، ويعهد الى موظفى البريد بارسال تقارير عن سير الحملة الى السلطان في دهلى في كل يوم او على الاكثر كل ثلاثة ايام ، وكان لعلاء الدين ادارة بريدية تدار بحزم ، ويتم استبدال الخيل والمشاة في مراكز البريد بانتظام،وحرص سلاطين دهلى على أن تكون المسافات بين المحطات البريدية متقاربة ، كما كان الحال في بلدان الخلافة العباسية . وقد وصف ابن بطوطة (١) طرق البريد في سلطنة دهلى ، فقال انها افضل منها في مصر والشـام ، وان الاشجار على جانبى الطـريق ، ووسائل الراحة مكفولة في محطات البريد ، وبلغت المسافة البريدية مرمى اربعة اسهم ، وفي عهد محمد بن تغلق بلغت المسافة البريدية عشر جريات سريعة .

وفي حالات عدم الاسـتقرار السياسي يتأخر وصول البريد ، كمـا حدث اثناء حصار ملك نائب كافور لقلعة Warangal لم يتسـلم علاء الدين اخبارا عن الحصار الا بعد اكثر من اربعين يوما . ومن ناحية أخرى يرجع الفضل الى البريد في ابلاغ السـلطان علاء الدين عن ثورة مولى حاجى في اليوم الثالث من حدوثها ، ويرجع الفضل الى البريد وانجازاته الناجحة أيضا في نقل خسروخان من ديفاجيرى الى دهلى بأمر من السلطان قطب الدين (٢) .

وعلى كل حال فان الخدمة البريدية في عهد سـلطنة دهلى كانت تؤدى مهامها بنجاح وكفاءة ، وتساعد السلطان على معرفة كل ما يجرى في المملكة المترامية الاطراف ، ومراقبة شؤونها بالسرعة اللازمة .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٠١ .

(٢) Lal : op. cit. pp. 167-168.
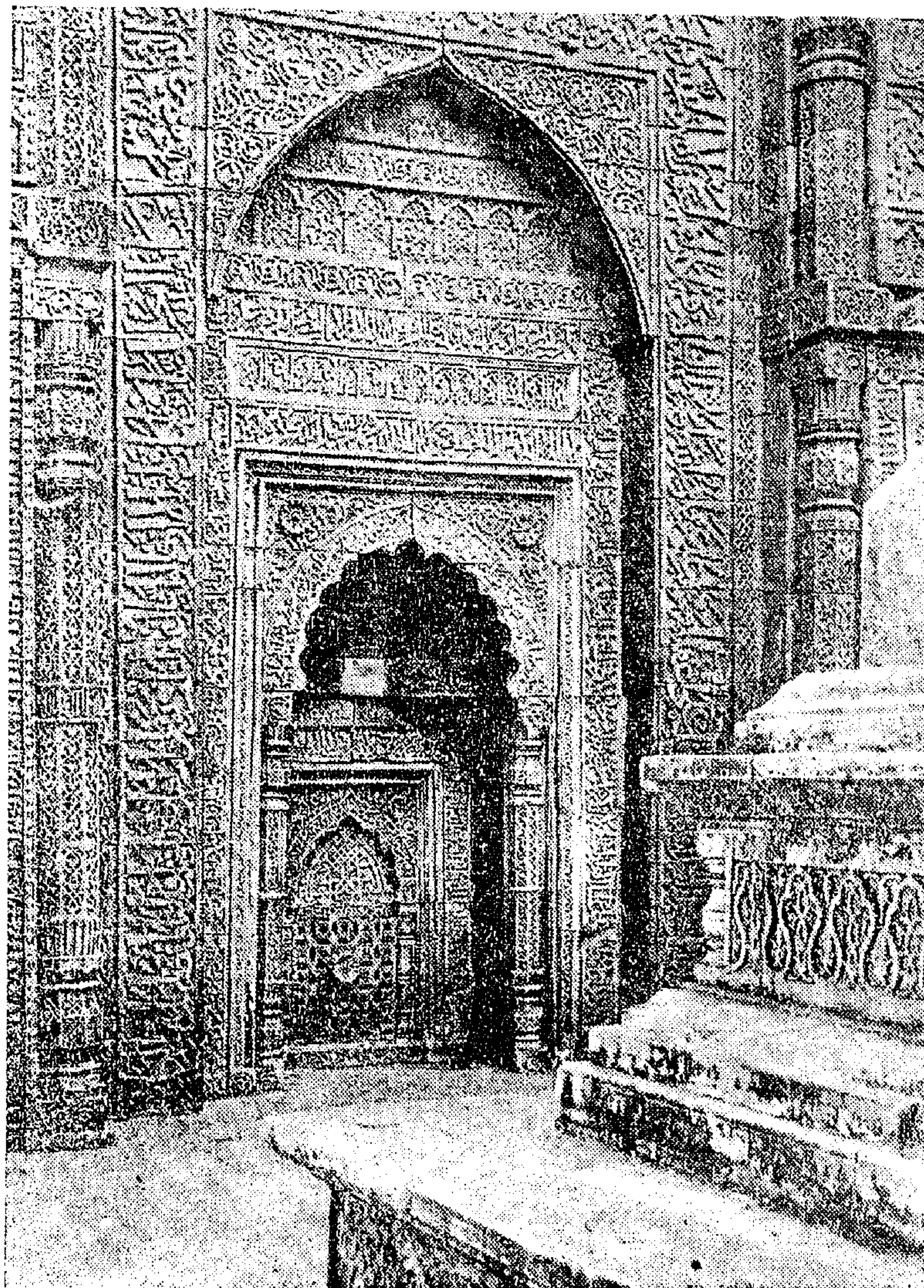
دهلى حاضرة السلطنة الاسلامية

دهلى مدينة كبيرة المساحة ، كثيرة العمارة ، ولقد قام بتوسيعها سلاطين دهلى ، وشيدوا بها الضواحى لسكناهم ، حتى أن ابـن بطوطـة يذكر انها اربع مدن متجاورات ، واهم هذه الضواحى سيرى Siri ، وكان يقيم بها السلطان علاء الدين خلجى ، وابنه السلطان قطب الدين ، وشيد السلطان تغلق ، ضاحية تغلق آباد ، وشيد السلطان محمد بن تغلق، جهان وشرع هذا السلطان في تشييد سور لهذه المدينة الكبيرة يضم ضواحيها التى ذكرناها ولكنه توفى قبل أن يتمه ، وتقع مساكن الحرس ازاء السور، ومخازن الطعام والاسلحة والزرع حول السور لا يتغير ولا تتتابه الافات ويمشي في داخل السور الفرسان والرجالة من أول المدينة الى اخـــرها ، وابراج السور كثيرة ، وعدد ابواب دهلى ٢٨ بابا (١) .

وبخارج دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان التمش ومنه يشرب اهل دهلى ، وهو بالقرب من مصلاها ، وماؤه يجتمع من ماء المطر، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة منقوشـــة ، وهناك حوض خاص للضاحية سيرى أكبر من الحوض السابق (٢) .

وجدير بالذكر أن السلطان فيروز التغلقى ، انشأ عددا من البساتين حول دهلى ، بلغت ١٢٠ بستانا ، واكمل الخزانات التى شرع علاء الدين فيتشييدها (٣) .

ومسجد دهلى الكبير نحت من الحجارة البيضاء ، وبه ثلاث عشرة قبة من الحجارة ، وللمسجد اربعة صحون ، وفي وسطه الجـامع المعمور الهائل ، وفي الصحن الشمالى من المسجد الصومعة الكبيرة المبنية من الحجارة الحمراء ، خلافا لحجارة المسجد البيضاء ، ومنقوشة بالذهب الخالص ، وممرها واسع ، وقد شيدها السلطان بلبن ، والصاعد اليها يرى معظم بيـــوت دهلى (٤) .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ — ١٩ .

(٣) Rawlinson : op. cit., p. 243.

(٤) 1) Lane Poole : Medieval India. p. 68.

ومما تجدر الاشارة اليه ان قطب الدين ايبك هو الذى بدأ في تشييد مسجد دهلى الكبير سنة ١١٩١ ، واكمله التمش سنة ١٢٣٠ ولاتزال منارة هذا المسجد باقية الى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، وعلى واجهة احد ابواب مسجد دهلى الكبير كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « باسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو الى دار السلام .. » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر ... » (١)

واضاف عـلاء الدين الى المسجد ، المدخل الجنوبى بناها في سنة ١٣١١ من الحجارة الحمراء والرخام الابيض . وهذا البناء من اجمل المبانى في تاريخ الهند ويبدو اصغر من منار قطب الدين ، ويبلغ ارتفاع هذا المبنى ٢٣٨ قدما ، وتأخذ شكلا مخروطيا من القاعدة الى القمة ، وتتكون من خمس طوابق الثلاثة الاسفل من الحجارة الحمراء ، والطابقان الاعلى من الرخام الابيض ، وكل طابق له شرفة مزخرفة ، ونقش السلطان اسمه على هذا المبنى (٢) .

وشيد السلطان فيروز شاه التغلقى مسجدا في دهلى ويذكر بارانى انه « بناء عجيب وغريب في عظمته ومحرابه مرتفع حتى قيل انه يدانى السماء » ويتعبد فيه عدد كبير من المؤمنين ، واقبل معظم سـكان دهلى على هـذا المسجد للصلاة فيه وبلغ من كثرة ازدحام المصلين به يوم الجمعة انه كـان لا يبقى فيـه موضع ، ويتجمع النـاس في الشعاب المؤدية للمسـجد ، ويفضلونه على غيره من المساجد .

---

(١) Rawlinson : op. cit. p. 243.

(٢) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٨٨ .

النظام الادارى في سلطنة دهلى

انقسمت سلطنة دهلى الى عدة ولايات بلغت احدى عشرة ولاية في عهد السلطان علاء الدين وهى :

١ ـ الكجرات ، ويحكمها الب خان .
٢ ـ الملتان وسفستان ويحكمها تاج الملك كافور .
٣ ـ دبو بالبور Deopalpur وواليها غازى تغلق .
٤ ـ سامانا وسونام ويحكمها آخور بك ناتك .
٥ ـ دهار ويوغان Dhar — Ujjain
ويحكمها عين الملك مولتانى .
٦ ـ Jhain غيان وواليها فخر الملك ميسارتى .
٧ ـ شيتسور وواليها ملك أبو محمد .
٨ ـ شانديرى واراج Iraj وواليها ملك تامار .
٩ ـ بادون وكول وكارك وواليها ملك دينار .
١٠ ـ أوده وواليها ملك بوكتان .
١١ ـ كره وواليها نصر الدين سوتيلا (١) .

والوالى ينوب عن سلطان دهلى في حكم ولايته ، ومن مهامه حفظ الامن والنظام في الولاية ، والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، ومباشرة ادارة الولاية وتفقد احوال أهلها ، والفصل في خصوماتهم ، ويرسل فريقا من جيشه الى دهلى ، لينضم الى الجيش الفيدرالى في الامبراطورية ، ويقوم بجمع الضرائب من ولايته بواسطة موظفيه الماليين وينفق منها على ادارة الولاية واصلاحها ، ودفع مرتبات الموظفين ، ومتطلبات جيش الولاية ، ويرسل الفائض من هذه الاموال الى الخزينة المركزية في دهلى ، ومن واجباته الاساسية ارسال امدادات حربية اضافية الى سلطان دهلى اذا ما طلب منه ذلك (٢) .

ويقيم ولاة الاقاليم عادة في ولاياتهم ، واحيانا يفضلون الاقامة في دهلى الى جوار السلطان ، ويرسلون نوابا عنهم في ولاياتهم لادارتها ،

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٢٣ .
(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

ويتقاضي الوالى راتبه بنسبة دخل الولاية ، ولا يتدخل السلطان وحكومته المركزية في ادارة الولايات طالما كان الولاة موالين ومخلصين للسلطان (١) ، واذا ثبت عـــدم اخلاص الوالى يتعرض لعقاب صارم من السلطان . وعلى ذلك يمكن القـــول بأن حكومة دهلى اتبعت النظام اللامركزى في ادارة اقاليمها ، فكل وال مستقل في ادارة شؤون ولايته (٢) . وهذا النظام يشبه الى حد كبير الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه ، اذ كان يقطع اقاليم دولته الى أقربائه أو كبار رجال دولته . وفي سلطنة دهلى كان الوالى اشـــبه بالحاكم الاقطاعى في ولايته ، يقطعها له السلطان ، ويبقى في اقطاعه طالما بقى على الولاء والاخلاص للبلاط الامبراطورى (٣) .

على ان سلطان دهلى حرص على مراقبة ولاته وعماله ، وكان يعزل أو يعاقب أو ينقل الوالى الذى تحوم حوله الشبهات في عمله وولايته ، وكانت الحكومة المركزية في دهلى تراجع البيانات المالية التى يرسلها الوالى اليها ، ويتأكد الوزير من عـــدم تلاعبه بأموال ولايته ، ومن ارساله الفائض منها فعلا بعد تغطية وجوه الانفاق فيها ، ويحدد ديوان العارض عدد الجند الذى يرسلها الى دهلى ، ومقدار التجهيزات العســـكرية المطالب بتقديمها . ويتفقد السلطان الشكاوى التى يرسلها الافراد في الولايات اليه ضـــد الوالى ، ويتحقق من خلايا هـــذه الشكاوى عن مدى تأدية الوالى لواجبه ، ويعرف السلطان اخبار الولاية عن طريق البريد ، وطالما كان الولاة يسيرون في الناس سيرة حسنة ، ويقدمون الالتزامات المطلوبة منهم الى حـــكومة دهلى ، فان سلطاتهم تكون واسعة في ولاياتهم ، ولا يتعرضون للعقاب أو العزل أو النقل . ومن اقوى ولاة سلطنة دهلى ملك كافور ، وألب خان ، وغازى ملك ، حكموا ولاياتهم سنوات طويلة ، ونفوذ هؤلاء الحكام الاقطاعيين اكثر من نفوذ حكام الولايات التى تديرها حكومة دهلى مباشرة ، فهـؤلاء يتقاضون رواتبهم من دهلى ، وليس لهم نفوذ واسع في ولاياتهم مثل الحكام الاقطاعيين ، وهم يرجعون الى حكومة دهلى في ادارة ولاياتهم ، وينفذون قراراتها وتعليماتها بدقة (٤) اما الحكام الاقطاعيون فيديرون ولاياتهم دون الرجوع الى حكومة دهلى ، ويقدرون الضرائب على الناس كيفما شاءوا ،

---

(١) Gibb : Damascus chronicles of the Grusades 111. 577.

(٢) Habibullah. p. 233.

(٣) Moreland p. 23.

(٤) تاريخ باراني ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

ويباشرون الاختصاصات التي تحـــدثنا عنها ويؤدون لدهلى الالتزامات المالية والعســـكرية التى ذكرناها (١) .

اشتمل الجهاز الحاكم في دهلى من حاشية السلطان ، وهم الوزير ، ورؤساء الدواوين وقواد الجيش وكبار موظفى البلاط الملكى مثل وكيـل الدار ، ورئيس الحرس الامبراطورى وغيرهم من كبـــار موظفى الدولة ، وقد يصل احد هؤلاء الكبار من أولى المراتب الى العرش مثـــل أيبك والتمش وبلبن ، كانوا عبيدا أرقاء ، وتدرجوا في سلك الوظائف والمناصب حتى أصبحوا من الحاشية ، ثم تمكن كل منهم من تولى عرش الســـلطنة ، ومن أهم الشروط الواجب توافرها في أفراد الحاشية ، المقدرة العسكرية ، والكياسة والذكاء والمهارة وسعة الافق ، ولما كان أفراد الحاشية يتمتعون بنفوذ كبير في الدولة ، ويحظون بالقرب من السلطان ، فقد اشـــتدت المنافسة بين كبار الموظفين حول الوصول الى هذه المرتبة .

وتتكون الهيئة الحاكمة في الدولة من الخانات والملوك والامراء ، وهذه القاب عســـكرية ، ولا غرابة في ذلك لان الدولة عسكرية الطابع ، والخـان تحت يده عشرة آلاف حصان والملك الف ، والامير مائة ، ولا نعرف تماما عدد أفراد الفرق العسكرية التى يقودونها ، ولكن تتدرج اعدادها طبقـــا للرتب العسكرية ، كذلك تتدرج المرتبات السنوية لهؤلاء النبلاء طبـــقا لمراتبهم ، وأصحاب الرتب الكبيرة التى ذكرناها قريبين من السلطان ، ولهم دور فعال في مباشرة أمور الدولة السياسية والعسكرية (٢) .

على أن أفراد الهيئة الحاكمة كانوا من جنسيات مختلفة ، من الترك والافغان والهنود والفرس ، وان كان الخانات عادة من الترك ، لذا تنازع وتنافر أفراد هذه الطبقة ، لعدم تجانسها ، فضلا عن المنافسة الشـديدة فيما بينها حول السيطرة على زمام الامور في الدولة ، والتقرب من السلطان على حساب الاخرين وطبيعى أن يؤثر ذلك على ادارة الدولة ، ويؤدى الى انتشار الفساد فيها ، نتيجة لفساد الطبقة الحاكمة ، وتنازعها حـــول السلطة والنفوذ ، وتدبير المؤامرات والدسائس ووضع العراقيل في ســـبيل كل من يبرز منهم ، ويقترب من بلوغ العرش ، ولم تقتصر الخلافات حـــول

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٣ .

(٢) Lal : op. cit., p. 71.

السلطة بين أفراد الهيئة الحاكمة ، بل تعداه الى حكام الولايات فاشتدت الخصومات فيما بينهم ، وانساق في خصوماتهم افراد الهيئة الحاكمة بالانحياز الى فريق دون فريق . ومن الطبيعي أن تؤدى هذه المنازعات الى فساد الادارة الحكومية ، وعرقلة الاصلاحات التى تحتاجها الدولة ، والانجازات التى يحتاجها المواطنون من حكامهم (١) ».

وكانت المنافسة اشد بين نبلاء الترك ونبلاء الهنود والترك كانوا أولى بأس شديد في السياسة والحرب واكثر تفوقا ونفوذا من العناصر الاخرى ، وقد تآمروا على النبيل الهندى عماد الدين رهان ، وما زالوا به حتى أبعدوه ، وأدى الصراع بين النبيل الهندى كافور ، وألب خان في الايام الاخيرة لعلاء الدين الى ضياع هيبة الامبراطورية ، بل كاد أن يؤدى بها الى الهاوية (٢) ».

واخطر ما في هذه الصراعات ، محاولة بعض افراد الهيئة الحاكمة من النبلاء السيطرة على مقاليد الامور في الدولة دون السلطان اذا أتيحت لهم الظروف بذلك ، كأن يكون السلطان ضعيفا أمثال جلال الدين الخلجي، وقطب الدين الخلجي ، حيث سيطر النبلاء على الحكومة ، واشتدت المنافسة بينهم ، وأصبح كل منهم غير آمن على نفسه وعلى مركزه من زملائه، وبدلا من أن يوجهوا جهودهم لاداء مهامهم الوظيفية ، اضاعوا الوقت في التآمر على بعضهم البعض بغية الوصول الى السيادة والحكم ، أما اذا كان السلطان قويا ، فان كل نبيل يلزم حدود مهامه الوظيفية، ويخدم باخلاص حتى ينال رضا السلطان ، ويضمن البقاء في منصبه ، وعدم التعرض لعقابه بل يمتنع عن الخوض في المؤامرات والدسائس .

وفي عهد بلبن كانت الهيئة الحاكمة من النبلاء تضم الارستقراطية التركية ، وسيطروا على العرش ، وكان بلبن يخشي بأسهم وقوتهم ، على انه استطاع أن يضعفهم وينقص من نفوذهم (٣) .

ولما ولى السلطان جلال الدين الخلجى العرش ، استعاد النبلاء « الاربعين » الترك سلطاتهم ، لان جلال الدين يسر لهم ذلك ، اذ هو مدين

---

(١) Munshi. op. cit. p. 147.
(٢) IBID. p. 148.
(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٩١ – ١٩٣ .

لهم بنجاحه في الثورة الخلجية التى جعلته يهدم حكم الملـــوك المماليك ، وينقل الحكم الى اسرته ، ومن أسباب ازدياد نفوذ النبلاء الترك أن جلال الدين لم يكن بطبيعة الحال ميالا الى العنف ، ومع ذلك فقد راقبهم بشدة ، وأعطاهم الحرية في الانصراف الى مجالس اللهو والطرب ، حتى ينشغلوا بذلك عن السياسة وتدبير المؤامرات ضده ، ولم يستعن بهم في الاعمـــال الرئيسية (١) .

ولما ولى السلطان علاء الدين العرش كان يعرفهم حق المعرفة ، وقد ساعدوه في كره ضد جلال الدين ، ووقفوا الى جانبه في الانقلاب الذى أطاح فيه بعمه جلال الدين وولى هو السلطنة ، وقد لمس بنفسه اخـلاص بعض النبلاء وتفانيهم في ادارة الدولة وتنفيذ سياسته وتعليماته مثل ملك حميد الدين وملك عزيز الدين وعين الملك مولتاني وغيرهم من الرجال المجربين من أهل السياسة والحرب (٢) .

رأى علاء الدين أن الفساد في الدولة ليس مرجعه فقط الى طبقـــة النبلاء الحاكمة ، انما يرجع الى عدة عوامل أولها أن الســـلطان لا يعنى بتخفيف أعباء المعيشة لدى الجماهير الكادحة ، وثانيها الابقاء على مجالس الشراب التى تتضمن عادة التقاء الناس ببعضهم ، والانطلاق في الحـديث عن السياسة والحـــكم ، وتدبير المؤامرات ضد السلطان ، وثالثـــها العلاقات الوثيقة بين أفراد الهيئة الحاكمة ، فاذا أصيب واحد منهم بضرر انضم اليه الاخرون ، وأخيرا فان الثروة تجعل أصحابها أولي بأس شديد، وينضم الى اصحابها انصار وأعوان وقد يقفوا بقوة في وجه السلطان في وقت من الاوقات (٣) .

رأى السلطان علاء الدين أن الهيئة الحاكمة أصبحت تشـكل مراكز قوى في الدولة ، وخشي بأسها ، ورأى أنها ربما تعمل على تحطيم سلطانه أو تقليصه ، لذا شرع في مراقبتها وتحديد نفوذها ، فبعد أن عاد من رانثمبهور سنة ١٣٠١ وقضي على بعض الثورات التى قامت ضده ، أصدر عددا من المراسم تهدف الى تحديد امتيازات النبلاء ومراقبتهم ومنعهم من الاختلاط

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .
(٢) تاريخ بارانى ، ص ٢٨٢ .
(٣) Lal : op. cit. p. 173.

ببعضهم البعض ، والاجتماع في حفلات ترفيهية ، والدخول في علاقات وثيقة فيما بينهم ، مثل المصاهرة قبل اذن سابق منه - أى من السلطان - وتدريجيا قضي السلطان على حرية النبلاء الشخصية بل فرض عليهم مقومات العبودية الثلاثة ، فكان على السلطان أن يرث النبيل ، ولا يعقد زواجا بدون اذن مسبق منه ، ويتبع ذلك تبعية أبناء النبلاء للسلطان كتبعية العبد لسيده ، وحرص السلطان علاء الدين على تطبيق قراراته هذه بكل قوة وحزم حتى اصبح النبلاء موالين له تماما ، وكان كل منهم يحذر من زميله ، ولا يجرؤ على الكلام معه بصوت مرتفع خشية من الرقابة واكتفوا بالتعبير عن آرائهم فيما بينهم همسا (١) وبذلك أهدر هذا السلطان حقوق رجاله في الحرية والتعبير والحركة .

وامعن علاء الدين في الكف من نشاطات النبلاء ، واشتد في رقابة حتى اقرب النبلاء اليه ، ولا يمكن تصديق كل روايات المؤرخين المعاصرين ، الا انه من الثابت أن علاء الدين اشتد في رقابة نبلائه ، فوضع يلغ خان في موضع الشك بسبب طموحه ، وحقد على ظفر خان المحبوب وكان سعيدا لموت الرجلين ان لم يكن مسئولا عن مصيرهما واما الب خان وكافور فقد خدماه بكل اخلاص ، والا للقيا مصيرا قاسيا من السلطان (٢) .

أما النبلاء الاقل منزلة من الكبار ، فقد حدد علاء الدين امتيازاتهم ونفوذهم وساروا في فلك السلطان لا يجرؤ واحد منهم على معارضة رغبات السلطان ، أو السير في الاتجاه الذى لا يرضاه ، وامعن علاء الدين في منع النبلاء من الاختلاط ببعضهم بعضا ، فتحريمه الخمر على النبلاء لا لانها محرمة شرعا فقط بل وايضا حتى لا يندمج النبلاء مع بعضهم في مجالس الشراب ، ويفقدون وعيهم ، وقد يتكلمون في السياسة ، ويتحدثون عن الحكم بدون حذر ، وقد يجرهم ذلك الى تدبير المؤامرات ضد السلطان وقد واجه كثيرا منها بالفعل ، وكان بعض خواصه ينصحونه بعدم شرب الخمر لانها تصرف الحاكم عن اداء واجبه على الوجه الاكمل .

على كل حال اصدر علاء الدين قرارا بتحريم شرب الخمر وغيرها من المسكرات في دولته ، ومنع تداول الخمر بالبيع والشراء كما نهى عن لعب الميسر والنرد . وكل هذه القرارات تهدف الى منع ما قد ينشأ عنه

---

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ص ٢٧٠-٢٧١.
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

من اجتماعات تؤدى الى صداقات ولقاءات يطمئن الناس فيها الى بعضهم البعض ويتحدثون في موضوعات سياسية ينتقدون الحكم والسياسة ، وقد يدبرون المؤامرات والدسائس ضد السلطان والحكومة .

عهد السلطان الى بعض موظفيه بتنفيذ تعليماته الخاصة بالخمر بكل دقة ، وكانوا يركبون الفيلة ، ويتجولون في شوارع دهلى ، ويعلنون بصوت عال قرارات السلطان بمنع بيع وشراء الخمور وانواع المسكرات وتعاطيها ، واقتحموا محلات بيـــع الخمور وحطموا اوعيتها وكؤوســـها ووضعوا حطامهـــا في اكـــوام امام احدى بوابات دهلى ، واغلقوا جميع حوانيت الخمور ، وضرب السلطان المثل بنفسه ، فأمر بتحطيم جميع أوانى الخمور في القصر . اما ما كان منها من أوعية ذهبية وفضية فقـد صهرت وصيغت عملة ، والقيت في شـوارع دهلى كميـات الخمور المخزونة في القصر حتى اصبحت ارض دهلى مغطـاة بطبقة طينية ، كما لو كانت في اشد الاوقات مطـرا (١) .

واقتدى الناس بالسلطان الذى بدأ بالتحريم على نفسه وتوقفوا عن الشراب على ان اوامر التحريم ظهر من خالفها ، اذ لجأ بعض التجار الى بيعها سرا في السوق الســوداء في أوعية صــغيرة للمدمنين الذين لا يسـتطيعون الامتناع عن شرب الخمر ، وتسربت الخمور الى دهلى من خارجها في اوعية جلدية مخبأة في حزم من الحشـــائش والاعشاب ، وغير ذلك من الوسائل السرية ، ولمـا علم السلطان بأن الخمر تباع سرا ، تتبع تجارها وعاقبهم بكل شدة ، وجمعت خمورهم ، والقيت في اسطبلات فيلة السلطان ، وعاقب هؤلاء المخالفين بكل شدة ، وزج بهم في الســجون ، قاسـوا فيها البؤس والشقاء ، ومن نجا منهم بحياته ، ضعفت صحته واشتد مرضه (٢) .

ونفذت اوامر السلطان بتحريم الخمر ، ولم يعد يتناولها الا المدمنون الذين لا يبالون بالاوامر المشددة على الرغم من العقوبات السلطانية الصارمة ووجد هؤلاء من يصنع لهم الخمور ، ويبيعها لهم سرا ، وقد حققت سياسة علاء الدين هدفها من التحريم ، فلم تعد هناك اجتماعات لهو تحاك فيها الدسائس وهدأ بال السلطان من هذه الناحية ، فتوقفت حركات التمرد ضد حكمه ، وامن السلطان على ملكه وعلى استتباب الامر في دولته ، ولما تحقق السلطان من نجاح ســياسته ، خفف من القيود التى وضعها على شرب الخمـــور (٣) .

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ .
(٢) تاريخ فرشتة ص ١٠٩ .
(٣) Lal : op. cit., p. 126.

١ ـ الجيش والاسطول

يقول بارانى (١) ان الملك يرتكز على دعامتين ، الاولى الادارة الحازمة والنزيهة والثانية الجيش القوى ، ولما كانت دولة المسلمين في الهند في العصر التركى عسكرية في طابعها ومن اهدافها السياسية الرئيسية ، التوسع في شبه القارة الهندية كما انها معرضة ـ كما رأينا لغزو المغول من وقت لاخر ، فان وجود جيش قوى أمر ضرورى لتنفيذ سياستها وحماية امنها من الاخطار .

ولقد حرص علاء الدين خلجى على تكوين جيش قوى منذ الايام الاولى لحكمه ، ووجه كل جهده لتحسين ادارة شؤون الجند ، وتنظيم قواته . وكما ان الجيش حصن الامبراطورية فالحصون حمى الجيش ، ونقاطه الامامية ، وقواعد ارتكازه يرتكز فيها الجيش لحماية الوطن من هجمات المغول المتكررة على سلطنة دهلى . ويذكر بارانى (٢) ان السلطان بلبن اعطى اهتماما كبيرا لتأسيس الحصون خصوصا على الحدود الشمالية الغربية ، وزاد الاهتمام بتقوية الحصون حينما غزا القائد المغولى تارغى سلطنة دهلى في سنة ١٣٠٣ وقام علاء الدين بترميم القلاع القديمة ، واعادة تشييدها ، كما اسس قلاعا جديدة في المواضع الاستراتيجية من الامبراطورية ، وولى على هذه القلاع قوادا اكفاء ، واسس مصانع للاسلحة مثل المنجنيقات لتزويد الجيش بكافة الاسلحة الضرورية ، وباشرها مهندسون متخصصون في فن تصنيع الاسلحة ، وشيد مخازن للغلال والمؤن لامداد الجيش باحتياجاته .

ينقسم جيش دهلى الى فرق كل منها تمارس نشاطا معينا من بينها الحرس الامبراطورى ويسمون Jandars ويتبعون السلطان مباشرة ، ويباشر امورهم بنفسه . والفريق الثانى ، عصب الجيش ، المشاة والفرسان ، ويكلفون بتنفيذ السياسة العسكرية للدولة ، والقسم الثالث يقوم بتزويد الجيش بالامدادات والمؤن والمعدات الضرورية . ويرابط فريق من الجيش في دهلى بالقرب من السلطان وهذا الفريق على اهبة الاستعداد دائما للحرب ، والفريق الثانى يوزع في الولايات للمحافظة عليها من الهجوم

---

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .
(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

الخارجي وضمان ولائها وطاعتها لسلطان دهلى ، وقوامه من العناصر التركية المقيمة في السلطنة يضاف الى ذلك جنود من الفرس والهند ، وجيش دهلى مدرب احسن تدريب على الحرب والقتال وركوب الخيل والفيلة وخفة الحركة ، ولديه اسلحة متطورة ودروع رائعة وخيول قوية نشطة وفيلة مدربة ، ويرتدى الجند ملابس رقيقة تيسر لهم الحركة . والحقيقة ان علاء الدين ارسي القواعد الاساسية والتقاليد العسكرية التى سار على منوالها الحكام الذين خلفوه (١) .

ومهما يكن من امر فقد قسم جيش دهلى الى فرق على النظام التركى كالاتى :

قائد يراس عشر فرسان مجهزين بالخيول والاسلحة يسمى Sarkhail

قائد : يراس مائة فارس ويسمى Spahsalar

الامير : ويراس الف فارس .

الملك : عشرة آلاف .

الخان : مائة الف (٢) .

الاسلحة والمعدات : اعطانا ناصر خسرو وصفا للعسكر في الارض المكشوفة اثناء الحرب والقتال ، فقال انه يقع في ارض مساحتها الف وسبع وعشرون ياردة ، ومحيط القلعة ، وهو محاط بالخيام تقع في حوالى ١٢ الف وخمسمائة وست اربعون ياردة وفي المعركة الجندى وحصانه موضع رعاية ، ومزود بوسائل الحماية ، فالجندى مزود بدرع ، والحصان يركب له قطعة من الصلب تحميه ، وللجندى خوذة من الصلب او طاسة لحماية رأسه ، والجندى مزود بسيفين بالاضافة الى الاسهم والاقواس وبلط المعارك ، ويقوم الجندى بوضع احد السيفين في سرج فرسه ، والآخر في جعبته ، والفيلة مكسوة بلوحات معدنية. وأما الجند المشاة مزودون بأسهم طويلة واقواس بالاضافة إلى السيف والخنجر . وتتكون آلات الحصار من المنجنيق وغيره وآلات الحصار تقذف الحجارة والقذائف . وعجلات الحرب تصل الى قاعدة القلعة بسرعة .

وتوجد آلات رافعة تصل الى قمة القلعة . واخطر ادوات الحرب ،

---

(١) Quereshi : Administration of the Sultanate of Delhi pp. 234 - 235.

(٢) Lal : op. cit., pp. 192 - 193.

الفيلة المدربة ، وهى دبابات العصور القديمة والوسطى . ويحتفظ ديوان الحرب بسجلات تتضمن اسماء الجند وما يتعلق بهم وبرواتبهم . والقسم الذى يعملون فيه (١) .

حرص علاء الدين على تدريب الخيل على سرعة الحركة وامر بتربية خيول الحرب باعداد كبيرة حتى يتمكن من اختيارالمناسبمنهاللحرب.وامر بفحص الاسلحة واختبار صلاحيتها قبل تسليمها للجند : ولم يكن يعهدلاحد بالجندية الا اذا كان صالحا لها صحيا ومعنويا . يضاف الى ذلك ان امداد الجيش بالجند والاسلحة والدواب يستغرق عادة اربعة عشر يوما (٢) .

كذلك عنى علاء الدين بتزويد الحصون والقلاع بالجند المدربين،وكان لا يصرف جنده بعد المعركة ، وانما يستبقيهم . ويذكر فرشته ان عدد جند السلطان علاء الدين بلغ ٤٧٥,٠٠٠ مقاتل معدين خير اعداد ومدربين احسن تــدريب (٣) .

اختلفت مرتبات الجند حسب خدماتهم في الجيش ، فهناك الجنــد المحترف ، المدون في ديوان العرض ، ويجرى تدريبه وتقييمه ومباشرته ، وينتظم فى سلك الجيش ، وفى احدى فرقه سواء فى وقت السلم أو الحرب ويجهز بالمعدات والاسلحة حسب الفرقة التابع لها ، ويتقاضى راتبه من ديوان العرض سنويا حسب تحديد هذا الديوان له،واعتماد السلطان لهذاالتحديد، وهذا الجندى يمتلك على اقــل تقدير حصانا وتزداد مهامه ومسؤلياته اذا عهد اليه بحصانين (٤) . وفي هذه الحالة يتقاضي راتبا اعلى من راتب صاحب الحصان الواحد ، وراتب الجنــدى الغير منتظم في سلك الجيش ، والذى يتطوع في الجيش وقت الحرب فقط ، يختلف كذلك عن راتب الجندى المنتظم ، وعنى علاء الدين عناية خاصة بتحسين رواتب جنده وهيأ لهم سبل المعيشة الرغدة ، الامر الذى دفع جنده الى بذل الجهود المخلصة في الحرب والقتال، وحسن التدريب والتنظيم . وكان في مقدرة الجندى صاحب الحصانين اسر

---

(١) IBID. P. 193.

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣١٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٦٥ .

(٤) Qureshi : Administration of the Sultanate of Delhi, 244-245.

عشرة من المغول ، وقهر مائة منهم ، ويتضح ذلك من تعليماته لتاج الدين كافور ، وهو سائر للحرب في وارنجال Warangal واتخذ اجراءات اقتصادية صارمة لتيسير سبل المعيشة لجنده منها تثبيت الاسعار وتحديدها في السوق ، والضرب بكل شدة على ايدى التجار الجشعين والمتلاعبين بالاسعار ، وتوفير السلع فى السوق ، وبيعها بأسعار فى متناول جنده ، وبذلك كفل علاء الدين للجيش الحياة الكريمة ، حتى يتيسر للجند تحقيق سياسته الدفاعية والهجومية (١) .

٢ ـ الحياة الإقتصادية فى سلطنة دهلى

أ ـ الثروة الزراعية : ـ

ازدهرت الزراعة في سلطنة دهلى ، واعتبرت المورد الرئيسي لاقتصاد دهلى ، واهم مصادرها المادية ، واعتمدت الزراعة في هذه البلاد على الامطار الموسمية التى تشتد في بعض الاجزاء وتقل في اخرى ، ويطول موسم الامطار في بلاد دون اخرى ، ومن ثم اختلف فصل الجفاف من منطقة الى اخرى ، وفيه تجف الانهار الا تلك التى تنبع من جبال هملايا حيث يذوب الجليد في الربيع . وفي منطقة الدكن تجف معظم الانهار في فصل الربيع ، ويعتمد الزراع على الآبار في رى اراضيهم .

والزراعة هى العمل الاساسي لسكان سلطنة دهلى ، وهى التى تمدهم بالغذاء والاموال التى يحصلون بها على متطلباتهم واحتياجاتهم .

ولما كانت سلطنة دهلى تعتمد في زراعتها على الامطار الموسمية ، فان ذلك كان يعرضها لاخطار جسيمة في السنوات التى يقل فيها المطر ، فيجف الزرع ، ويتدهور الانتاج الزراعى ويعم القحط ويشتد البلاء ، ولقد بذل السلطان علاء الدين خلجى جهده للتغلب على المجاعات ، فأنشأ صوامع لتخزين القمح في سنوات الرخاء لينتفع به في سنوات الشدة (٢) ، وقد وقعت مجاعة عظمى في بلاد الهند بسبب ضعف المحصول في عهد السلطان محمد بن تغلق ، فأمر بأن يعطى لاهل دهلى ما يقوتهم بحساب قدر معين كل يوم (٣) .

---

(١) Lal : op. cit. 196.
(٢) Lal : op. cit. p. 201.
(٣) ابن بطوطه ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

ولقد طالت سنوات القحط قبل غزو تيمورلنك لسلطنة دهلى حتى زادت عن عشر سنوات ، وغزاها تيمورلنك سنة ١٣٩٨ م في خضم هذه المحنة الكبرى التى لحقت بأهل البلاد فاجتمع على الاهلين الكرب والبلاء والجوع والحرمان والخراب والدمار .

واهل الهند يزرعون اراضيهم مرتين في السنة ، فاذا نزل المطر عندهم فى أوان ، زرعوا الزروع الخريفى ، وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ، ومن هذه الحبوب الخريفية الكندرو وهو نوع من الدخن ومنها القال والشاماخ ، وهو طعام الصالحين ، وقد ينبت الشاماخ من غير زراعة ، ويخرج الفقراء والمساكين لجمعه ، ويجمعون منه ما يقوتهم طوال السنة ، ويجففونه في الشمس ، ويستخرجون منه لبه الابيض ، ويصنعون منه عصيدة ، ومنها الفاصوليا ، واذا حصدوا الحبوب الخريفية ، يزرعون الزروع الربيعية وهى القمح والشعير والحمص والعدس ، وتزرع في الارض التى زرعت بالحبوب الخريفية . اما الارز فيزرعونه ثلاث مرات في السنة ، وهو من اكثر الحبوب عندهم زراعة ، ويزرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية (١) .

ومن الاشجار التى تنبت بكثرة في بلاد الهند العنب، وظلها أكثر الظلال، والزنجبيل والفلفل والنارنج والفول وشجر الابنوس والرمان ، وبعض هذه الفواكه تنمو مرتين في السنة .

وتنتج الهند الكثير من الحبوب الزيتية مثل السمسم وبذر الكتان وبذر الخروع والفول السودانى ، ويستخرجون الزيت من هذه النباتات ، ويعتمدون عليه في غذائهم ، وينمو في الهند كذلك الشاى والبن والجوت والجوز .

وقد اشتهرت الهند منذ القدم بزراعة التوابل مثل الفلفل والزنجبيل والحبهان والقرفة وغيرها ، ويستهلك الهنود الكثير من التوابل فى غذائهم .

وانتشرت الغابات في الهند ، الامر الذى ادى الى ازدهار ثروتها الخشبية ، واستخدموها في الصناعات الخشبية .

---

(١) ابن بطوطه ، ج ٢ : ص ١٣ .

والثروة الحيوانية في الهند عظيمة جدا .

ولم يأل سلاطين دهلى جهدا في تيسير سبل الزراعة للمواطنين على اعتبار ان الزراعة من اهم مصادر الثروة ، فالسلطان تغلق شجع الناس على تعمير الارض ، وفلاحتها ، فأصلح وسائل الرى ، وشق كثيرا من الترع والقنوات ، وخفف عبء الضرائب عن الاهلين .

وخالف محمد بن تغلق اباه في سياسته ، فرفع الضرائب على الفلاحين، وانقل كاهلهم ، حتى ان الفلاحين ضاقوا ذرعا بسياسته ، فهجروا قراهم واراضيهم الى الغابات ، الامر الذى ادى الى تدهور الانتاج الزراعى ، وخراب الارض الزراعية .

ولما ولى فيروز تغلق السلطنة عهد الى كبار موظفيه باستصلاح مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة واصلح وسائل الرى ، وحفر الآبار والقنوات فازاد الانتاج الزراعى ، واتسعت رقعة الارض الزراعية .

ب ـ التقدم الصناعى : ـ

عرفت الهند الصناعة منذ فجر تاريخها ، وتعتمد الصناعة في الهند بالدرجة الاولى على الانتاج الزراعى ، واهمها صناعة المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية ، وقد اقبل الكثيرمن التجار على الهند لشراء المنسوجات وبيعها في البلاد المجاورة ، واعتمدت هذه الصناعة على المواد الخام المتوفرة في الهند ، فالقطن تتوافر زراعته ، ويكثر انتاجه والصوف مترفر بسبب الثروة الحيوانية ، والحرير يعتمد على شجر التوت المتوفر في بلاد الهند ، ويربى على أوراقه دود القز .

ومن الصناعات التى راجت في بلاد الهند ، السجاد ، وكانت السجاجيد الهندية تأتى في الاهمية بعد الايرانية ، وكانت مطلوبة في قصور كبار رجال الدولة .

وهناك صناعات يدوية منزلية اخرى منها صناعة النحاس والمعادن الاخرى والآلات الزراعية القاطعة والفخار والصابون وصنع اللعب والخوز . واشتهرت الكجرات بالمصنوعات الجلدية عليها نقوش الطير والحيوان ، وشاهدها ماركويولو .

وادى تنوع المعادن وكثرتها في بلاد الهند الى سعى الافراد الى استخراجها وتصنيعها . ومن هنا انتشرت في بلاد الهند الصناعات الحديدية والنحاسية وصناعة الحلى والمجوهرات .

(حـ) النشاط التجارى :

التموين والتجارة الداخلية

تعرضت سلطنة دهلى لمشـاكل اقتصادية كبـيرة ، ازداد خطـرها ، واستطار شرها في عهد علاء الدين ، وترجع هذه المشكلة الى كثرة النفقـات الملقاة على عاتق الدولة بسبب غزوات المغول المتكررة . حقيقة كانت جيوش دهلى تصدهم ،وتردهم على أعقابهم خاسرين،الا ان ذلك كان يكلف ميزانية الدولة اموالا طائلة ، كما ان الحرب التوسعية التى كان يشنها علاء الدين من وقت لآخر باهظة التكاليف يضاف الى ذلك نفقات الادارة المدنية والعسكرية . وعلى الرغم من ان دخل الدولة كان كبيرا ، الا انه لا يكفى الاعبـاء الكثيرة . وقد عمل علاءالدين على رفع الدخل عن طريق صب اوانى الذهب والفضـة عمله ، والتدقيق في الضرائب الواردة الى دهلى من الولايات ، وتحديدالضريبة او رفعها الى ٥٠٪ من انتاج المحصول الزراعى ، الا ان ذلك لا يكفى ، فقرر علاء الدين خفض رواتب الجند ، وفي نفس الوقت حرص على عدم ارهاقهم بأعباء المعيشة ، لذا قرر تخفيض‌اسعار السلع الاساسية التى لا غنى عنها للفرد في حياته اليوميه ، فقام بتنظيم ادارة السوق (١)

وهناك دافع قوى وراء سياسته الرامية الى تنظيماته الاقتصادية ، ونقصد به غزوات المغول المتكررة ، والتى كانت تستهدف بالدرجة الاولى ، دهلى ، واخطر هذه الغزوات حدث سنة ١٣٠٣ حينما حاصر المغول دهلى . وشددوا عليها الحصار ، ومنعوا وصول المؤن والمعدات عنها ، واحتلوا الطرق المؤدية لها ، فتعرضت دهلى لازمة غذائية قاسية ، ونفذت الاقوات منها، لذا لقنت هذه الازمة علاء لدين درسا مفيدا ، فقرر بناء خزائن للغلال تسع لاحتياطى كبير تستفيد منه دهلى اذا ما تعرضت لمثل هذا الحصار . كذلك حدد السلطان علاء الدين اسعار القمح والحبوب عموما . وجدير بالذكر أن الاسعار كانت منخفضة في عهد بلبن ، وارتفعت بعد ذلك حتى ولى علاء الدين فأمر بتخفيضها ، على أنها عادت وارتفعت في عهد محمد بن تغلق . وكانت الاسعار عموما في عهد علاء الدين ارخص منها في عهد فيروز بن تغلق . ويتضح ذلك من قول الشيخ ناصر الدين الشيرازى الذى اشار الى ذلك في عهد فيروز،

---

(١) IBID. P. 201.

يقول : ويرجع رخص الاسعار في عهد علاء الدين الى الاجراءات الصارمة التى اتخذها لضبط الاسعار وتحديدها . وتجلت أهمية سياسة علاء الدين ليس فقط في تخفيض الاسعار بل وفي تثبيتها في السوق (١) ، الامر الذى يعتبر حقا من عجائب العصر .

ولما كانت الحبوب هى الغذاء الرئيسي للناس ، فقد أسس علاء الدين سوقا للقمح والحبوب عموما ، وزوده بمخازن الغلال ، ويستطيع الناس الحصول على مستلزماتهم من الحبوب بالاسعار التى حددها ، ويقوم تجار الجملة باحضار الحبوب من خارج دهلى ، وبيعها لتجار التجزئة في السوق، والتزم تجار الجملة وتجار التجزئة بالسوق بالاوامر الصارمة التى قررها ووضعها علاء الدين ، وحدد أسعار السلع بقرار منه،واصدرأوامره بمعاقبة كل من يخالف التسعيرة الجبرية.وطبقا لسياسة علاء الدين كان على التجار ان يقبلوا ويقنعوا بالربح المتواضع المترتب على تخفيض الاسعارالجديدة(٢).

واجه علاء الدين صعوبات بالغة عند تطبيق ساسته ، اذ توقف تجار الجملة عن احضار القمح الى دهلى ، كما ان تجار التجزئة امتنعوا عن البيع الامر الذى ادى الى توقف تجارة الحبوب في دهلى . وتصدى علاء الدين لهذا الموقف بكل حزم ، فأمر مراقب السوق ، بأن يدون اسماء تجار الجملة والتجزئة في سجلات وجمع تجار الجملة ، وانذرهم بالعقاب الصارم اذا اصروا على الامتناع عن تجارة الحبوب ، وابقاهم تحت المراقبة ، فخشوا العاقبة ، وشدة بأس السلطان ، واحضروا القمح الى دهلى ، وعادوا الى ممارسة عملهم بنفس الاسعار الرسمية التى قررها السلطان الخلجى ، بل امرهم بأن يقيموا مع عائلاتهم في القرى المحيطة بدهلى تحت مراقبة مراقب السوق ، وليس من حقهم الخروج أو الاعتراض على هذه التعليمات ووقعوا جميعا على هذه القرارات فرادى وجماعات. وبذلك التزم كل منهم بامداد السوق بالقمح ، وبالسعر الذى قررته الدولة والحكومة (٣)

ولتيسير مهمة تجار الجملة في امداد العاصمة بالحبوب من البلاد

---

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

(٢) Lal. op. cit., pp. 200 - 201.

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

المجاورة أمر السلطان علاء الدين موظفي الايرادات في الولايات بالتشديد على المزارعين في ضرورة تسليم الحصة المقررة عليهم من المحصـــول والتى تبلغ ٥٠٪ منه الى الحـكومة وبيع مخزونهم من القمح والحبوب بأسعارمناسبة او بالاسعار التى تتناسب مع ما فرضه علاء الدين . وبذلك لم يجد تجار الجملة صعوبات في شراء القمح من البلاد المجاورة لدهلى .

كذلك حرص السلطان على ان يتبع الموظفـون تعليماته بكل دقة ، والا تعرضوا للعقوبات الشديدة . وبذلك توفر القمح في الســوق ، واختفت السوق السوداء ، ووجد المستهلك ما يلزمه من القمح بسعر رخيص ثابت ومحدد ، وتوفر لدى الدولة مخزون مناسب من القمح ، وشيد علاء الدين مخزنا للحبوب ، أحكم اغلاقه حتي لا يتأثر ما به من قمح في وقت التقلبات الجوية ، واذا قل المحصول بسبب قلة الامطار ، أو لعوامل أخرى، فانالقمح الإحتياطى المخزون يوزع على تجار الجملة ، يحملونه الى تجار التجزئة ، الذى يتجرون به في السوق ، ويباع الى الجمهور بالاسعار الرسمية (١). وبذلك ضمن علاء الدين بسياسته هذه وجود القمح بالسوق بصفة مستمرة وبالاسعار الرسمية والمناسبة للجمهور ، الامر الذى كفل للناس عموما وللجند بصفة خاصة الحياة الكريمة والمعيشة اليسيرة .

لجأ علاء الدين الى سياسة حكيمة فيما يتعلق بالحبــوب ذلك انــه كفل للناس شراء ما يلزمهم من الحبوب من السوق وبالكميات التى يطلبون شراءها في الوقت الذى يتوفر فيه المحصول . أما سنوات الجدب والجفاف فقد امر علاء الدين المستهلكين بشراء ما يلزمهم فعلا من الحبوب ، وحــدد الكمية اللازمة لكل اسرة ، واذا ضبط أحد يشترى اكثر من حاجتهعوقب بكل شدة . وبذلك ضمن علاء الدين عدم اختفاء الحبوب في اوقات الشــدة والاختناقات التموينية ، وعدم لجوء الناس الى التخزين ، والتوزيع العادل للغلال في ايام الازمات ، الامر الذى ادى الى منع القحط الذى كثيرا ما ظهر في بلاد الهند في العصور السابقة (٢) .

وجدير بالذكر انه قبل هذا التنظيم الدقيق كان الفقراء في اوقــات وسنى قلة المحصول وندرته ، وغلاء سعره في السوق تبعا لذلك ، يحتشدون في السوق ، ولا يستطيعون شراء ما يلزمهم ، لان الاغنياء يلجأونالىالتخزين،

---

(١) تاريخ باراني ، ص ٣٠٩ .
(٢) تاريخ باراني : ص ٣٠٨ .

ويشترون المعروض في السوق باسعار عالية ، الامر الذى يعرض الفقراء للموت جوعا ، ويؤدى بالتالى الى اختلال الامن والنظام ، والسرقة من السوق ، او نهب بيوت الاغنياء لان الجوع كافر — كما يقولون — ويبدو ان علاء الـدين في أيام ندرة المحصول حين حدد لكل اسرة ما يكفيها من الحبوب حرص على عدم اعطاء امتيازات تموينية لكبار رجال الدولة والاغنياء وانما كفل عدالة التوزيع للجميع .

ومن اكفأ من ولى ادارة السوق ومراقبته في عهد علاء الدين ، ملك كابل الذى يصفه بارانى بالحكمة الادارية والثقة المطلقة ، وكان يرأس عـدد من الجند بعضهم من الفرسان والبعض الاخر من المشاه ، ومن مهامه الاشراف على تجار الجملة وتجار التجزئة ، والتأكد من بيع وتوفير الحبوب بالسعر الـذى تحدده الدولة ، والتأكد من عدم وجود سوق سـوداء ومناهضة السـوق السوداء ، وازالتها ان وجدت ، ويكتب تقارير الى السلطان عن عمله بصفة مستمرة ، وعن ضبط السـوق والعمليات التجارية فيه ، وعن عدم وجود تلاعب في اسعار السلع او تذبذب في السوق ، كذلك يوضح ويراقب الاسعار خارج دهلى وتقاريره من اهم المصادر التى يعتمد عليها السلطان في سياسته نحو السوق ، واذا وجد تناقض بين تقارير مراقب السوق ، وما يجرى فعلا في السوق ، عوقب المراقب وموظفوه بكل شدة وعنف . لـذا فان المراقب في السوق لا يمكنه الاحتفاظ بمنصبه ، والنجاة من العقاب الا اذا باشر عمله بامانة وحزم ، ونفذ التعاليم السـلطانية تنفيذا دقيقـا ، ولا يمكن لمراقب السـوق رفع سعر القمح في مواسم الجفاف الا باذن السلطان ، لذا وجب على مراقب السوق ان يكون مهابا حازما حتى يجبر التجار على السير وفقا للتعاليم والمراسم السلطانية (١) .

ومع ان مراقب السوق يرأس كل موظفيه الا انه كان يحق لبعضـهم ارسال التقارير مباشرة الى السلطان ومنفصلة عن تقريره ، مثـل صاحب البيد الذى يكتب تقاريره عن كميات المحصول او نوعه ، وصاحب الشرطة الذى يتجول في السوق ، ويباشر بطرق سرية ما يجرى فيه (٢) .

ولما كانت هذه التقارير منفصلة ، فقد كان كل موظف بمثابة مراقب على الآخر ، وادى ذلك الى مراعاة كل منهم الدقة في تقريره ، وفي نفس الوقت

---

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

تأدية عمله على الوجه الاكمل حتى لا يتعرض للعقاب والفصل من وظيفته(١). وبذلك كفل السلطان للسوق الرقابة الدقيقة والحازمة ، وتبعا لذلك توفرت الحبوب في السوق في كل اوقات السنة ، وفي سنوات الرخاء والجدب وباسعار مناسبة في متناول المستهلك الرقيق الحال .

وسوق القمح هو اهم اسواق دهلى ، يليه في الاهمية سوق القماش ، ثم سوق الخيل ، وسوق العبيد ، وسوق الحلوى ، وسوق الفواكه وسوق الاسلحة وسوق الدواب ... الخ .

ومن ابرز مراقبى سوق القماش ملك يعقوب الذى امتد نفوذه الى الاسواق الاخرى . على ان تنظيمات هذه الاسواق تشبه تنظيمات سوق القمح ، وبلغ من ازدياد نفوذ ملك يعقوب انه كان يعين مراقبى الاسواق في دهلى ويدخل في اختصاصه وظيفة الحسبة . وعلى ذلك فان مهامه كانت كثيرة وشاقة ، وعليه توقيع العقوبات الصارمة لكل المتلاعبين في السوق ، في الاسعار ، في الموازين والمكاييل ، واخفاء السلع ، والغش ... الخ . وكلما كان صارما في عقابه ، كلما امتثل الناس لاوامره ، وادى ذلك الى انضباط السوق (٢) .

كان بمدينة دهلى سوق واحد للقماش بالقرب من بوابة بادون ، وحركة التجارة تسير سيرها العادى في السوق طوال اليوم من الصباح الباكر حتى اذان العشاء وتنوعت الاقمشة التى تباع في السوق مثل الحريرية والقطنية، ولم يكن القماش رخيصا قبل عهد علاء الدين ، ويرجع الى علاء الدين الفضل في تخفيض سعر الاقمشة في السوق في دهلى ، واصبحت في متناول المستهلك الفقير ، واتخذ من الاجراءات ما كفل ورودها الى سوق دهلى من الولايات المجاورة واعطانا باراني (٣) تقريرا باسعار السلع داخل دهلى ، ويوضح ان السلطان علاء الدين اخذ في الاعتبار تكاليف الانتاج ، والربح الذى يتقاضاه تاجر الجملة وتاجر التجزئة ، ولا ترتفع الاسعار في الاوقات العادية، وفي ظروف القحط وحرص السلطان على عدم رفع الاسعار ، بل امر بضرب مراقب السوق ، ملك كابل بالسياط ، حينما اقترح عليه رفع سعر القمح .

على ان تحديد اسعار القماش بسعر رخيص آمر من الصعب التحكم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٢) Lal ; op. cit., p. 308.

(٣) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٢٠ .

فيه مثل القمح والحبوب ، ذلك لان الحبوب يمكن شراؤها بوفرة من الزراع في المناطق المجاورة لدهلى مثل الدؤاب . اما القماش يأتى من اماكن صنعها بعيدا عن دهلى مثل الملتان وديفاجيرى ، وقد لا يتوفر القماش الكافى لدهلى، لذا فان اسعار القماش كانمن الصعب تثبيتها مثل القمح ، وترتفع طبقا للعوامل التى ذكرناها . ومع ذلك فقد حرص علاء الدين على الا يحدث ارتفاع شديد في اسعار القماش ، وقدم دعما ماليا لصناع القماش الذين يمدون دهلى بالقماش حتى تباع بسعر معقول في حاضرة دولته .

والقماش يشتريه تجار الجملة من اماكن بعيدة وبسعر مرتفع ، ولا تستطيع الدولة التحكم فيه ، وتكاليف النقل باهظة . فأمر السلطان بتسجيل اسماء تجار الاقمشة في دهلى ولما كان تجار الاقمشة لا يربحون الا ربحا ضئيلا ، فان هذا يدل على ان الدولة تسترد الدعم الذى تقدمه لصناع الاقمشة (١) .

ولما كانت اسعار السلع التى حددها السلطان رخيصة فان بعضها كالحرير كان يباع باربع او بخمس اضعاف سعره في خارج دهلى ، لذا خشي السلطان ان يلجأ التجار الى شرائه من سوق دهلى وبيعه خارجها، وفي ذلك ربح وفير لهم ، لذا قرر السلطان بان يباع الحرير فقط لمن يرغب في شرائه من الاغنياء والمترفين دون غيرهم ممن يلبسونه فعلا ، ويحصلون على اذن بذلك من ديوان الرئاسة ، وبمقتضي هذا الاذن يسمح لهم بشراء ما يكفيهم منه بسعر الحكومة ، ولا يسمح لغير هؤلاء بشرائه (٢) .

يلى سوق القماش في الاهمية ، سوق الخيل ، وكانت الفروسية اهم وأبرز قوى الجيش في العصور الوسطى ، والحصان ـ عدة الفارس ـ غالى الثمن ، وكان المغول يعاقبون سارق الحصان بالموت ، وكان راجات الهنود يربحون مبالغ طائلة من تربية الخيول وبيعها ، وقد حدث ارتفاع عالى في سعر الخيول في العصور الوسطى نتيجة لغزوات المغول المدمرة ، والتى قطعت الطرق التجارية في فارس وبلاد الافغان وبلاد العرب ، وادى ذلك الك عرقلة جلب الخيول الى الهند (٣) .

---

(١) Lal : op. cit., p. 209.

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣١٦ .

(٣) تاريخ باراني ، ص ٣١١ .

ولما كانت سياسة علاء الدين تناهض كل ارتفاع في سلعة يحتاج اليها الجندى كالقمح والخيل ، فقد حدد ايضا سعر الخيل ، وقسم الحصان اللازم والصالح للخدمة العسكرية الى ثلاث مراتب طبقا لتربيته ونوعه ، كما حدد اسعار الخيول التى لا تصلح للخدمة العسكرية ، والتى تستخدم في النقل وغير ذلك ، واسعارها اقل من اسعار خيول الحرب ، وشدد علاء الدين في مراعاة اوامره وتعاليمه ومنع الوسطاء وسماسرة السوق من الدخول بين البائع والمشترى ، الامر الذى يؤدى الى استغلال المستهلك وكل من يضبط من هؤلاء في السوق يعاقب بالسجن لمدد طويلة واعتاد علاء الدين ان يرسل مخبرين من قبله (١) للتفتيش على حركة بيع الخيول في السوق كل ٦ اسابيع او شهرين المتأكد من البيع بالسعر الرسمى الذى حددته الدولة ، ومن عدم وجود سماسرة في سوق الخيل . وبذلك امتنع التجار عن البيع بطريق السماسرة ، والتزموا بالبيع بالسعر الرسمى ، واستطاع الناس شراء الخيول باسعار منخفضة (٢) .

كذلك نفذت التسعيرة الجبرية في سوق العبيد ، وحدد اسعارها ، فالامة يحدد سعرها طبقا لجمالها وجنسها والعمل المؤهلة لتأديته ، وحدد سعر الغلمان كذلك طبقا للقواعد السابقة . وهذه التنظيمات نفذت في الاسواق الاخرى .

وبذلك نرى أن السلطان علاء الدين كفل سبل المعيشة الميسرة لشعبه بالاجراءات الصارمة التى اتخذها ، وبالمخابرات التى نظمها في السوق ، وأن كان ذلك قد قلل من أرباح التجار ، وأصدار الاوامر الى ديوان الرئاسة بأن يعين مراقبا للاسواق المختلفة ، يديرها ، ويراقب تنفيذ التسعيرة الجبرية وعدم تلاعب التجار ، ومنع الغش ، وكانت سلطات موظفى السوق كبيرة ، فكانوا يعاقبون التجار المتلاعبين بالضرب ، وكذلك اذا اساءوا الى الناس (٣) .

ويذكر المعاصرون ان الغش كان منتشرا بين التجار في الهند ، فيبيعون الزجاج على انه ماس ، ويخدعون الناس في الكيل والميزان، ويحاولون البيع بأعلى الاسعار ، ويقوم سماسرة السوق باستغلال كل من البائع والمستهلك ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .
(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٦ .

لذا جاءت سياسة علاء الدين الناجحة في السوق انتصارا للشعب لا يقل اهمية عن الانتصارات التى احرزها في ميادين القتال .

وبلغ من اهتمام السلطان بما يجرى في السوق ، انه نمى الى علمه ان التجار يغشون الاولاد الصغار في الميزان ، فكان يرسل غلمانا من قبله الى مختلف الاسواق ويكلف كلا منهم بشراء سلعة معينة ، ثم يستدعى رئيس ديوان الرئاسة ويأمره بالتأكد من صحة وزن هذه السلع ، فاذاتأكد لديه ان احد التجار تلاعب في الوزن ، يأمر باغلاق حانوته ، وعقابه بكل شدة ، لذا خشي التجار من مغبة الغش ، واتبع كل منهم البيع بالوزن الصحيح ، بل بلغ الخوف ببعضهم انهم كانوا يزنون اكثر من المطلوب حتى لا يقعوا تحت طائلة العقاب (١) .

ولكن سياسة علاء الدين اساءت الى التجار فقل ربحهم كثيرا ، ولم يعد احد يرغب في احتراف مهنة التجارة ، وعاش التجار في خوف وفزع من العقوبات الصارمة المعرضين لها في كل وقت ، وجاء هذا التخفيض على حساب السلعة وجودتها .

قلنا ان التجار قد ساءت احوالهم نتيجة للاجراءات الاقتصادية المتشددة لعلاء الدين ، كما أن الصناع تخلوا عن اتقان سلعهم بسبب الربح الضئيل ، ولم يكن الزراع احسن حالا من الصناع والتجار ، فسياسة علاء الدين الزراعية يأخذ - كما رأينا - بمقتضاها نصف المحصول من الفلاح ضريبة ، والباقى يبيعه بالسعر الذى تحدده الدولة ، الامر الذى يثقل كاهله ، لان النصف الباقى يدفع جزء منه لتسديد الضرائب الاضافية المفروضة عليه .

وكانت سياسة علاء الدين تهدف الى تيسير سبل المعيشة للجند (٢) ، وان كان ذلك على حساب الزراع والصناع والتجار الذين تعرضوا للفقر المدقع وشظف العيش من جراء سياسة علاء الدين الاقتصادية ، وقد اختلف المؤرخون حول الدوافع التى دفعت علاء الدين الى اتخاذ هذه الاجراءات فيرى البعض انه يهدف منها الى تيسير سبل المعيشة للشعب ، وعدالة

---

(١) Lal ; op. cit., pp. 215 - 216.

(٢) IBID. PP. 217 - 218.

التوزيع ، وتذويب الفوارق بين الطبقات او اشتراكية التوزيع ، الا ان فريقا اخر يعتقد ان علاء الدين يهدف من سياسته الى افقار شعبه حتى تنعدم كلمة تمرد ولا تظهر مراكز قوى تنال من سلطانه الا اننا نعتقد انه يهدف الى تيسير سبل المعيشة للمواطنين عموما .

ويعتقد باراني (١) ان تخفيض الاسعار كان ضرورة حربية وسياسية لعلاء الدين تهدف بالدرجة الاولى الى اسعاد جيشه ، وان كان الجندي لم يستفد كثيرا من تخفيض الاسعار لان التخفيض للاسعار اقترن بتخفيض المرتبات ، وانطبق ذلك على سائر الموظفين ، لذا نرى ان الزراع والصناع والتجار والجند وسائر الموظفين اجهدهم سياسة علاء الدين المالية . وثمة حقيقة اخرى وهي ان التسعيرة الجبرية طبقت في دهلى دون سواها ، وديوان الرئاسة كان يعين مراقب السوق في دهلى فقط ، الامر الذى جعل شراء السلع من دهلى بالسعر الرسمى ، وبيعها خارجها باسعار لا رقابة عليها ، يؤدى ذلك الى ربح وفير ، رغم ان التجار والصناع كانوا يدونون اسماءهم في ديوان الرئاسة ويجبرون على الاقامة في دهلى ، ولا يحق لهم اعتزال عملهم او الانتقال خارج دهلى ، ويتعهدون بذلك جماعات وفرادى، وتشدد السلطان على الهربين والمحتكرين (٢) .

وثمة حقيقة اخرى ترتبت على سياسة علاء الدين في تخفيض الاسعار، وتتمثل في وفود الكثير من الناس الى دهلى للاقامة فيها ، والاستفادة من اسعارها الرخيصة ، ومن بينهم شخصيات كبيرة في الولايات ، حتى اصبحت دهلى من امهات المدن العالمية ومن اكبر الحواضر الاسلامية واعظمها، وضم هؤلاء الوافدون ، الكثير من المثقفين والصناع المهرة واعد السلطان الجيش خير اعداد ، وان كان ذلك على حساب تدهور الزراعة والصناعة والتجارة ، وقاسي الزراع خارج دهلى من هذه السياسة ، اذ يجبرون على بيع محاصيلهم بالسعر الرسمى ، وبحكم اقامتهم خارج دهلى لا يستفيدون من رخص الاسعار في العاصمة (٣) .

على ان سياسة التسعيرة الجبرية لم تطبق فقط الا في عهد علاء الدين فلما ولى قطب الدين اهمل مراقبة السوق ، فعادت الاسعار الى الارتفاع ، وعاد التجار الى التلاعب بها ، وهاجر من دهلى الكثير من الناس لانها لم تعد افضل من غيرها في المعيشة .

---

(١) تاريخ باراني : ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .
(٣) تاريخ باراني ، ص ٣٠٤ .

التجارة الخارجية

واما عن التجارة الخارجية فقد حدثنا ابن بطوطة عن مدن الهند التجارية واقبال التجار من خارج الهند اليها للتجارة ، ففي الطريق الى الملتان ـ قاعدة اقليم السند ، ومسكن امير امرائه ـ على مسافة عشرة اميال الوادي المعروف منها ـ خسروآباد ـ وهو من الاودية الكبار ، المزدهر بالتجارة والتبادل التجاري ، وبه تفتش امتعة المجتازين ويؤخذ الربع من كل تاجر ، وعلى كل فرس سبعة دنانير ، وظل الامر كذلك حتى رفع السلطان محمد بن تغلق تلك المغارم ، وامر الا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر(١). وكانت مدينة هنور بالقرب منها مرسى للمراكب الكبار (٢) وكان التجار المسلمون يشيدون المساجد بالبلاد التي يحلون بها .

ومن اهم المدن التجارية دولت آباد (٣) ، واكثر تجارتها في الجوهر واموالها طائلة . وازدهرت التجارة كذلك في المليبار ، واذا اراد حاكمها منع الناس من التجارة والبيع والشراء ، امر بعض غلمانه فعلق على الحوانيت بعض اغصان الاشجار ولا يبيع احد ولا يشترى ما دامت تلك الاغصان (٤) .

وأما مدينة منجرور (٥) من المليبار وينزل بها معظم تجار فارس واليمن للتجارة ، بينما يتوافد التجار من الصين بمراكب كبار على مدينة دهلي ، ويقصد مدينة قالقوط اهل الصين وسيلان والجاوه واليمن وفارس للتجارة ، ويجتمع بها تجار الافاق (٦) .

وضع ابو القاسم بن خردازبه في كتابه المسالك والممالك دليلا للمسافرين وصف فيه الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة عند الابلة ويصل الى بلاد الهند والصين وكانت المراكب الاسلامية تسير بمحاذاة ساحل الخليج العربي وساحل الهند حتى ملبار ، وقد اشرنا الى ازدهار التجارة

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

في مدن السند مثل الديبل والملتان ، حيث كانت السفن تذهب الى الهند، وتعود محملة بمنتجاتها من التوابل والمنسوجات والمعادن ، وكانت قوافل البنجاب ، تنقل البضائع من الاقليم الى بلاد الافغان (١) .

وقدازدحم المحيط الهندى بتجار آسيا وخصوصا العرب ، الذين تعددت رحلاتهم التجارية الى جنوب الهند وسيلان ، وانشأ العرب محطات تجارية في قاليقوط وساحل الملبار وملقا ، وقد لعب تجار العرب دورا كبيرا في تبادل السلع بين الهند واوربا ، وذلك بفضل نشاطهم التجارى في الخليج العربى البحر الاحمر والمحيط الهندى ، وكانت السفن الهندية تصل الى شرقى القارة الافريقية والى ساحل بلاد العرب (٢) .

ويذكر لبيرونى (٣) ان كشمير كانت تغلق ابوابها امام التجار الاجانب ولا تسمح الا لنفر قليل من تجار اليهود بالتجارة معها نظرا لنشاطهم في تجارة العملة .

وكان التجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا يسافرون بين الشرق والغرب ، ويحملون من اوربا الخدم والقلمان والجوارى والديباج والخز والفراء ، ويركبون الى الفرما ، ويحملون تجارتهم الى القلزم ، ثم يبحرون في البحر الاحمر الى جدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين ، ونتبادلون التجارة مع هذه البلاد (٤) .

(د) ـ الادارة المالية

اذدادت نفقات سلطنة دهلى بسبب حروبها الكثيرة وحاجتها الى تكوين جيش قوى ، وتجهيزه بالاسلحة والمعدات الكافية ، وضم المزيد من البلدان الهندية الى سلطنة دهلى والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، خصوصا الغزو المغولى لذا وجب على سلطان دهلى ضمان الموارد المالية الكافية ، لتغطية نفقات الدولة ، ومن ابرزها النفقات العسكرية . ولم يجد سلاطين دهلى امثال قطب الدين ايبك وجلال الدين خلجى حلا لهذه المشكلة العويصة ، وتصدى لها علاء الدين .

---

(١) Heyd : Histoire de Commerce. 1. p. 36.
(٢) IBID.
(٣) تاريخ الهند ، ص ٢٠٦ .
(٤) آدم متز — الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

انقسمت الاراضي الزراعية في سلطنة دهلى الى قسمين قسم يتبع سلطنة دهلى مباشرة ، ويتبع ديوان الوزارة ، ويقوم الوزير بواسطة مساعديه من الموظفين الماليين بجمع الضرائب المفروضة على هذه الارض (١) ، والقسم الثانى هو أرض الاقطاع التى تتبع الولاة ، ويتولى الوالى الى جمعريعها،واخذ نصيبه في الارض لنفسه ، ويرسل الباقى الى الخزانة المركزية في دهلى (٢)، وجدير بالذكر ان هؤلاء الولاة قد اقطعهم السلطان هذه الولايات .

ويعتمد هذا النظام على ان يدفع المقطع جزءا من ريع الارض الى المقطع وهذه النسبة عادة ثلث انتاج الارض ، وهذه الطريقة في جمع الضرائب تسمى نظام المقاسمة ، ويقوم بجمع حصة الحكومة من المحصول احد الموظفين ، عينا او نقدا ، وتودع الكميات التى تجمع في خزينة الدولة المركزية، ويحصل على براءة بذلك .

والغى علاء الدين ارض الوقف التى اعتاد ان يوقفها السلاطين والملوك لكبار رجال الدولة من النبلاء ومن في حكمهم ، وكانت هذه الارض معفاة من الضرائب واعتمد هؤلاء المحظوظين على هذه الارض في حياتهم المعيشية ، وانتعشوا وارتفعشأنهم، وحاول بلبن تقليم اظافرهم ، لكن الخانات والملوك اقنعوه بعدم التعرض لهم ، ومع ذلك فقد الغى هذا السلطان بعض امتيازاتهم نفوذهم في ادارة سياسة الدولة (٣) . ولما ولىعلاء الدين كان يمنح من يثق فيه من رجال الدولة هؤلاء الاقطاعات الواسعة .

وفي سنة ١٣٠١ (٤) اتخذ السلطان علاء الدين قرارا جريئا وهو تأميم الاراضي الزراعية بمعنى ان جميع الاراضي التى هى ملك للافراد او وقفا لهم او هبة ، تؤول هذه الاراضي الى الدولة ويتضح من كلام بارانى ان النبلاء كانوا لا يمتلكون ارضا ، لان علاء الدين قد امر بمنح النبلاءالذين لا يمتلكون ارضا قدرا معينا من القمح في اوقات العسر ، وفضل السلطان مصادرة اراضي الاوقاف ، والدفع نقدا للموظفين ، ولقد استرد السلطان معظم اراضي الوقف فعلا ان لم يكن كلها واراضي الهبة او التوكيل استردت كذلك وكان على الموكلين ان يبحثوا عن وسيلة اخرى لكسب قوتهم (٥) .

(١) Qureshi : Administration of the Sultanate of Delhi. p. 103
(٢) Moreland. op. cit., p. 27.
(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٠٨ .
(٤) Qureshi : op. cit., p. 119.
(٥) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٣ .

كذلك أمر علاء الدين جباة الضرائب بأن يأخذوا الناس بكل شدة لحملهم على دفع الضرائب في مواعيـــدها ، وانذر بمعاقبة كل من يتهرب من اداء الضرائب بكل قسوة ، وكانت الضرائب باهظة ، وضاق الناس ذرعا بها ، حتى ان الاغنياء افقرهم هذا العبء الشديد ، وادى سوء احوال الناس المالية ، وقهر علاء الدين لهم معيشيا وماليا الى عدم التفكير في التمرد .

ولم يكتف لسلطان بالغــــاء الوقف ، بل تعرض لاراضي الاقطاع التى اقطعت للهنود والنبلاء في عصور سابقة واثروا منها ثراءا عريضا واصبحوا بسبب هذه الثروات اصحاب نفوذ كبير ، مكنهم من ان يصيروا من عناصر القلق والاضطراب والتمرد ، لذا راى علاء الدين ضرورة الغاء الاقطاعات حتى يأمن على ملكه ودولته ، وكان اصحاب الاقطاعات من الهنود قد ازداد واغنى ، وادى ذلك الى ارتفاع شأنهم وكثرة انصارهم ، الامر الذى قد يــؤدى الى حدوث حركات تمرد ضده ، وكان اصحاب الاقطاعات لا يكتفون بجمع الضرائب المقررة للدولة ، والمقررة شرعا كالجزية والخراج ، وانما كانوا يجمعون ضرائب اضافية لانفسهم ، الامر الذى اثقل كاهل الاهلين (١) ، وكانوا لا يكترثون بتعليمات الوزير ورؤساء الدواوين والمكلفين بجمع اموال الدولة ، لذا قرر علاء الدين تحديد نفوذ هؤلاء الملاك ، وراى ان ذلك لا يتم الا بتحديد ثراوتهم ودخولهم ، فرآى ان نظام الضرائب القائم ــ وهو ضريبة بنسبة المحصول ــ يؤدى الى ابقاء فائض كبير من المال والثروة لهم ، لذا قرر اعادة النظر في هذا النظام بحيث يفرض اكبر قدر من الضرائب على الملاك ، فيحدد من ثروتهم كما حدد من ثروات النبلاء ، وبالتالى يضعف نفوذهم ، ولا يركبون الخيــول ولايلبسون الديباج ، ولا يظهرون بمظهر الترف والنعيـــم الذى تعـودوا عليـــه (٢) .

حددت الدولة ضريبة الخراج بنسبة ٥٠٪ على المحصول بدلا من النظام الذى كان معمولا به من قبل ، وهو نظام الضريبة بنسبة المحصول . وهذا التقدير بالنسبة للاراضي الزراعية التى يمتلكها الاغنياء والفقراء على السواء. وقد اضر هذا النظام كثيرا بأغنياء الهنود ، لانهم يقدمون نصف المحصــول للخزينة المركزية ، ومن النصف الآخر يؤدون الضرائب المتنوعة الاخرى ، ولا يبقى لهم الا قدرا ضئيلا من المال لا يكاد يكفيهم ، وباعوا ما في بيوتهم من

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ –٢٨٨ .

(٢) Lal : op. cit., pp. 180 - 181.

ذهب وفضه ، وعاشوا في شظف من العيش وبلغ بهم الفقر حدا جعل نساءهم يعملن في بيوت المسلمين الاغنياء نظير أجر (١) .

وهذا القدر من الضرائب مرتفع جدا اذا قورن بالعهود السابقة ، ففى ظل الحكم الهندى كانت الضريبة على المحصول تتراوح ما بين ١ الى ٦٠ أو ١ الى ٤٠ وفي عهد بلبن والتمش ارتفعت الضريبة حتى صارت ١ الى ٣٠ ، وفي عهد علاء الدين ارتفعت الى النصف ، وهذه الضريبة مرتفعة جدا بالنسبة للملاك والمزارعين (٢) .

والضرائب على الارض كانت تؤخذ عينا ونقدا ، وفي حالة نقص محصول القمح ، كانت الضريبة تؤخذ عينا في حالة قلة الغلال في الدولة ، ولم يكتف علاء الدين بذلك بل فرض ضرائب على المنازل والكلا المباح ، وكل منتجات الحيوان (٣) .

يضاف الى ذلك ضرائب اخرى على السلع التجارية ، والجزية التى تفرض على اهل الذمة طبقا لقدراتهم المالية ، وكانت تجبى قدر الطاقة ، لذا قسم اهل الذمة الى ثلاث فئات ، اغنياء ومتوسطين ، ودون المتوسط ، وكل فئة تدفع قدرا معينا ، وتعتبر الجزية من اهم موارد الدخل ، وهناك ضريبة اخرى تسمى الجزية ايضا تفرض على الامراء الراجبوتيين التابعين لسلطنة دهلى ، وهى امارات غير اسلامية (٤) .

ومن الطبيعى والمنتظر ايضا ان يكون دخل الجزية كبيرا مادام عدد غير المسلمين كبيرا ، وتأخذ في النقصان بتزايد دخول غير المسلمين في الاسلام وتؤثر بذلك في ميزانية الدولة ، وكان بعض السلاطين مثل فيروز تغلق يحرص على هداية الناس الى الاسلام على الرغم من ان ذلك يؤدى الى نقص ميزانية الدولة من ضريبة الجزية .

شجع السلطان فيروز شاه الهندوس على اعتناق الاسلام واعلن اعفاء كل من يدخل في الاسلام من الضرائب ، ولا يبقى عليه سوى الضرائب الشرعية فقط ، فأقبل عليه الهنود من كل صوب وحدب ، ودخلوا في الاسلام ، اما البراهمة فقد اغضبهم تقريره الضرائب عليهم ، شأنهم في ذلك شأن المواطنين العاديين ، فاجتمعوا حول القصر ، واعلنوا انهم يصومون حتى الموت ، فنظر السلطان في طلبهم ، وخفف عنهم وانذرهم بالموت أن تعرضوا لهندوسي يعتنق الاسلام (٥) .

---

(١) Munshi : op. cit. P 183

(٢) IBID. p. 182.

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ . (٤) تاريخ باراني ، ص ٣٠٣ .

(٥) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 234.

ومما يجدر ذكره أن بلبن وعلاء الدين ومحمد بن تغلق ، كانوا يحرصون على زيادة موارد الدولة ، فلم يشجعوا دخول غير المسلمين في الاسلام حتى لا يؤدى ذلك الى نقص موارد الدولة ، الامر الذى اثار عليهم رجال الدين والمتمسكين بتعاليمه (١) .

واما الغنائم فتقضي القاعدة الشرعية بأن تؤول خمسها الى الدولة ، والاربعة اخماس توزع بين الجنود . على ان السلطان علاء الدين لم يلتزم بتطبيق هذه القاعدة . ففى عهده زادت الموارد المالية للدولة من الغنائم لكثرة الحروب ولما كان علاء الدين لا يرغب في اغداق الاموال على رجاله ، لان ثراءهم — في رايه — يدفعهم الى التمرد ، تراه يخالف القاعدة الشرعية في تقسيم الغنائم ، ويأخذ منها ⅘ ، ويودعها في خزانة الدولة ، ويوزع الخمس فقط على المحاربين .

واما ضريبة الزكاة ، فتفرض على المسلم فقط .

والمعروف ان الزكاة من اركان الاسلام ، وتجبى من المسلم الذى يزيد دخله في السنة عن قدر معين حدده المشرع ، وتنفق على المحتاجين ، وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين (٢).

وفي سبيل الله وابن السبيل .

ولتنظيم العملية الضرائبية كان السلطان يصدر قراراته فيما يتعلق بنظام الضرائب وجبايتها الى الوزير ويقوم الوزير بدوره بتنفيذها (٣) .

حرص السلطان علاء الدين على ضمان عدم تهرب الناس من الضرائب، فأسس لذلك ديوان المستخرج او الاستيفاء . ومهمة هذا الديوان النظر في الضرائب المقررة ، وتأجيل ما يراه منها . ورفع او خفض او اعفاء ما يراد، ومعاقبة المتهربين من الضرائب ، واحدث السلطان علاء الدين بعض التعديلات في نظام الضرائب بحيث تؤدى الى تحقيق سياسته الرامية الى زيادة موارد الدولة ، وامر برفع مرتبات موظفى الضرائب حتى لا يتقاضون رشوة مقابل التغاضى عن جمع بعض الضرائب . وفي نفس الوقت لم يأل السلطان علاء

---

(١) Lal : op. cit., pp. 185 - 186.
(٢) Majumdar : op. cit., p. 210.
(٣) IBID. PP. 211 - 212.

الدين جهدا في سبيل عقاب كل موظف يتلاعب في جمع الضرائب (١) .

ويبدو ان العقوبات كانت قاسية جدا حتى اننا تسمع انه طلب من نائبه غازى مغيث فصل آلاف الكتبة وجامعى الضرائب عن وظائفهم ، وجردهم من اموالهم وعذبهم عذابا شديدا . وبذلك حرص جامعوالضرائب على تأدية واجبهم بأمانة ونزاهة واخلاص حتى لا يتعرضوا لبطش السلطان . ويقال انه اودع خمسمائة من موظفى الضرائب في السجون بتهم مختلفة .

وبذلك ضمن علاء الدين طهارة ونقاوة جهازه الضرائبى وعاش موظفو الضرائب في رعب خوفا من عقوبات السلطان الصارمة . ولم يعد الناس يقبلون على هذه الوظائف خوفا مما قد يتعرضون له من عقاب ، بل لم يعد احد يرغب في انيزوج ابنته لاحد من هؤلاء الموظفين ، لانهم معرضون لخطر العقاب .

والجدير بالذكر هناان علاء الدين الغى امتيازات ملاك الاراضي ، واثقل كاهلهم بها حتى تحولوا الى طبقة رقيقة الحال ، يلتمسون العيش بشق الانفس واذا اضطروا باعوا ما في بيوتهم من تحف او جواهر (٢) ، والفلاح يدفع للحكومة ٥٠٪ من محصول الارض والنصف المتبقى يدفع منه الجزية والضريبة على المنزل وضريبة الكلا وتضطره الحكومة الى بيع فائض الحبوب لها لسد العجز في خزائن الحبوب التى امر السلطان ببنائها في ادارة السوق (٣) .

والحقيقة ان سياسة علاء الدين نحو الفلاح اتسمت بالقسوة ، وقد عمد — كما رأينا — الى افقار ملاك الاراضي ، حتى لا يحدث أحد منهم نفسه بالتمرد على النظام القائم . وحذا غياث الدين تغلق حذو علاء الدين . وبذلك نرى ان سياسة الخلجيين والتغالقة نحو الفلاح كانت ظالمة جائرة ، ارهقت الفلاح ، واوجدت عنده شعورا بالمرارة صرفه عن بذل الجهود لزيادة انتاج الارض الذى لا يعود اليه منه الا النزر اليسير ، وربما هذا القدر الضئيل لا يكفى متطلباته المعيشية . وبذلك فشل اسلوب تضييق الحياة المعيشية على جماهير سلطنة دهلي في العصور الوسطى .

ولما ولى فيروز شاه السلطنة خفف عن الفلاحين عبء الضرائب ، وعنى بتيسير سبل المعيشة لهم ، فعاشوا في رخاء وامتلات بيوتهم قمحا ، وارتفع مستواهم المعيشي فحسن اثاث بيوتهم ، ولبست زوجاتهم الحلى . وانعدمت شكاواهم بعد ان كفل لهم السلطان الحياة الحرة الكريمة (٤) .

---

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٨٩ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٤) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 237.

٣ ـ المظاهر الاجتماعية فى سلطنة دهلى

١ ـ طبقات المجتمـــع :

تعددت الاجناس في بلاد الهـــند ، وتنوعت اللغات والاديان وتعرضت الهند في تاريخها الطويل لغزوات كثيرة جلبت لها هجرات من شعوب مختلفة، واندمجت هذه الشعوب مع السكان الاصليين ، وانقسم سكان الهند الذين يعرفون بالهندوس الى اربعة عناصر ، العنصر الاسود والعنصر الاصفر ، والعنصر التورانى والعنصر الآرى .

والاريون اكثر العناصر تأثيرا في شعوب الهند ، اقاموا في بادىء الامر في وادى السند ، واوغلوا تدريجيا في داخل الهند ، ودخلوا الدكن في آخر الامر ، واندحر امامهم السكان الاصليون ، كما اندحروا امام الصفر ، حتى اضطروا الى الاعتصـــام بمنـــاطق الدكن الوســـطى الجبلية ذات الاجـام والغابات (١) .

ودخل العنصر الآرى الابيض وادى السند ، وقهر العناصر التورانية، واوغل في غرب الهند وجنوبها .

والخلاصة ان الجاليات الاجنبية في الهند ثلاثة ، الاولى وهى اكثرها عددا قدموا عبر حدود الهند الشمالية الغربية ، واستقروابصفة خاصة في الســـند والبنجاب والثانية بقايا المحاربين المسلمين الذين اقاموا بكثرة في أعالى الهند ، وبدرجة اقل بكثير في هضبة الدكن ، والطبقة الثالثة والاخيرة، هم هؤلاء الذين استوطنوا الساحل الغربى ، ولا يبعد ان يكونوا من اصل عربى ، ولقد جاء الذين اسسوا هذه المستعمرات الى بلاد الهند عن طريق البحر . ولكن هؤلاء الاقوام الذين وفدوا على الهند واستقروا فيـها معظمهم اســـتقر في البنجاب وما يجاورها (٢) .

---

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٠٥ .
(٢) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

وتؤلف العناصر التورانية معظم سكان البنجاب ، ويقيم الراجبوت في الراجبوتانا ــ وهم من العناصر الارية ــ اما أهل الكجرات فهم مزيــح من مختلف العناصر ، وان العنصر التورانى هو الغالب على هذه العناصر .

والعناصر التى وفــدت الى الهنــد فضلت ــ في الغالب ــ الاقامة في وادى الكنج وساد العنصر الآرى الى الغرب من اودهه والاصفر الى الشرق من البنغال ، وتقع بين هاتين الولايتين ولاية بهار التى تختلف عنهما وضعا ومنظرا وسكانا ، ويقطن في هملايا المشرفة على البنجاب في الاودية المنحدرة الى البنجاب جماعات من التبت (١) .

واستقر في بــلاد الهنــد كذلك عناصر من العــرب والترك والفرس والافغان ، والعرب جاوزوا بحر عمان للتجارة وانشأوا المستودعات وسيطروا على بعض البلاد الهندية في السواحل الغربية نحو مصب نهر السند (٢) . اما العناصر الاخرى التى اشرنا اليها ، فقد وفدت الى بلاد الهند فاتحة من الشمال الغربى ، منذ عهد السلطان سبكتكين الغزنوى .

ويجدر بنا ان نشير الى الراجبوت لما لهم من اهمية كبيرة في بلاد الهند والراجبوت أقدم طبقة اشراف في العالم ولهم تاريخ قديم موغل في القدم ، ويكتنفه الغموض ، وهم فرسان على قدر كبير من الشــجاعة والمهــارة العسكرية وقــد قاوموا المســلمين بنجاح وعناد ، والراجات يسكنون في حصون وبروج مشــيدة ، ويحكم الراجا حصنه الحصين ويقطع الافراد الخاضعين له الاقطاعات الداخلة في دائرته ، ويلزم بأداء الخدمة العسكرية لسيده ، ويدفع الزراع التابعين للراجا في أوقات معينة قدرا من المحصول ويسخرهم الراجا .

وزعم الراجبوت انهم من سلالة الملوك والحكام القــدامى الذين ورد ذكرهم في الاساطير الهندية ، واعتبروا انفسهم اشراف البلاد وسادتها ،

---

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٢٥ وما

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

وشيدوا المعابد على الطريقة البرهمية ، وحصنوا مدنهم بالاسوار والقلاع واهتموا بالحياة الادبية ، وقربوا اليهم الشعراء والعلماء خصوصا علماء الانساب ، والراجا يتقدم عادة رجاله في الحروب ، ويدير المعركة بنفسه ، وامتلأت حياتهم بالحروب ، حتى انهم حرصوا على تنشئة ابنائهم نشأة عسكرية ، وتدريبهم على اساليب الفروسية ، وتدريس سير الأبطال على اعتبار انهم المثل الاعلى لكل راجبوتيني ويعلمونهم كذلك احترام النساء والعفوعن الضعيف والمغلوب ، ونصرة المظلوم ، وان يجيرمن استجاره . وتنتشر بين الراجبوت قصص الابطال والفرسان والصيد والمبارزة والمصارعة ، وادت هذه التنشئة العسكرية الى شغفهم بالحروب واستهانتهم بالموت ، وتركوا الاعمال اليدوية من زراعة وصناعة ونحوها الى الاهلين التابعين لهم .

تنوعت الديانات في الهند ــ كما رأينا ــ ويجمعها حين فتحها المسلمون اسم البرهمية الجديدة او الهندوسية المشترك وتميل كلها الى التوحيد ، وتشتمل على الوف الآلهة وعلى اصنام حجرية وخشبية ، وتشتمل على عقائد فلسفية متنوعة . وتقوم في مجموعها على الآلهة البرهمية القديمة المؤلفة من قوى الطبيعة التى الهتها كتب الوبدا وشخصها البراهمة ، ولقد تأثرت البرهمية بديانة سابقا لها هى البدهية في تسرب روحها ذات المحبة والرأفة في كل مكان ، وكل ديانات الهند توضح بجلاء كيفية تصور الهنود للعالم وميل الروح الى التوحيد وميل الخيال الى الاشراك والتسامح المطلق والاخاء بين العقائد المتناقضة .

المرأة وأثرها في المجتمع

تمتعت المراة في سلطنة دهلى بقدر كبير من الحرية ، اتاح لها ممارسة نشاطها ، واظهار مواهبها ، بل تربع على عرش دهلى امراة هى السلطانة رضية ، وقد دربها ابوها السلطان التمش على ادارة الدولة ، وعهد اليها من بعده واحبطت كل المؤامرات التى دبرت لخلعها ، وتزيت بزى الرجال ، وقادت الجيوش بنفسها ، راكبة الفيل ، وبرز في دهلى ايضا شاه تركان ــ

والدة السلطان فيروز ـ وحكمت البلاد لان ابنها لم يستطع مباشرة شؤون الحكم والسياسة . وسارت سيرة سيئة ولذلك لم تستمر في السلطة (١) .

كذلك لعبت زوجة علاء الدين ووالدتها زوجة السلطان جلال الدين خلجى دورا كبيرا في الخلاف الذى نشب بين السلطان وابن اخيه ، ولما دبر علاء الدين قتل عمه جلال الدين تحصنت زوجة السلطان القتيل في دهلى ، واعلنت تولية ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن علاء الدين احبط محاولتها ، وولى السلطنة .

والمراة الهندية تحب الانتظام في سلك الحياة العائلية واذا ما بلغت الفتاه مرحلة الزواج ، تعقد حفلا للخطوبة وتدعو اليه الشبان ، وتخلص المراة الهندية لزوجها كل الاخلاص حتى انها تحرق نفسها اذا مات زوجها ولم يترك ولدا ، وتعتبر حياتها بعد زوجها عذابا لا يطاق ، وقد ابطل السلطان فيروز شاه التغلقى هذه العادة السيئة .

وبلغ من وفاء المراة الهندية لعائلتها ووطنها عموما انها كانت تفضل الموت على الوقوع في ايدى العدو ، بل احرق النساء انفسهن عندما سقطت شيتور في ايدى السلطان علاء الدين خلجى حتى لا يقعن في أسر اعدائهن واحرقت نساء الهناذكة انفسهن في أثناء هجوم تيمورلنك على دهلى .

وقد اهتم السلطان فيروز شاه التغلقى برعاية الضعفاء من النساء ، فأنشأ ديوانا للخيرات ، يقوم بتجهيز الفتيات الفقيرات للزواج .

الرقيـــق

انتشر الرقيق في سلطنة دهلى انتشارا واسعا بسبب كثرة الحروب، واستخدموا في الجندية وفي الاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة والتجارة

(١) Munshi : The struggle for Empire. p. 180.

او الخدمة في البيوت والدور وتدرج بعضهم في سلك الجنـدية حتى بلغ منصب السلطنة ، فكان قطب الدين ايبك اول سلاطين المماليك في الهند ، مملوكا عند سيده شـــهاب الدين ، وظهرت شجاعته حتى ولاه قيادة جيوشه ، ثم استتابه في اقليم الهند التابع لدولةالغور ، ولما سقطت الدولة الغوريةولىالسلطنة ، وخلفهسلاطين المماليكفيالهندوحرصسلاطيندهلىعلى اشتراء المماليكوالاعتماد عليهم في الجندية ، وممن تدرج في سلكالجنديةكافور ، وكان عبدا حبشيا قديرا جلبه القـــائد نصرت خان الى سيده ، واحرز الكثير من الانتصارات في المعارك التى قادها لعلاء الدين ، وكان علاء الدين يؤثر كافور بالمشورة ، بل وقع تحت تأثيره ، ولما توفى علاء الدين ، اجلس كافور ــ اصغر ابنائه على العرش تحت وصايته حتى ينفرد هو بالسلطة والحكم في البلاد ، وأساء كافور السيرة ، ونكل بكل من اعترض طريقه ، ولكن مماليك علاء الدين قبضوا عليه ، وقتلوه واسـندوا السـلطنة الى مبارك خان .

ولقد حث الاسلام المسلمين على عتق العبيد والعمل على تحريرهم . قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى **القربى واليتامى والمســاكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن الســبيل وما ملكت ايمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخـورا** » (١) وللعتق اسباب كثيرة اهمها في الاســلام اظهار العبد للتقوى او دخوله في الاسلام او فداء عن يمين او وفاء بنذر او التماسا للثـواب او شكرا لله على نعمه (٢) . ولقد حرص سلاطين دهلى وامراؤها على عتق العبيد في العيدين تقربا الى الله .

وكان الارقاء يختلفون في اجناسهم واشـكالهم والدانهم ولم كونوا جميعا من اسرى الحروب ، بل كان بعضهم يشترى من اسواق النخاسه .

---

(١) سورة النساء .

(٢) المنذرى : الترغيب والترهيب ، جـ ٣ ، ص ٦١ - ٦٣ .

ومن ابرز الاعمال التى قام بها الجوارى ، الغناء ، واسعارهن مرتفعة وبلغ بعضهن شأنا كبيرا في قصور السلاطين والامراء .

وكان سلطان دهلى وامراء المملكة يتبادلون الهدايا ومن بينها المماليك ، واذا وفد زائر على احدهم يقدم له هدية من المماليك ، وينعم السلطان على كبار رجال دولته في العيدين بهدايا من الرقيق .

(ب) الموسـيقى والغنـاء والمجالس الاجتماعية :

اهتم أهل الهند بالموسيقى منذ فجر تاريخهم ، وتطور فن الموسيقى بفضل تشجيع ملوك الهند القدامى ، وظهر موسيقيون اكفاء باعداد كبيرة، وعرف الهنود النوتة الموسـيقية ، واستخدموها في فنهم ، والمعروف ان اول من عرف النوتة الموسـيقية اهل الهند ، ونقلت الى اوربا في القرن الحادى عشر وتنوعت الآلات الموسيقية عندهم (١) .

ولم يكن سلاطين الترك في دهلى اقل اهتماما بالموسيقى من اسلافهم بل شغفوا بها ، وشجعوا الموسقيين ، وكان الامير محمد ابن السلطان بلبن تلميذا لرائد الموسيقى في الهند ، امير خسرو ، وجدد الالحان الموسيقية في الهند وطورها واصبحت الموسيقى في سلطنة دهلى من الامـور التى لا غنى للافراد عنها في حياتهم اليومية ، واقبل النـاس بشغف على سماع الموسيقى وتعلم الالحان ، ويذكر بارانى (٢) . ان السلطان جلال الدين خلجى كان يحب الموسيقى ، وضم بلاطه عددا من الموسيقيين . وذكر اسم محمد شاه شانجى اللاعب على الشانج Chang وفاتوحا ونصرت خاتون ومهرأفروز كانوا اشهر وامهر عازفين في بلاط السلطان ، ويتحدث بارانى عن جمال اصواتهم حتى انه يقول ان الطيور كانت تهبط من الجـو لسماع اغانيهم العذبة وربما يخرج الانسان عن طـوره ، وكان خسرو يغنى بمدح الملك ، ومحمد شاه يغنى للسلطان بالاغانى التى يعشقها ويهوى سماعها.

وكان السلطان علاء الدين خلجى يحب الاستماع الى الموسيقى ايضـا ، واعطانا امير خسرو بيانا مفصلا عن الموسيقيين في عهده ، وتحدث عن الآلات الموسيقية

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis.p. 335.

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٣٠ .

التى استخدمت وتنوعها واستخدامها ، ومن اشهر الموسيقيين محمد شاه خليفة حسين واخلق وترماتى خاتون ، وغنى هؤلاء وغيرهم في قصر علاء الدين . وكانت ترماتى خانون موسيقية وفنانة عظيمة ، تفوقت على مثيلاتها من الفنانات الفرس والهنود في عهد علاء الدين . ومن الآلات الموسيقية الشانج والدف والربابة والمزمار والناى والارغول (١) .

وبلغ من محبة علاء الدين للموسيقى ، وتقديره العميق للموسقيين انه بعد ان سقطت سريرا نجم في ايدي نائبه ملك كافور وفد على علاء الدين فرقة من الموسيقيين من جنوب الهند واسعدوا السلطان بالحانهم واغانيهم ، فرد اليهم صنعهم .

وبرز في جنوب الهند فنان كبير يسمى كوباك Nayak وقدر عدد تلاميذه بألف ومائتى موسيقى ، وزار كوبــاك دهلى ، ورتب أمير خسرو كبير موسيقى علاءالدين اجتماعابينه وبين السلطان ، وانشد الحانه في بلاط علاء الدين فلاحظ السلطان تفوق الموسيقى الجنوبى على امير خسروا ، وطلب من كبير موسيقييه الاستماع لكوباك في بلاطه خفية وغنى الموسيقى الجنوبى ، والم امير خسرو بالحانه ، وغناها بعد ذلك للسلطان (٢) .

ولما كان اهل الطرب والموسيقى والغناء يجدون في دهلى التقــدير والعرفان فقد وفدوا اليها من خراسان وبلاد الافغان وغيرها من البــلاد الاسلامية ، ولما علم امير خسرو بمقدم موسيقيين خراسانيين الى دهلى ، عقد معهم مناظرة حضرها كبار موسيقى دهلى، وانشــد كل موسيقى الحانه وقد انتهت الندوة الموسيقية باعتراف الموسيقيين الخراسانيين بتفوق الموسيقى الهندية على ما سواها ، والتى تدخل السرور « ليس فقط للانســان ولكن للحيوانات والطيور أيضا » (٣) .

ولم يكن امير خسرو ـ اشهر موسيقى في عصره ـ مجرد موسيقى فقط بل كان مؤلفا لالحان ومخترعا لآلات موســيقية ومغنيارائعا ، ومن مقطوعاته الموسيقية ايمان ، عشاق ، موفق ، غنام ، فرغانه . . . الخ . وهذه المجموعة من أروع واشهر النماذج الفارسية والهندية ، كما ابتدع أمير خسرو أسلوبا دقيقا وجديدا في الغناء يسمى خيال ، فتنغم اولا القطعة الموسيقية بسرعة

---

(١) Lal : Hist. of the Khaljis pp. 335.

(٢) Munshi : op. cit., p. 271.

(٣) IBID p, 271.

معنية ثم تضاعف السرعة ، ثم تضاعف اربع مرات وهكذا ، والخيال لخسرو يتكون من الالب Alap الذى يغنى ببطىء في النوت الموسيقية للراجا ثم يليه التاناس Tanas الذى يكرر بأنغام سريعة .

وموسيقى الخيال محبوبة جدا في بلاد الهند حتى ايامنا هذه ووضع امير خسرو موسيقى تارانا Tarana بالاضافة الى موسيقى خيال ، وتعرف الى يومنا هذا ، وهى تخدم نفس الغرض في الموسيقى الصوتية ، وقد قدرها المعاصرون حق قدرها (١) .

وكتب خسرو كتابا عن فن الموسيقى والالحان الموسيقية واغانيه التى ذاعت وانتشرت في الآفاق تظهر براعته وابداعه وتفوقه في الموسيقى والغناء ، وصنف في علم الموسيقى باللغتين الفارسية والهندية ، وقيل ان مؤلفات خسرو الموسيقية لو جمعت لكونت موسوعات تضارع موسوعاته الشعرية(٢).

ولم تزدهر الموسيقى والغناء ، في بلاط سلطان دهلى وقصور الراجات وكبار رجال الدولة فقط بل راجت بين عامة الناس على اختلاف مستوياتهم. ووجدت طبقة من الناس كانت الموسيقى بالنسبة لهم بمثابة الشعلة التى تخاطب الروح ، والطريق الفعال الى معرفة حقيقة الله .

واعتقد المتصوفون من المسلمين عموما ورجال الدين خصوصا ان الموسيقى المتنفس الهام للحياة . وذكر الشيخ ناصر الدين الشيرازى انه اذا كان هناك ادوية للامراض الطبيعية فان الموسيقى خير علاج للكرب الشديد . وانقسم رجال الدين على انفسهم حول الاستماع الى الموسيقى ، فحرم ذلك بعضهم ، واجازه البعض الآخر . وكان قاضى حميد الدين ناجورى محبا للموسيقى ، بينما عارض سماعها مولانا ركن الدين سمرقندى . وكان الشيخ نظام الدين اوليا شغوفا بالموسيقى ، ولقد قسم الموسيقى من حيث قبولها او رفضها الى اربعة انواع ، النوع الاول حلال ويتغنى به المغنون والمنشدون بذكر الله وفضله ونعمه والثانى مباح لا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه كأن يدور حول الظواهر الطبيعية في الكون والطفولة ومصير الانسان وهكذا والثالث مكروه يميل الى المظاهر العاطفية ، والرابع محرم ، ويدور حول الحب والعشق والغزل (٣) .

---

(١) IBID. p. 272.
(٢) Lal. P. 338.
(٣) IBID. P. 338.

واقبل الهنود على الموسيقى الدينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بشغف شديد ، وشارك رجال الدين الشعب في الاستماع الى هذا اللـون الموسيقى بل عبر بعضهم عن مشاعرهم الدينية بالانشاد الدينى والرقص . ويذكر باراني (١) ان الحفلات الموسيقية والغنائية كانت تعقد بكثرة في احياء دهلى ، وبعضها كان يستمر عشرين يوما او شهرا ، وحينما تعزف الموسيقى والالحان الدينية يمتنع الناس عن التصفيق ، ولا تستعمل الادوات الموسيقية ، ويخشع المستمعون لله ، وتتجه أحاسيسهم الى الله ، وينتاب المستمعون شعور روحى عميق ، بضرورة التجرد من الجسـد وماديات الحياة وبلـوغ الملا الاعلى (٢) .

ولم يكن مبارك شاه اقل من ابيه شغفا بالموسيقى ، واهتم بها ايضـا الحكام والولاة ورجال دولته ، واقبلوا على سماعها وشجعوا أهل الفن .

ولكن تغلق شاه وغازى تغلق لم يقبلا على الموسيقى والغناء ، ولم يمنع تغلق شاه عزف الموسيقى في بلاطه فقط ، بل تدخل ايضا في الموشحات الدينية الشيوخ واستدعى تغلق شاه كما يقول فرشته ـ (٣) نظـام الدين أوليا وناقشه في شرعية الاستماع الى الموسيقى ، وانشاد الاغانى ، واقنع الشيخ السلطان بأن الاغانى الدينية ليست حراما ، ولكن السلطان التغلقى ظل يكره الموسيقى والغناء . ولما ولى فيروز تغلق السلطنة تحرج من سماع الموسيقى والغناء ، ورفض عقد الحفلات الموسيقية والغنائية في بلاطه .

وبلغ من ازدهار الموسيقى والغناء في دهلى انه كان بها ضاحية للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من اجمل الاسواق واكبرها فيه الدكاكين الكثـيرة كل دكان به بـاب يفضي الى دار صاحبه . والدكان مزين بالفرش الفاخرة وفي وسطه مجلس المغنية ، وهى متزينة بانواع الحلى ، ويحيط بها جواريها . وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها رئيس المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومماليكه . وتأتى المغنيات طائفة بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقص الى وقت المغرب ،

---

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٠ .
(٢) فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

ويفد الناس الى هذا السوق للاستماع . ويتفق اصحاب المناسبات السعيدة مع رئيس المطربين على عقد حفلات غنائية في دورهم (١) .

وقد وصف لنا ابن بطوطه رحلة قام بها في نهر السند مع احد امــراء الهند وتضمنت الرحلة حلقات غنائية ، وكان المغنون يغنون من اول النهار حتى منتصفه وحينما يتناول الامير الغذاء ، يأتي اهــل الطرب الى مركب الامير ، فيغنون الى ان يفرغ من طعامه (٢) .

وكانت تعقد في قصر السلطان وبيوت الامراء ورجال الدولة المجالس الاجتماعية حيث يجتمع الادباء والعلمــاء للمناظرة والمناقشــة ، وانتشرت القصص والحكايات في الهند وتروى في مجالس السمر ، وقد اخذ العرب عن الهند الكثير من القصص مثل قصة كليلة ودمنه ، وقصة السندباد الكبير والسندباد الصغير ، وكتاب هابل في الحكمة وكتاب الهند في قصة هبوط آدم وكتــاب الف ليلة وليلة (٣) وانتشرت في بــلاد الهنــد بعض الالعــاب للتسلية من اهمها الشطرنج ، والهنود هم واضعو الشطرنج ـ كما يقال ـ وعنهم انتشر في انحاء العالم ، وللهند في الشطرنج العــاب تختلف في بعض الوجوه عما هو معروف الان .

(جـ) العادات والاخلاق

ظهرت نزعة الزهد قوية في الهند من تاريخها القديم ، وذلك ان طبيعتهم الفلسفية دفعتهم الى التأمل والتفكير في الخالق والخلق ، وخلصت نواياهم نحو الله واتجهوا اليه بكل ما استطاعوا ، وصفت نفوسهم ، ورأوا ان النفس اذا نالت ما ارادت انقادت الى المعاصي ، ففضلوا التغلب عليها . وفي سلطنة دهلي الاسلامية شاهد ابن بطوطة الكثير من الزهاد نخص بالذكر منهم محمد العريان ، وهو شيخ حسن الصورة يجلس في زاوية بالقرب من كول ولا يلبس الا ثوبا من سرته الى اسفل ، وباقي جسده مكشوف ، ومن كبار الصالحين

---

(١) ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(٢) ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ٦.
(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص ٢٤٨ .

الشيخ محمود الكبا ويزعم الناس ان المال يأتيه من حيث لا يحتسب ، وهو يطعم الوافدين عليه ويغدق على الناس الاموال الكثيرة ويقولون أن له كرامات كثيرة ، ومن المشايخ الزهاد ، العالم العابد علاء الدين النيلى ، ويعظ الناس في كل يوم جمعة ، ويتوب الكثير من الناس على يديه ، وبلغ تأثر الناس به انهم كانوا يحلقون رءوسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم (١) . وكان الشيخ صدر الدين الكهرانى يصوم الدهر ويقوم الليل ، وتجرد من الدنيا جميعها ونبذها ، ولباسه عباءة ، ويزوره السلطان واهل الدولة ، وربما احتجب عنهم حتى يخلو بربه ، وكان يرفض الاموال التى ترسل اليه من السلطان او الاغنياء (٢) . ومن الشيوخ الزهاد الشيخ نظام الدين البنداونى وكان محمد بن تغلق يعظم شأنه ويتردد عليه كثيرا ، وقد تنبأ هذا الشيخ بقرب توليه هذا الامير سلطنة دهلى ، ولما توفى هذا الشيخ حمل جسده الى مثواه الاخير .

وصف البيرونى (٣) اهل الهند بالاعجاب بأنفسهم ، والاعتداد بأمتهم ، والازدراء بمن عداهم ، يعتقدون في الارض انها ارضهم ، وفي الناس انهم جنسهم ، وفي الملوك انهم رؤساؤهم ، وفي العلم انه ما معهم ، وفي طبيعتهم الضن بما يعرفونه والافراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيرهم ، على انهم لا يظنون ان في الارض غير بلدانهم ، وفي الناس غير سكانها ، وان للخلق غيرهم علما حتى انهم اذا حدثوا بعلم أو عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخبر ، ولم يصدقوه للآفة المذكورة ولو انهم سافروا او خالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم . ودهش البيرونى لما رآه من سلطان كهنة البراهمة .

كانت الصلات بين الهندوس والمسلمين ضعيفة في اول امر ، وعاش المسلمون في معزل من الهندوس لاختلافهم الكبير في التقاليد والعادات والمعتقدات ، واشتد العداء بين الفريقين بل نشبت حروب بينهم وبمرور الزمن اختلط الفريقان ، وتأثر المسلمون بالهندوس . والهندوس بالمسلمين ، ويتجلى ذلك في رفض بعض المسلمين اكل لحم البقر وانكار زواج الارامل ، والاشتراك مع الهندوس في اعيادهم وافراحهم ، واخذ الهندوس عن المسلمين عادة حجاب المراة وبعض ازياء المسلمين واستخدام الالفاظ العربية والفارسية والتركية ،

---

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١ .

وادى ذلك الى ظهور لغة جديدة في القرن الثالث عشر الميلادى وهى اللغة الاردية (١) .

وانقسم المسلمون في الهند الى سنة وشيعة ، وكان سلاطين دهلى يشجعون الهنود على اعتناق الاســلام ، واذا اراد الواحد منهم اعتناق الاسلام يدخل الى السلطان ويشهر له اسلامه فيكسوه السلطان كسـوة حسنة ، ويعطيه قلادة واسوار من ذهب على قدره (٢) . ويذكر فيروز شاه التغلقى في سيرته التى كتبها بنفسه بأنه شجع الهنود من رعبته على اعتناق الاسلام ، واعلن انه مستعدلاعفاء كل من يعتنق الاسلام من الجزية ، ولقد ادى ذلك الى اقبال الكثير من رعاياه على الدخول في دين الله افواجا ، واعفاهم السلطان من الجزية ، ومنحهم الهدايا (٣) .

وقد لقب اكثر من نصف مسلمى الهند بالقاب الشـعوب الاجنبية المتميزة مثل شيخ وبك وخان وسيد ، اما السواد الاعظم من المسلمين من أهل البلاد الاصليين فلقبوا بلقب الشخص الذى بلغ اعلىمرتبة بين هؤلاء الذين اسلموا على ايديهم ، او اندمجوا في الطبقة الارستقراطية الاسلامية (٤) .

وكان بعض المسـلمين يقدمون النذور عند معابد الهندوس واخـذ الهندوس من المسلمين عادة حجاب المراة ، وكانت المراة الهندية لا تحتجب ، وتمـارس نشـاطها في المجتمـع دون حـرج ، واخـذ الهنـدوس عن المسلمين لباسهم وعرفوا بعض الالفاظ العربية والفارسية منهم ، الامر الذى ادى الى ظهور اللغة الاردية في الهند في القرن الثالث عشر (٥) .

وفي القـرن الرابع عشر ظهر مصلح دينى هندوسي من جنـوب الهند أسمه رمانا ندا ، وقد هاجر الى بنارس ودرس تعاليم الاسلام ، ومن خلال دراسته ادرك عيوب الهندوسية ، وتحمس لمبدأ المساواة الذى اقره الاسلام ووضع مذهبا جديدا اساسه المحبة والاخلاص والمساوة بين الناس ، والتف

---

(١) ابن بطوطة ، حـ ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) Elliot : The Hist. of India. Vol. 11. p. 386.

(٤) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

(٥) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India p. 244.

حوله الكثيرون من طبقات مختلفة وديانـات متعددة ، ومن اشـهر تلاميذه شاعر مسلم يسمى « كبير » ولم يرض عنه المسـلمون لان قصائده كانت تعكس بعض الاتجاهات الهندوسية ، كذلك لم يرض عنه الهندوس لانه كان يحقر آلهة البراهمة ، ويتحامل على جوانب كثيرة في معتقداتهم ، وقدموا ضده شكاوى كثيرة الى السلطان فرأى السلطان انه يثير الفتن والقلاقل ، فنفاه، وتنقل بين بلدان الهند ينشد الناس اشعاره ، ويطلعهم على آرائه ومعتقداته، حتى التف حوله كثيرون من الهندوس والمسلمين ، وكان يوم وفاته يوما مشهورا تنازع فيه المسلمون والهندوس ، كل يريد دفنه حسب تعاليم دينه، وزعموا انه في اثناء هذا النزاع ظهرت لهم صورة لكبير ، وقال : ارفعوا الغطاء عن جسمى ــ ولما رفعوا الغطاء لم يجدوا جثة كبير ، وانما وجدوا كومة من اوراق الورد ، وعند ذلك اقتسموها بينهم ، وقد دفن المسلمون نصيبهم في مقابرهم ، بينما احرق الهندوس نصيبهم ــ طبقا لطقوسهم ــ ونثروا الرماد فوق مياه نهر الكنج .

ولننتقل الآن الى ذكر بعض العادات التى شاعت عند الهنود في العصور الوسطى ، فقد كان الهنود من غير المسلمين يحرمون ذبح البقـر ، ويعظمون البقر ويتبركون به ويتفاءلون من اقامتها في دورهم ، ويقومون على خدمتها وراحتها ، وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط في جلدهم ويحرق (١) .

والمراة في الهند كانت لا تطيق الحياة بعد وفاة زوجها ، وحينما يحرق جسده عقب موته ، تندفع زوجته الى النار وتحرق نفسها معه ، وشاهدها ابن بطوطة متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر ، والاطبال والابواق بين يديها ، ومعها البراهمة ــ وهم كبراء الهنود ــ وكان السلطان في دهلى لا يمانع في ذلك ، لان سلاطين دهلى لم يتعرضوا لعادات وتقاليد غير المسلمين في بلادهم ، وحرق المراة لنفسها بعد وفاة زوجها شرف كبير لاسرتها ، والمراة غير الوفية التى لا تحرق نفسها ، تلبس خشن الثياب وتقيم عند اهلها بائسة ممتهنة ، ولا تكره على حرق نفسها ، ورأى ابن بطوطة ثلاثة نسوة اعتزمن حرق انفسهن بعد موت بعولتهن ، مكثن ثلاث ليال قبل الحرق في غناء وطرب وفرح وسرور ، ويأتى اليهن النساء من كل مكان ، وفي اليوم الرابع اتت كل

---

(١) ابن بطوطه ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

واحدة منهن على فرس ومزينة بابهى زينة،ومتعطرة،والبراهمة يحفون بها ، واقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانفار ، وتم الحرق في موضع مظلم كثير الاشجار والمياه ، وبين الاشجار اربع قباب وبين القباب صهريج ماء ، قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار ، وتشابكت غصونها ، فلا تتخللها الشمس ولما وصلت النسوة الى القباب ، نزلن الصهريج ، وانغمس فيه ، وجردن ما عليهن من ثياب وحلى ، فتصدقن بها ، واتت كل واحدة بثوب خشن غير مخيط من قطن والقى عليه الحطب ، واحترقت ، ودقت الطبول ، والقى الرماد في نهر الكنج (١) . وقد الغى السلطان فيروز شاه التغلقى هذه العادة .

ومما يجدر ذكره أن نهر الكنج كان مقدسا عند الهنود حتى أن بعض الناس كانوا يغرقون انفسهم في هذا النهر تقربا الى الله ، وتعجلا في الذهاب اليه ، فاذا غرق اخرجوا جثته واحرقوه والقوا رماده في النهر (٢) .

وانتشر السحر في سلطنة دهلى ، وبرز في هذه الدولة شأن السحرة الجوكية وتظهر هذه الطائفة العجائب منها انهم يقضون فترات طويلة بلا طعام او شراب ، وكثير منهم تحفر له حفرة في الارض ، ويبنى عليه ، فلا يترك له الا موضعيدخل منه الهواء ، ويقيم بها الشهور ويتناولون حبوبا تمكنهم من احتمال الجوع ، وتعوضهم عن الطعام ، وسلطان دهلى يجالسهم ويعظمهم ، وبعضهم لا يتناول الا الطعام البسيط ، ولا يأكلون لحم الحيوانات (٣) .

والجوكية يليدون شعورهم ويرسلونها حتى بلغت طولهم وكثير من الناس يعتقدون في سحرهم ، ويقبلون عليهم ، ويذكرون ان من كانت به عاهة من برص أو جذام يأوى اليهم مدة طويلة ، فيبرأ بأذن الله ، ويقيمون في مغارات تحت الأرض ، لا يغادرونها الا لمهام الأمور (٤) .

وترى جميع ديانات الهند أن الحياة شر ، وأن المادة مظهر وضيع لمبدأ الحياة ، وأن الطبيعة سلسلة تطورات دائمة ، وأن الالهة والناس

---

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ظواهر باطلة ، ومظاهـــر وهمية للاصل الاعلى اى لبرهما العظيم ، وأن هـــذا الاصل الاعلى هو الله الواحد الذى يهب الحياة لجميع الموجودات وأن الاجداد والحيوانات وقـــوى الطبيعة والجن والفيلان والابطال الذين يتقمصهم لا يلبثون أن يصبحوا موضوعات عبادة ثم أصناما للجماهير ، وأن الروح الخـــالدة تنتقل من موجود الى موجود حتى تفنى في الاصل الاعلى، وان أفعال الانسان في الدنيا تحدد مصيره القادم . وقد وصف البيرونى(١) عقيدة تناســـخ الارواح عند الهنود وذكر أن التناســـخ علم النحلة الهـــندية ، فمن لم ينتحله لم يك منـــها ، ولـــم يعد من جلتهـــا (٢) . وقالوا : ان الارواح خالدة لا تفنى ، وتنتقل من جسد الى جســـد ، وتترقى في الاجسام ، وتتطور ، كما تتطور الابدان في الانسان في مراحل عمـــره من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة . وفي كل بدن تستفيد الروح تجارب جديدة ومعلومات جديدة فالارواح الباقية تتردد في الابدان الباليـــة ، وهى تتـــردد من الارزل الى الافضـــل لتترقى النفس في الكمال ، حتى يتحقق شوقها بعلمها ما لم تعلم ، واستبقاؤها شرف ذاتها واستغناؤها عن المادة فتعرض عنها ، ويتحد العاقل والعقل والمعقـــول ويصير واحدا (٣) . فالارواح الشريرة تتعرض للعقاب ، والارواح الخيرة تنال خير الجزاء ، والارواح الشريرة تتردد في النبات وخشاش الطير ومرذول الهـــوام الى ان تصبح في وضع تستحق فيه الثواب وعندئذ تنتقل الى بدن أرقى .

واعتقد البراهمة أن الله هو الواحد الازلى من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله ، القادر الحكيم الحى المحى المدبر المبقى ، الفرد في ملكـــوته عن الاضـــداد والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء . وأن الله يحيط بكل شيء ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء (٤) .

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .
(٣) البيرونى من تحقيق ما للهند من مقوله ص ٢٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(د) الاعياد والمواسم والمواكب

الاعياد :

احتفل المسلمون في سلطنة دهلى بالعيدين بمظاهر تليق بالمناسبتين الكبيرتين ، وعنى سلاطين دهلى عناية كبيرة بالاحتفال بالاعياد في شيء كثير من الابهة ، وفي ليلة العيد يرسل السلطان الى الخواص والملوك وكبار رجال الدولة والاعزة — وهم كبار ضيوف السلطان الاجانب — والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد واهل الاحباء الخلع الثمينة وتزين الفيلة في صبيحة العيد بالحرير والذهب والجواهر ، وتخصص ١٦ فيلا لركوب السلطان ، ويركب السلطان فيلا منها ، وبين يديه خدمه ومماليكه، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ، ويرتدى مماليكه فاخر الثياب ويمشي بين يديه النقباء ثلاثمائة ، ويركب قاض القضاء وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشوام والمصريين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيل ، والمؤذنون يركبون الفيلة ، ويخرج السلطان من باب القصر ، والعساكر تنتظره والمشاة والمؤذنون والقضاة يذكرون الله، وخلف السلطان مراتبه ، وهى الاعلام والطبول والابواق والانفار ، واهله واخوته كل بمراتبه وعساكره ، وافراد اسرته كل بمراتبة وعساكره وكل من يركب في هذا اليوم يكون مدرعا هو وفرسه ، ويؤدى السلطان ورجال الدولة صلاة العيد ، فاذا كان عيد الاضحى نحر السلطان ، ويعود الموكب الى القصر بعد ذلك (١) .

ويفرش القصر يوم العيد ، ويزين بأبدع زينة ، وتقام خيمة كبيرة لاستقبال المهنئين بالعيد ، تشمل كراس من ذهب ، وبصدر المجلس سرير السلطان من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر ، وينادى الحجاب بمقدم السلطان ، ويتوافد القضاة والخطباء والعلماء والمشايخ على السلطان للسلام والتهنئة بالعيد ، الواحد تلو الاخر من غير تزاحم ، ويغدق السلطان المال على من يشاء ، ثم يقدم الطعام لضيوف السلطان ، ويصب عبيد الملك ماء الورد على الحاضرين صبا ، ويجالس السلطان الناس باقى ايام العيد على سرير دون ذلك ذهب ، ثم يأتى

---

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

أهل الطرب وتغنى الفتيات من بنات الملوك الكـــفار وترقصن ويهبهن السلطان للامراء والاعزة ، ثم تأتى بعد ذلك سائر البنات الكفار فيغنين ويرقصن ، ويهبهن لاقاربه وأصهاره ، وجلوس السلطان لذلك بعد العصر. واليوم الذى بعده ، بعد القصر على الترتيب السابق ويهب الســـلطان الفتيات التى تغنى وترقص لامراء المماليك ، وفي اليوم الثالث يزوج اقاربه وينعم عليهـم ، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد ، والخامس الجـوارى ، والسادس يزوج العبيد بالجوارى ، والسابع يعطى الصدقات (١) ».

وكان مجلس السلطان محمد بن تغلق للناس بعد العصر غالبا وقـد وصفه ابن بطوطه ، فذكر أن مجلسه كان على مصطبة مفروشة بالبياض . واذا جلس يقف أمامه الوزير والكتاب خلف الوزير ، وخلفهم الحجاب ، ووكيل الدار ونائبه ، ويتلو الحجب النقباء ويجلس السلطان محاطا يحرسه المدججين بالســـلاح ، وعن اليمين واليسار قاضي القضـــاة وخطيب الخطباء ثم سائر القضاة ، وسائر الفقهاء ، وكبار الشرفاء والمشايخ ثـم اخوة السلطان وأصهاره ثم الامراء الكبار ، وكبار الاعزة ، ثم القواد ويؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة ، ويؤتى بخسمين فيلا مزينة بثياب الحرير ، ومعدة لقتل أرباب الجرائم ، وتلك الفيلة مدربة على خدمة السلطان ، ويقف نصفها عن اليمين ونصفها عن اليسار وخلف هذا كله يقف عبيد السلطان مسلحين ومتيقظين حتى لا يتسلل أحد خلال هذه الجموع (٢) :.

ومن يقدم على السلطان بهدية ، يدخل الحجاب الى السلطان . أمير حاجب ونائبه خلفه ، ثم خاص حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ، ويبلغون السلطان بضيفه ، فاذا اذن له ، يظهرون الهدية للسلطان فاذا كان رجلا كبيرا ، خاطبه السلطان الطف خطاب، ويرحب به ، وان كان ممن يستحق التعظيم صافحه ، وقد يعانقه ، وقد يخلع عليه ، ويأمر له بمال (٣) .

واذا قدم السلطان من سفر ، زينت الفيلة ، وحملت أمامه الستارة المرصعة بالجواهر الثمينة ، وتصنع قبـاب من خشب ممكســوه بثيـاب

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٣٩ .
(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

الحرير ، وفي كل منها الجوارى المغنيات ، يلبسن اجمل لباس ، واجمل حلية ، وتوزع المياه العطرة والحلوى على الناس ، ويمر موكب السلطان فى دهلى تزين حيطان الشوارع التى يمر بها بالحرير ويمشى أمامه المشاة من عبيده ، وتلقى قطع الذهب والفضة على الناس حين دخوله الى المدينة حتى وصوله الى قصره . وفي هذه المناسبة وغيرها يقيم السلطان سماطا يدعو له كبار رجال الدولة .

٤ ـ الحياه الثقافية فى سلطنة دهلى الاسلامية

ازدهرت الحياة الثقافية في بلاد الهند قبل قيام الدول الاسـلامية فيها حتى أن المسلمين يعتبرون الهند احدى الامم الاربع التى لها اهتمامات علمية ، وقد برع الهنود في الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب ، وذكـر المسعودى (١) أن جماعة من اهل العلم والنظر اعتبروا الهند الغرة التى فيها الصلاح والحكـمة ، وكان الهند كما يقول القفطى (٢) معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة .

وكانت قصور الراجيوت غاصة بالشعراء والادباء ، وتدور أشعارهم حول قصص البطولات وشرف الانساب ، والانتصارات على الاعداء واخلاص النساء ونحو ذلك ، وازدهرت الحياة الادبية في شمال الهند ، وظهـر شاعر بنغالى اسمه جايادیفا وقد وضع مسرحية « نشيد البقر » وتدور حول تقدير الاله كرشنا ومحبته للفتيات اللائى يحلبن البقـر ، وقد احب واحدة منهن ، وجذبته بسحرها وجمالها ورقصاتهـا ، حتى أنه آثر البقاء معها ونسي موطنـه (٣) .

ومن الملاحم الشعرية الرائعة كتاب « المحيط من القصص » ويشبه الف ليلة وليلة وضعه الشاعر سومادیف .

ولما ظهر الاسلام في بلاد الهند ، انتشرت الثقافة الاسلامية بها . على ان الفتوحات الغزنوية في بلاد الهند ، صحبها ازدهار الثقافة الاسـلامية ، ذلك ان السلطان محمود الغزنوى لم يال جهدا في تشجيع الحركة العلمية في بلاده ، فزين غزنه بأجمل ما حصل عليه من نفائس الهند ، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على احسن صورة «واضاف الى المسجد مدرسة فيحاء تشمل حجراتها من بساط الارض الى سقوفها على تصانيف الائمة الماضين مـن

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ .

(٢) القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) Rawlinson : op. cit., p. 206.

علوم الاولين والاخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين يتناولها فقهاء وعلماء غزته بالتدريس » (١) .

وبلغ من اهتمام السلطان محمود بن سبكتكين بتشجيع الحركة العلمية أن بعث في طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة ، فكان من بين الذين وفدوا اليه أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى (٣٦٢ — ٤٤٠ هـ)(٢) . وقضي البيرونى بداية حياته في خوارزم حيث ولد فيها — وقربه اليه أميرها ، وتبغ في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك ، وزار حوالى سنة ٣٩٠ هـ بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمكير — امير طبرستان — الذى عرف بتشجيع العلم وأهله ، والف له « الاثار الباقية عن القرون الخالية » ويبحث هذا الكتاب في التواريخ التى كانت تستعملها الامم ، والاختلاف في الشهور والسنين والتقاويم عند الامم ، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة ، والاحتفال بالاعياد القومية ، ولما اتصل البيرونى بالسلطان محمود الغزنوى ، استفاد من فتوحاته في بلاد الهند فائدة علمية كبيرة ، وجعل ثروة الهند العلمية الكبيرة في الرياضة والفلسفة والهيات في يد العرب والفرنج بما الفه في ذلك من كتب لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند ، وكان البيرونى في هذا درة في الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية (٣) .

نبغ البيرونى في كثير من العلوم وخاصة الرياضة والفلك وجدير بالذكر انه كان يزهد في المال الا ما يكفيه حاجته وأهدى كتابه « القانون المسعودى » للسلطان مسعود ويبحث في الرياضة والفلك وفلسفة الهند ، فأجازه السلطان بأموال كثيرة فردها معتذرا بعدم حاجته اليها ، وقيل عن البيرونى أن القلم لم يكد يفارق يده وعينه النظر ، وقلبه الفكر الا في الاعياد ، لا يمل الاستزادة من العلم ، وقد تعلم عدة لغات ، ففى كتبه عن العقاقير والجواهر اسم الشيء بالعربية واليونانية والسريانية والفارسية والتركية ، ويقارن بين اللغات مقارنة دقيقة ، فيمدح اللغة العربية بحسن

---

(١) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٩ .

(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٧٩ — ٨٠ .

(٣) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ١ ، ص ٢٨٧ .

ادائها للمعانى ، ويفضلها على الفارسية (١) .

ومن أشهر كتب البيرونى « الجماهر في الجواهر » ، وكتاب « تاريخ الهنـــد » وتعلم اللغة السنسكريتية ، وأخذ بنقل منها الى العربيـــة ، ومن العربيـــة اليها فنقل الى السنسكريتية نظريات اقليدس وغيره من الفلك ، ونقل الى العربية من السنسكريتية بعض المصنفات القيمة . ومن أبرزها « تحقيـــق ما للهند من مقـــولة مقبـــولة في العقل ومرذولة » قارن فيها بين رياضة الهند وفلسفة اليونان ، ولقد استقى البيرونى معلوماته عن الهند من المراجـــع السنسكريتية الهندية مباشرة ويلاحظ عليه أنه لا يعترض ولا ينقـــد مطلقـــا حينما يشرح العقـــائد الدينية وبعـــد ذلك نشر البيرونى كتابه بالعربية والفارسية « التفهيم في صناعة التنجيم » وقد اهداه للسيدة ريحانة الخوارزمية ، وأهدى كتابه عن الاحجار الكريمة للسلطان مودود بن مسعود (٢) .

وكان للبيرونى علم تام بمدارس بغداد والبصرة العلمـــية ، الا أن نظريات أولئك العلماء كانت متأخرة بالقياس اليه ، وظل مؤمنا بالتنجيم ، مشـــاركا معاصريه في ذلك ، وقد ادرك البيرونى أن المعتقدات الدينيـــة ترجع الى أسباب واحدة في كل مكان ، وكان يهتم بالفارق الكبـــير بين الخواص والعوام في كل موضـــع ، فهو لا يعترض ولا ينقد مطلقـــا ، حينما يشرح العقائد الدينية ، واذا قارن دينا بدين اخر ، فانما يقارنهـــا مقارنة علمية محضة . وعلى ذلك يمكن القـــول بأن منتجات البيرونى العلمية تحتل مكانة ممتازة من حيث وفرة وادها ، وما فيها من الاعتنـــاء بتطبيق الاصول العلمية ، على ان البيرونى كتب مؤلفاته بلغة عسيرة جدا ويقول البيرونى انه الف كتبه للعلماء لا للعوام (٣) .

---

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 32.
Habib : Sultan Mahmud of Ghazain. 55.

(٢) براون : تاريخ الأدب الفارسى ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٣) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٢٤ .

ولقد اطال البيرونى في وصف الفلسفة الدينية للهند من الاعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية ، وتعلق النفس بالمادة ، والارواح وتناسخها ، ومواضع الجزاء من الجنة والنار وكيفية الخلاص من الدنيا ، وقارن بين عقائد الهند والاسلام والصوفية والنصرانية (١) . ويذكر البيرونى : ان التناسخ من اهم معتقدات الهنود ، وان الروح تتنقل من بدن الى بدن ، وفي كل بدن تستفيد معلومات وخبرات ، وتنتقل من الارذل الى الافضل . وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ ، فقالوا أن الارواح الشريرة تتردد في النبات ومرذول الطير والهوام الى أن تستحق الثواب ، فتنجو من الشدة ، وتنتقل الى ما هو ارقى (٢) .

وقال البيرونى : انه رأى أن فلكى الهند لا يبحثون في العلل وكان على علم تام بالفلك عند اليونان قبل ان يقتبس هذا العلم من الهنود ، وقد قال في هذا الصدد : كنت اقف من منجميهم مقام التلميذ من الاستاذ لعجمتى فيما بينهم ، وقصورى عما هم فيه ، فلما اهتديت قليلا أخذت أوقفهم على العلل وأشير الى شيء من البراهين ، والوح لهم بالطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا على متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين ، وكادوا ينسبون الى السحر (٤) .

وصفوة القول أن البيرونى كان من كبار العلماء الذين ظهروا في القرنين الرابع والخامس الهجرى فلم يترك علما لم يؤلف فيه وكان الى جانب ذلك يؤلف بالعربية لا الفارسية لان العربية اكثر طواعية للعلم ومصطلحاته من الفارسية (٤) .

واشتهر من رجال الفلسفة في الدولة الغزنوية ابن الخمار كان نصرانيا نقل كتبا كثيرة من السريانية الى العربية ، واشتهر بالطب والف فيه ، كما الف في المنطق والالهيات (٥) .

وعنى سلاطين دهلى بتشجيع الثقافة الاسلامية ، فقد انفق السلطان

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٧ ، ص ١٨ - ١٨١ .

(٤) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ٢١٦ .

(٥) تاريخ بارانى ، ص ٣٥٩ .

المملوكي التمش أموالا طائلة في كتابه نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون في متناول الناس لقراءتها والاستفادة منها ، وأسس العديد من المدارس ، وزين بلاطه بالشعراء والادباء وأصبحت دهلي في عهده مركزا هاما للفنون والاداب .

وحرص السلطان بلبن على عقد مناظرات بين الشعراء والادباء والعلماء، وكانت تلقى في بلاطه الاشعار ، وتقرأ الكتب التاريخية القيمة كالشهنامة للفردوسي وديوان سنائي والخاقاني وخمسة نظامي ، ومن أبرز شعراء هذا السلطان الشاعر خسرو دهلوي .

ازدهرت الحياة الثقافية في عهد الخلجيين ، وتميزت بظهور انتاج ادبي غزير ومتنوع ، وضم بلاط السلطان علاء الدين الكثير من العلماء والادباء ، وشهد عهده الكثير من الفلاسفة والحكماء والشعراء والمؤرخين والمترجمين والاطباء والفلكيين . ولم يجتمع على باب أحد سلاطين دهلي من رجال العلم والفقه والادب ما اجتمع على باب علاء الدين ، وكان يصل كل واحد منهم بأجزل صله ، ويرفعه الى أعلى مرتبه .

والكثير من أدباء ذلك العصر غير معروف لدينا الان ، الا اننا نلاحظ أن ادباء ذلك العصر كانوا يكتبون بالفارسية ـ لغة الثقافة في ذلك العصر ـ وكان امير خسرو بلا جدال ـ اعظم شعراء عصره ، وفاق معاصريه من اهل الادب ، ولقد حظي بتقدير الناس ممن عاصروه وبلغت شهرته الافاق ، وتعددت مواهبه ، فكان شاعرا جمعت أشعاره في مجلدات منها الخماسيات وهي أشعار خماسية ذات خمسة أبيات ، ويذكر باراني أن أمير خسرو أضاف الى الشعر والادب الفارسي اضافات على جانب كبير من الاهمية ، ويعتبره أمير شعراء الهند ، ومن أشهر دواوينه « اعجاز خسروي » .

« نهاية الكمال » « خزانة الفتوح »

نشأ خسرو شاعرا بطبيعته ، ونلمس في شعره عواطفه الانسانية ودقة الاحاسيس والعواطف وسمو الغزل والوصف في الحرب والحب ، وتظهر براعته ، وعمق ثقافته ، وتفوقه في اللغات في أشعاره بعضها بالهندية واخرى بالفارسية واخرى بالعربية وكان له ثنائيات في أشعاره تتضمن تتضمن نظما بالفارسية واخر بالهندية أو العربية ، ولقيت ثنائياته تقديرا

عميقا في الهنـــد وشغفا كبيرا في مدارسها ، وكانت بعض ثنائياته تتحمل أكثر من تأويل . وكان ينتقى الالفاظ القوية لاشعاره ، ويختار التركيبات اللغـــوية الجميلة الوقع ، ومما يدل على براعته الادبية أن أشعاره لـــم تفقد رونقها وتأثيرها في النفوس حتى الآن (١) .

ومن شعراء ذلك العصر البارزين ، حسن سيجزى ، وكان موهوبا ، ويقترب من أمير خسرو في المرتبـــة الادبية ، ولقد تفوق في الشعر والنثر على الســـواء ، واتصفت كتاباته واشعاره بالوضـــوح ، يعبر عن فكرته بأسلوب ســـهل ، يدركه القارىء دون عناء لذا كانت تسرى أشعاره في الناس بسرعة سريان الشمس في النهار ، وكان يعيش حياة بسيطة ، وله ذاكرة عجيبة ، وقلب كبير ، وله أعمال ادبية كبيرة ، غير أن ديـــوان Favidul Fuad من أعظم انتاجه ، وقدر له الخـلودحتى الان .

ومن شعراء ذلك العصر صدر الدين على فخر الدين وحميد الدين راجا ومولانا عارف وعبيد حكيـــم وشهاب انصارى ، ولكل من هؤلاء أسلوبه واتجاهه وطريقته في التعبير . ومن كتاب النثر عين الملك مولتانى ــ قاهر مالوا ــ وكان يكتب بأســـلوب رصين والفاظ منمقة .

نبغ عدد من المؤرخين في العهد الخلجى تخص بالذكر منهم امـــير ارسلان كولاهى ، وكبير الدين بن تاج الدين عراقى ، والاول كان دقيقا فيما يرويه من معلومات لذا فقد كان مصدرا هاما عن تاريخ علاء الدين . وأما الثانى ، فكان يكتب بالعربية والفارسية ، ونبغ في اللغتين وله مصنفات كثيرة وعلى جانب كبير من الاهمية ، وتعتبر من أدق المراجع عن حروب علاء الدين ، واغزرها مادة ، وكان يعمل في جيش علاء الدين (٢) وأتيحت له الفرصـــة أن يطلع على حروب السلطان الخلجى مباشرة وبنفسه ، لذا اشتملت كتاباته على تفاصيل كثيرة ومعلومات غزيرة عن ذلك العهد ، ووضع كتابه « فتـــح نامة » على مرأى ومسمع من السلطان علاء الدين ، وقد أشاد بأعماله وانتصاراته ، وبالغ في مدحه والثناء عليه . ولكن ذلك لا يقلل من أهميـــة هذا الكتاب ، فقد كان أهم مرجع عن هذه الفترة

---

(١) Lal : op. cit., p. 240.

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣٦٠ .

التى شاهدها المؤلف وعاصرها ، واعتمد عليه باراني في كتابه « تاريخ فيروز شاهى » وصنف أبو عمرو عثمان منهاج السراج صاحب « طبقات ناصرى » وغلام يحيى بن احمد صاحب تاريخ مبارك شاه .

ومن مؤرخى ذلك العصر أمير خسرو وضياء الدين بارانى وقد عاصرا السلطان علاء الدين ، ولهما مصنفات أدبية وتاريخية يشار اليها بالبنان. وقد وضع بارانى بالاضافة الى كتابه » تاريخ فيروز شاهى « كتاب السنة المحمدية وكتاب « نعم اللـــه وآياته » وكتاب « مآثر السادة » و « تاريخ البرامكة » وله كتاب اخر عن الاحكام السلطانية ويشمل القيم والمبادىء والقوانين والسياسات والنظم التى يجب على الحكومات الاسلامية اتباعها، ويرجعها كلها الى الشريعة الاسلامية (١) .

أما المؤرخون الذين كتبوا بالهندية أو السنسكريتية فقد فقـــدت معظم مؤلفاتهم ولكن حفظت الايام لنا أعمـال هامير رازاز سارانجبارا في القرن الرابع عشر واشعار مولى داود الذى كتب حوالى أواخر القـرن الثالث عشر . وقد القى هؤلاء الكتاب اضواء ســاطعة عن العصر الذى يكتبون فيـــه ، وان كانت هذه الكتابات قد تضمنت أساطير وخرافـات كثيرة .

ونلاحظ أن الادب الدينى ازدهر في هذا العصر ، وكتب علماء الدين عن أساتذتهم ، وترجموا لهم ، وأبرزوا فضلهم ، وتحدثوا عن تراثهم ، فكتب الشـيخ فريد شـاكار جونج عن اسـتاذه الشـيخ نظـام الديـن أوليا . ومن تلاميذ الشيخ نظام الدين أوليا أمير خسرو ، وحسن السجزى والشيخ نظير الدين شيرازى الدهلوى . وجدير بالذكر أن أمـير خسرو كتب ــ Afzalul Favaid ــ وتضمنت مجموعتين الاولى عبارة عن محادثاته مع الشيخ نظام الدين في الفترة ما بين سنتى ٧١٣ هـ وسـنة ٧١٠ هـ ، و الثـانية منـذ سـنة ٧١٩ هـ حتى سـنة ٧٢١ هـ . أمـا Favaidul Fuad فهى مجموعة الاحاديث بين الشيخين نظام الدين أوليا وحسن سجزى في الفترة ما بين (٧٠٧ ــ ٧٢٢) .

ولقد لقى هذا الكتاب تقدير المعاصرين ، واقبـــلوا على قراءته

---

(١) Lal : op. cit., p. 341.

(٢) Lal : op. cit., p. 342.

والاستفادة منه بشـــكل متقطع النظير ، ولم يخف أمير خسرو اعجابه بهذا الكتاب . علىأن Miftahul التى صنفها نظير الدين فمن المحتمل أن صاحبها صنفها بعد وفاة الشيخ نظام الدين وكتب نظير الدين شيرازى كتابا اخر أسماه « خير المجالس » كتبه سنتى ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣ . ومن روائع الكتب وأحسنها التى صنفت عن الشيخ نظام الدين أوليـا ، كتاب « سيرة الاوليا » كتبه أمير خورد ، وهو تلميذ وفي للشيخ ترجم عن استاذه في كتابه هذا بعد وفاته بكثير (١) .

وهذه الترجمات الرائعة لشيوخ العصر وعلمائه التى كتبها تلاميذهم بعناية وحذق ، لها أهميتها الاجتماعية والثقافية ، فهؤلاء الكتاب يمثلون عناصر مختلفة في المجتمـع واتجاهات فكرية متنوعة ، لذا عكست كتـبهم مظاهر الحياة الاجتماعية في عصرهم ، والاتجاهات الثقافية في هذه الفترة، وأوضحت الحياة اليومية ، فضـــلا عن انها مصدر غنى للمعلومات عن هـــذا العصر (٢)

أما الكتاب الهنود في القرن الرابـــع عشر الميـــلادى ، اشتملت كتاباتهم على نثر وشعر باللغــــة السنسكريتية ، ويتضمن الفولكلور الشعبى وقصص الابطال والروايات الاسطورية للممالك والولايات الهندية. ولقد كتب سارنجدهارا (٣) Sarangdhara كتابين ، الاول هامير كافيا والثانى هامير رازو الذى وصف المقاومة العنيفة ، وضروب البطـــولة والشجاعة الخارقة التى اظهرها هامير ديقا ، حينما غـــزا علاء الدين وانثمبور ووضع أيضا ديوان شعر سنة ١٣٦٣ . ومن ابرز شعراء الهند في القرن الرابع عشر الميلادى نالا سنح ومولى دؤاد . ومن المشكوك فيه أن المجموعة الشعرية الكبيرة التى كتبت بالهندية منسوبة اليه (٤) .

وتضمن الادب الكجراتى الفولكلور الشـــعبى لها واشـــعارا في الحب والغـــزل ، واشتملت على قصص وأساطير وخرافات كثيرة . ومن أروع ما كتب في عهـــد علاء الدين كتاب The Prabandhacintamani ويتضمن معلومات تاريخية غزيرة (٥) .

---

(١) Munshi : op. cit., p. 292.
(٢) IBID. 293.
(٣) Kesy : A Hist. of Hindi literure. p. 17.
(٤) IBID. P. 18.
(٥) Lal. op. cit. p. 343.

أما النشاط الادبى في البنغال فيبدو اضطرابه في تلك الفترة ، ويوضح الفولكلور البنغالى تطور لغة المنطقة . ومنذ أن غزا سلاطين دهلى بلاد البنغال ، حاول الحكام الترك لهذا الاقليم تعلم لغة البنغال والاندماج بالملايين الكثيرة لهذه المنطقة . ولم يكن عندهم الوقت الكافى لتعلم اللغة السنسكريتية ، وانما قرأوا الكتب القيمة مترجمة الي اللغة المحلية . وقد أمر ناصر شاه ـ أعظم حكام البنغال في ذلك العصر ـ (١٣٢٣ ـ ١٣٢٥) بترجمة Mahabharata . وكان راعيا للعلم والعلماء . وبعد قرن من الزمان بعد الحكم الاسلامى ، ظهر شعراء كثيرون في البنغال امثال شاندى داز (١) .

وفي جنوب الهند ، ومناطق اخرى استغرق التأثير الاسلامى في الحياة الثقافية سنين عددا ، لذا ظل الادباء يكتبون في هذه البلاد بالسنسكريتية ، وظهرت كتب رائعة تبرز الفن الدرامى الاصيل .

ومما لا شك فيه أن قيام الدول الاسلامية في الهند اثر تأثيرا ملحوظا على تطور الادب السنسكريتى . ولقد فضل سلاطين دهلى وحكام الهند المسلمين اللغتين العربية والفارسية ، يضاف الى ذلك أن تعدد غزواتهم في بلاد الهند وضع نهاية لحياة شعوبها السلمية ، وغير طابع الحياة في هذه البلاد .

فالكجرات مثلا بعد غزو بلغ خسان لها سنة ١٢٩٩ ظلت مائة عام لا تنتج ادابا ذات قيمة الا الفلكلور . وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادى عموما اخذت السنسكريتية تفقد أهميتها . واستعاضت عنها بلاد الهند باللغات المحلية التى عبر بها شعوب الهند ، وكتبو بها ادابهم (٢) .

ظلت الحياة الثقافية في الهند مزدهرة في عهد بنى تغلق ، ووفد على السلطان محمد بن تغلق الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ، وقد قدم اليهم كل عون وتشجيع على ممارسة نشاطهم واظهار انتاجهم ، وكان هذا السلطان اديبا وشاعرا ، كتب باللغتين العربية والفارسية اشعارا وقطع ادبية تشهد بذوقه الفني وروعة أسلوبه ، وجمال تعبيره ، وعمق أفكاره ، وكان بالاضافة الى ذلك فيسلوفا وطبيبا حاذقا (٣) أشرف

(١) IBID. p. 344.
(٢) IBID. P. 344.
(٣) Prasad : India. 266 - 267.

على علاج الناس بنفسه ، وأقام الكثير من دور الشفاء وملاجىء العجزة (١).

ولم يكن فيروز شاه التغلقى أقل من سلفه اهتماما بالعلم وأهله ، وأسس عدة مدارس لعلوم الدين واللغة والتاريخ والحكمة والرياضيات والفلك والطب بلغت الثلاثين (٢) . وقد جلب العلماء المسلمين الى السلطنة للتدريس في مدارسه ولم يقتصر اهتمام هذا السلطان على الدراسات الاسلامية بل عنى بدراسات وعلوم الهند القديمة ، فشجع البراهمة على حل رموز أعمدة آزوكا لما لها من أهمية تاريخية ، وقد استخدم بعضها في منشآته ، وعهد الى علماء الهنود باختيار الكتب السنسكريتية الهامة له ، وترجمتها الى الفارسية ، وكان هذا السلطان أديبا ، فقد كتب كتابا في التاريخ تضمن حياته واعماله وسياسته ، ويسمى « فتوحات فيروز شاهى » . وهذه الكتب آلت اليه بعد استيلائه على حصن نكركت، في الفلسفة والفلك ، وتعرف هذه المجموعة باسم دلائل فيروز شاه » (٣) .

وقد لاحظ ابن بطوطه في رحلاته ببلاد الهند كثرة المدارس بها ، وذكر أن هناك مدارس للصبية ومدارس للفتيات ، وأوضح أن النساء في الهند اقبلن على التعليم باهتمام بالغ خصوصا العلوم الدينية (٤) .

حرص السلطان فيروز شاه على تشجيع أهل العلم وذلك بتيسير سبل المعيشة لهم ، فالذين احتاجوا الى الزاد والنفقة انعم عليهم بالوظائف، والاقطاعات والارض الخصبة بما يزيد عن حاجتهم ، فوجد أهل العلم من العلماء والمشايخ والمدرسين والطلبة والقراء والحافظين وأرباب المساجد الحياة ميسرة في ظل وكنف هذا السلطان ، وامتلأت المدارس القديمة والجديدة التى كانت خالية وبالية بالمدرسين والذاكرين والطلبة فراج العلم ، وارتفع شأن العلماء ، والتحق طلاب العلم بالوظائف التى يسرت لهم الحياة الرغدة بعد أن كانوا يعيشون على الكفاف ، وقضوا الاوقات الطوال في دراسة علوم الشرع والدين (٥) .

---

(١) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديه ، ج ١ ، ص ١٣٣ .
(٢) رحله ابن بطوطه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
(٣) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٨٤ — ٧٨٥ .
(٤) رحله ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
(٥) تاريخ فرشته ، ص ١٥٠ .

اما الخانقات التى كانت مهجورة في المدينة والاطراف امتلات بفضل بر السلطان بالصوفية والعباد والزهاد يقضون اوقاتهم في دراسة الدين (١) .

وانشأ المدرسة الفيروز شاهية وعنى بعمارتها متعددة الحجرات بها عدة مجالس واعمدة مرصوصة محاطة بالحدائق الغناء ويقول باراني أن الناس احيوا هذه المدرسة حتى أن من أقام فيها نس موطنه وعمله ولم يعد من الممكن مغادرتها لطيب هوائها ، وهجروا ديارهم وقدموا ليسكنوا بجوارها وكان المسافرون يتوقفون عندها لمشاهدة جمال بنيانها والتمتع بطيب هوائها ولذلك فهى نادرة في جمالها وتوازنها وجاذبيتها (٢) .

والمدرسة الفيروز شاهية منبع الخيرات والحسنات فكانت تقام فيها الصلوات المفروضة والنوافل ، ويؤدى فيها الصوفية صلوات عند الشروق والغروب والزوال وصلوات التهجد .

ومن أساتذتها الكرام مولانا جلال الدين الرومى الذى كان استاذا عظيما ، وكان يقوم بتدريس العلوم الدينية فيعلم التفسير والحديث والفقه ويتشغل كل يوم بختم القرآن للحافظين وكانت تكبيرات المصلين في هذه المدرسة تصل الى عنان السماء وكانت تصل الى المقيمين بهذه المدرسة التبرعات الكثيرة .

وتلك الايام نداولها بين الناس ...

---

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٨٩ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٩٠ .

خاتمـــــة

هذه صورة مشرفة لحياة المسلمين في بلاد الهند ، ونضالهم فيها . وتوضح بجــلاء الجهود المضنية التى بذلها المسلمون في ســـبيل نشر الاسلام ورفع لـــواء الدين الحنيف في هذا الجزء الفســـيح المترامى الاطراف في الدنيا . هذه البلاد ـ أقصـــد بلاد الهند ـ كانت أرضـــا خصبا للديانات المتعددة المختلفة والاراء الفلسفية المتضاربة والافكـــار العقائدية المتباينة .

كل هذه الديانات المتعددة في الهند ، لم تستطع الصمود في وجــه الاسلام المشرق وشمسه الساطعة ، فسرعان ما انتشر الاسلام في بـــلاد الهند ، وسار فيها بسرعة مسيرة الشمس في النهار والضوء في الظلام . فالاسلام دين المساواة لا فرق بين عربى واعجمى الا بالتقوى والعمـــل الصالح ، كل الناس سواسيه كأسنان المشط ، لا تفرقه عنصريه ولا طبقة منبوذة تخضع بالوراثة لطبقة أرستقراطية ، وعليها طبقا للعقائد الموروثة خدمة الأسياد والاشراف ، ولا حق لها في الحياة الحرة الكريمة .

دخل الاسلام في بلاد الهند ، يعلن على لســـان قادته وزعمائه المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، ويأتى بالادلة على ذلك من كتاب اللــه وسنة رسوله وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصـــحابة والتابعين . ولذلك رأينـــا جماهير الهنود من المنبوذين يرحبون بالدين الجديد بل ويستقبلون قادته استقبالا شعبيا رائعا ، يعبر بجـــلاء عن ارتياحهم بل وحماسهم لاعتناق هذا الدين العظيم .

وتتابعت الفتوحات الاسلامية في بلاد الهند ، وواصل المســـلمون انتصاراتهم ، واعقب ذلك دخول الهنود في دين الله افواجا . على أن حمـــاة الوثنية في بلاد الهند ، والمنتفعين من عبادة الاصنام في النذور والهبات التى تقـدم للاصـــنام قـد احفظهـم واغضـــبهم وازعجهـم زوال عبادتهـــم ، فقاوموا المســـلمين بكل ما اوتـــوا من قـــوة ، ولكن المســـلمين بفضل قوتهم وتضامنهم ووحدتهم وتمسكهم بدينهم ومبـــادئه وتعاليمه واصلوا الجهاد ، لم يأبهوا بالموت في ســـبيل الله ، ولم تغرهم عـــروض الهنود المالية للكف عنهم ، ولم يضعفوا ولم يستكينوا ، ولم يهنـــوا ولـــم

يضعفوا ، فحطموا الاصنـــام ، وأزالوا الاوثان ، وأقاموا مساجد يذكر فيها اســـم الله ، ويتعلم فيه المســلمون الجـدد تعاليم الاســلام .

وهكذا فان اتحاد المسلمين وتضامنهم وتمسكهم بدينهم يؤدى بالضرورة الى انتصارهم على قوى الكفر والطغيان والبغى ، فالله ناصر دينه « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » أما ضعف المسلمين وتخاذلهم وتفرق كلمتهم وانشغالهم بمغريات الحياة الدنيا عن دينهم وعقيدتهم ، يــؤدى الى بروز ثغرات وثغرات في جبهة المسلمين ، يستطيع أعداء الاسلام ، أن ينفذوا من خلالها ويزداد المسلمون ـ تبعا لذلك ـ ضعفا وتفــرقا .

لذلك نرى ان تاريخنا الاسلامى خير كتــاب نقرأ فيه الراى القــائل بأن وحدة المسلمين وتضامنهم يؤدى بالضرورة الى انتصاراتهم وقوتهم وتحقيق آمالهم وأحلامهم ، وفي نفس الوقت فان عدم تمسك المســلمين بوحدتهم وبالعمل بتعاليم دينهم ، يضعف أمرهم ، ويوهن من عزيمتهم ويخذلهم ، الامر الذى يمكن أعداء الاسلام من السيطرة عليهم واســتغلالهم والتآمر عليهم .

ولنضرب الامثلة على ما قلناه من تاريخ الهند فقط موضوع دراستنا. فالسلطان محمود الغزنوى قاد مسيرة المسلمين في بلاد الهــند ، جبهة متحدة قـــوية ، تناضل من أجل نشر الاسلام وتحطيم الاصنام ، فأحــرز انتصارات رائعة ، وحقق للاسلام انتصارات خلدها التاريــخ . كذلك السلطان علاء الدين خلجى نهض بدولته في الهند سياسيا وحضــاريا ، وتعرض لمؤامرات متعددة دبرها أعداء الاسلام للنيل منه ، والقضـــاء عليه ، فتصدى لهذه المؤامرات ، ومنع قوى الشرك والكفر من النيــل من المسلمين في الهند ، فازداد الاســـلام في عهده قوة وانتشارا بين كفــار الهنود ثم أعقب ذلك ضعف المسلمين ، فتعرضوا للغزوات والحــروب ، الامر الذى زادهم ضعفا .

واعداء الاسلام ويمثلهم الاستعمار الاوربى خشوا من اســـتعادة المسلمين لقوتهم في هذا العالم الفسيح ، فتآمـــر الاستعماريون على المسلمين في الهند ، واشعلوا نار الفتنة بينهم وبين الهنود غير المسلمين ، وانتهى الامر باقامة دولة باكســتان يتجمع فيها المسلمون الهنــود ، ولكن الاستعمار واصل تآمره متضامنا مع القوى غير الاسلامية في الهند ، ومزقوا هذه الدولة الاسلامية الى دولتين ، كل ذلك حدث خــوفا من تصاعد قوة الدولة الاســلامية الموحــدة ، ولا يزال اعداء الاسلام يتآمرون

على الدولتين الجديتين حتى لا تقوى احداهما ولكن المسلمون قد مكنوهم من ذلك لانهم تخلوا عن مبادىء الاسلام التى تدعو الى الوحدة والتضامن والمؤاخاة .

لذلك ما نراه في العصور الوسطى يختلف عما نراه اليوم . في العصور الوسطى : المسلمون قوة متحدة وجبهة متضامنة يعمل لها كل حساب ، أما اليوم فالمسلمون غير متضامنين . وهذا يفسر لنا ما يتعرضون له من مؤامرات في الهند والفلبين وارتريا وغير ذلك .

ولكن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

تم بحمد الله

الملاحق والجداول والمصادر

وفهرس الكتاب

الجـــداول

أولا : الخلفاء العباسيون المعاصرون لحكام الهند في العصر الوسيط

الخليفة	التاريخ
١ ـ الطائع	٣٦٣ هـ ـ ٩٧٤ م
٢ ـ القادر	٣٨١ هـ ـ ٩٩١ م
٣ ـ القائم	٤٢٢ هـ ـ ١٠٣١ م
٤ ـ المقتدى	٤٦٧ هـ ـ ١٠٧٥ م
٥ ـ المستظهر	٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م
٦ ـ المسترشد	٥١٢ هـ ـ ١١١٨ م
٧ ـ الراشد	٥٢٩ هـ ـ ١١٣٥ م
٨ ـ المقتفى	٥٣٠ هـ ـ ١١٣٦ م
٩ ـ المستنجد	٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م
١٠ ـ المستضىء	٥٦٦ هـ ـ ١١٧٠ م
١١ ـ الناصر	٥٧٥ هـ ـ ١١٨٠ م
١٢ ـ الظاهر	٦٢٢ هـ ـ ١٢٢٥ م
١٣ ـ المستنصر	٦٢٣ هـ ـ ١٢٢٦ م
١٤ ـ المستعصم	٦٤٠ هـ ـ ٦٥٦ هـ ١٢٤٢ م ـ ١٢٥٨ م

ثانيا ــ الغزنويون

بنو ألب تكين :

		سنة هجرية
١ ــ ألب تكين		٣٥١
٢ ــ أبو إسحق إبراهيم بن ألب تكين		٣٥٢
٣ ــ بلكاتكين ... ... } مماليك ألب تكين		٣٥٥
٤ ــ بيرى ... ... } مماليك ألب تكين		٣٦٢

بنو سبكتكين :

٥ ــ ناصر الدولة سبكتكين (مملوك ألب تكين)		٣٦٧
٦ ــ اسماعيل بن سبكتكين		٣٨٧
٧ ــ يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، (توفى فى ١١ صفر سنة ٤٢١)		٣٨٩
٨ ــ جلال الدولة محمد بن محمود ، المكحول	صفر	٤٢١
٩ ــ ناصر دين الله مسعود (الأول) بن محمود	شوال	٤٢١
محمد ، (للمرة الثانية) ، (هزم قتل سنة ٤٣٣)		٤٣٢
١٠ ــ شهاب الدولة أبو سعد مودود بن مسعود ، (توفى فى رجب سنة ٤٤٠)	شعبان	٤٣٣
١١ ــ مسعود (الثانى) بن مودود ، (طفل حكم بضعة أسابيع ، توفى فى رجب سنة ٤٤٠)		٤٤٠
١٢ ــ بهاء الدولة أبو الحسن على بن مسعود (الأول)	رجب	٤٤٠

		سنة هجرية
١٣ ـ عز الدولة عبد الرشيد بن محمود		٤٤١
طغرل ، (مملوك محمود ، مغتصب ولى أربعين يوماً) ، مستهل شوال سنة ٤٤٤		
١٤ ـ جمال الدولة فرخزاد بن مسعود		٤٤٤
١٥ ـ ظهير الدولة إبراهيم بن مسعود ، الملك المؤيد جلال الدين		٤٥١
١٦ ـ علاء الدولة أبو سعد مسعود (الثالث) بن إبراهيم		٤٩٢
١٧ ـ كمال الدولة شيرزاد بن مسعود		٥٠٨
١٨ ـ سلطان الدولة آرسلان شاه بن مسعود ...		٥٠٩
١٩ ـ يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود ، (نائب سنجر)	جمادى الأولى	٥١٢
٢٠ ـ معز الدولة خسرو شاه بن بهرا		٥٤٧
٢١ ـ تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه		٥٥٥
الفتح الغورى ٥٨٢		

ثالثا : الغوريون او الشنسبانيون

(أفغانستان وهندستان)

(أ) الفرع الرئيسى بفيروز كوه وغزنة :

	سنة هجرية
١ — عز الدين حسين بن حسن بن محمد ...	٤٩٣
٢ — قطب الدين محمد ، (بفيروز كوه ، توفى سنة ٥٤١)	حول ٥٤٠
سيف الدين سورى ، (بغزنه توفى سنة ٥٤٣)	
بهاء الدين سام ، (بفيروز كوه من ٥٤٣ إلى ٥٤٤	
٣ — علاء الدين حسين جهانسوز ، (غور ثم غزنة وفيروزكوه ، خربت غزنة سنة ٥٤٥	٥٤٤
٤ — سيف الدين محمد بن حسين ، (فيروزكوه توفى فى رجب سنة ٥٥٨)	٥٥٦
غياث الدين محمد بن سام ، (بغور) ...	
شهاب الدين محمد غورى بن سام ، (غزنة)	
٥ — غياث الدين محمد بن سام ، (توفى بهراة فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ٥٩٩)	٥٨٨
شهاب الدين ، ثم معز الدين ، (عامل السابق على غزنة)	
الاستيلاء على لاهور	٥٨٢
٦ — معز الدين محمد غورى بن سام ، (توفى	

		سنة هجرية
سنة ٦٠٢)		٥٩٩
علاء الدين محمد بن شجاع الدين على ،		
(بغور)		
مماليكه الأربعة الذين اقتسموا الملك (وأتخذ		
كل منهم لقب المعزى)		
(أ) قطب الدين أيبك ، (بلاهور ثم بدهلى من سنة ٦٠٢ إلى سنة ٦٠٧)		
(ب) تاج الدين يلدز ، (بغزنة من سنة سنة ٦٠٢ — ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣)		
(ج) ناصر الدين قباجه ، (بالسند والملتان وأوج من ٦٠٢ إلى ٦٢٤)		
(د) بختيار محمد خلجى ، (فى لكهنوتى		
٧ — غياث الدين محمود بن محمد بن سام ، (بغور ، قتل سنة ٦٠٩)		٦٠٢
٨ — بهاء الدين سام بن محمود	صفر	٦٠٩
٩ — علاء الدين أتسز بن حسين ، (سلطان اسما ، عامل خوارزم شاه)		٦١٠
١٠ — علاء الدين أو ضياء الدين محمد بن شجاع الدين على		٦١١
(سلطان إسما ، عامل أتسز خوارزم شاه حتى سنة ٦١٢)		

(ب) فرع ببامیان وطخارستان :

١ — فخر الدين مسعود بن حسين ، (عزله أبناء أخيه)		٥٤٠

		سنة هجرية
٢ ـ شمس الدين محمد بن مسعود		٥٥٨
٣ ـ بهاء الدين سام بن محمد		٥٨٨
٤ ـ جلال الدين على بن سام ، (قتله خوارزم شاه سنة ٦١٢)		٦٠٢

رابعا : سلاطين دهلى

الأتراك :

١ ـ أيبك قطب الدين ، (استولى على دهلى سنة ٥٩٥ وانتزعها من برثوى راجا) ...	١٥ ذى القعدة	٦٠٢
٢ ـ آرام شاه	جمادى الأولى	٦٠٧
٣ ـ إيلتتميش شمس الدين القطبى		٦٠٧
٤ ـ فيروزشاه) الأول (ركن الدين	شعبان	٦٣٣
٥ ـ رضيه بيكم ، جلالة الدين	ربيع الأول	٦٣٤
٦ ـ بهرام شاه ، معز الدين	٢٨ رمضان	٦٣٧
٧ ـ مسعود شاه علاء الدين ، (عزل فى ٢٢ المحرم سنة ٦٤٤)	ذو القعدة	٦٣٩
٨ ـ محمود شاه (الأول) ناصر الدين	المحرم	٦٤٤
٩ ـ بلبان ، غياث الدين أولوغ خان	١٠ جمادى الأولى	٦٦٤
١٠ ـ كيقباد معز الدين ، (اغتيل بأمر فيروز خلجى)		٦٨٦
١١ ـ كيومراث شمس الدين ، (اغتيل فى ٣ جمادى الآخرة سنة ٦٨٩)	جمادى الأولى	٦٨٩

		سنة هجرية

الخلجيون (الأفغانيون) :

١٢ — فيروز شاه (الثانى) جلال الدين ، (قتل فى ٤ رمضان سنة ٦٩٤)	قتلهما محمد الأول	٣ جمادى الآخرة ٦٨٩
١٣ — إبراهيم شاه الأول ركن الدين ، (سملت عيناه وقتل فى ١٧ رمضان سنة ٦٩٥)		رمضان ٦٩٤
١٤ — محمد شاه (الأول) علاء الدين ، (توفى فى ٦ شوال سنة ٧١٥)	ذو الحجة	٦٩٥
١٥ — عمر شاه شهاب الدين	ذو الحجة	٧١٥
١٦ — مبارك شاه (الأول) قطب الدين ، (اغتيل فى ٥ ربيع الأول سنة ٧٢٠) ...	٧ المحرم	٧١٦
١٧ — خسرو شاه ، ناصر الدين	ربيع الأول	٧٢٠

خامسا : بنو تغلق شاه

١٨ — تغلق شاه (الأول) ، غياث الدين ، غازى ملك	شعبان	٧٢٠
١٩ — محمد (الثانى) جونا بن تغلق ، غياث الدين أولوغ خان ، (توفى فى ٢١ المحرم ٧٥٢)	ربيع الأول	٧٢٥
محمود بن محمد ، (بضعة أيام)	المحرم	٧٥٢
٢٠ — فيروز شاه (الثالث) ، (توفى فى رمضان سنة ٧٩٠)	٢١ المحرم	٧٥٢
٢١ — تغلق شاه (الثانى) ، غياث الدين سالار		

		سنة هجرية
شاه ، (قتل فى ١٥ صفر سنة ٧٩١) ...	١٩ رمضان	٧٩٠
٢٢ ـ أبو بكر شاه (عزل فى ٦ المحرم سنة ٧٩٢		
وسجن فى مدينة ميرات)	١٧ صفر	٧٩١
٢٣ ـ محمد شاه (الثالث)	المحرم	٧٩٢
٢٤ ـ سكندر شاه (الأول) همايون	١٦ ربيع الثانى	٧٩٥
٢٥ ـ محمود شاه (الثانى) ، ناصر الدين ...	٢٩ جمادى الأولى	٧٩٥
٢٦ ـ نصرت شاه		٧٩٧
محمود (الثانى) ، (للمرة الثانية)		
إقبال خان بن ظفر ، (مطالب بالحكم ،		
هزمه خضر خان سنة ٨٠٨) ٨٠١		
٢٧ ـ دولت خان لودى ، (فترة شغور حتى		
سنة ٨١٧)	٨١٤ أو	٨١٦

سادسا : حكام بنغالة

(أ) ولاة من قبل سلاطين دهلى

(الحاضرة لخنوتى)

محمد بختيار خلجى		
عز الدين محمد بن شيران		٦٠٢
علاء الدين على بن مردان		٦٠٥
غياث الدين عوض	٦٠٦	٦٠٧
ناصر الدين محمود		٦٢٤
علاء الدين جانى		٦٢٧

		سنة هجرية
سيف الدين أيبك		٦٢٧
عز الدين طغرل طغان خان		٦٣١
قمر الدين تمر خان قران	ذو القعدة	٦٤٢
اختيار الدين (أو مغيث الدين) يوزبك ...	»	٦٤٤
جلال الدين مسعود ملك جانى	»	٦٥٦
عز الدين بلبن ، (أو بلبان)		٦٥٧
محمد آرسلان تترخان		٦٥٩
شير خان		—
أمين خان		—
مغيث الدين طغرل		٦٧٧
بنوبلبان :		
ناصر الدين بغرا خان		٦٨١
ركن الدين كيكاوس		٦٩١
شمس الدين فيروز شاه		٧٠٢
شهاب الدين بغراشاه ، (بنغالة الغربية) ...		٧١٨
غياث الدين بهادر بوراشاه ، (بنغالةالشرقية) ٧١٨		
غياث الدين بهادر ، (بنغالة كلها)		٧١٩
ناصر الدين إبراهيم ، (بلكهنوتى حتى سنة ٧٢٦)		٧٢٣
بهادر (للمرة الثانية ،مع بهرام بنغالة الشرقية) ٧٢٥		
بهرام ، (وحده حتى سنة ٧١٩) ... ٧٣١		
قدر خان ، (لكهنوتى حتى سنة ٧٤٠)		٧٢٦
عز الدين أعظم الملك ، (ستكانو حتى ٧٤٠)		٧٢٤
السلاطين		
فخر الدين مبارك شاه (بنغالة الشرقية حتى ٧٥٠)		٧٣٠

	سنة هجرية
اختيار الدين غازى شاه ، (بنغالة الشرقية حتّى سنة ٧٥٣)	٧٥٠
علاء الدين على شاه ، (بنغالة الغربية حتّى ٧٤٦)	٧٤٠

بنو إلياس شاه :

شمس الدين إلياس شاه ، (مطالب بالحكم ببنغاله الغربية حتّى سنة ٧٤٦)	٧٤٠
صاحب بنغالة الغربية ٧٤٦	
صاحب بنغالة جميعها ٧٥٣	
سكندر شاه (الأول) بن إلياس	٧٥٩
غياث الدين أعظم شاه بن سكندر	٧٩٢
سيف الدين حمزة شاه بن أعظم	٧٩٩
شمس الدين بن حمزة	٨٠٩

بنو راجة كانس :

شهاب الدين بايزيد شاه } فى وقت واحد	٨١٢
راجه كانس شاه }	٨١٢
جلال الدين محمد شاه (جيتمال بورنى) بن راجه كانس ، (أعتنق الإسلام)	٨١٧
شمس الدين أحمد شاه بن محمد	٨٣٥

بنو إلياس (للمرة الثانية) :

ناصر الدين محمد شاه (الأول) بن محمود ...	٨٤٦

	سنة هجرية
ركن الدين باربك شاه بن محمود	٨٦٤
شمس الدين يوسف شاه بن باربك	٨٧٩
سكندر شاه (الثانى) بن يوسف	٨٨٦
جلال الدين فتح شاه بن محمود	٨٨٦

سابعا : الخوارزميون

١ - أنوشتكين	٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م
٢ - قطب الدين محمد	٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م
٣ - آتسز	٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م
٤ - آيل أرسلان	٥٥١ هـ - ١١٥٦ م
٥ - سلطان شاه محمود	٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م
٦ - علاء الدين تكش	٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م
٧ - علاء الدين محمد	٥٩٦ هـ - ١٢٠٠ م
٨ - جلال الدين منكبرتى	(٦١٧ هـ - ٦٢٨ هـ) (١٢٢٠ م - ١٢٣١ م)

ثامنا ــ المغول الخاقانات العظام

(بنو جنكيزخان)

		سنة هجرية
١ ــ جنكيزخان (تموجين)، (ولد سنة ٥٤٩ ٥٥٠، أول إجتماع للقورولتاى سنة ٦٠٣، توفى فى رمضان سنة ٦٢٤)		٦٠٣
٢ ــ أوكتاى، (توفى فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣٩)	رمضان	٦٢٤
الوصية توراكينا أرملة أوكتاى ... ٦٣٩		
٣ ــ كيوك، (توفى فى ٩ ربيع الثانى ٦٤٧)		٦٤٤
٤ ــ منكو (منكو)، (ولى فى ٩ ربيع الثانى سنة ٦٤٩)	ربيع الثانى	٦٤٧

أسرة يوئن :

٥ ــ قوبيلاى	جمادى الآخرة	٦٥٨
أرغبعا بن تولوى، (مطالب بالحكم، توفى سنة ٦٦٣) ٦٥٨		
٦ ــ أولجايتو		٦٩٣
٧ ــ كولوك		٧٠٦
٨ ــ بويانتو		٧١٠
٩ ــ كه كن		٧٢٠
١٠ ــ يسون تيمور (أو إسن)		٧٢٣
١١ ــ راجى بقا		٧٢٣

	سنة هجرية
١٢ ــ كوشالا	٧٢٩
١٣ ــ جياغاتو	٧٢٩
١٤ ــ رينجن بال	٧٣٢
١٥ ــ طوغان تيمور	٧٣٢
خانات قراقروم :	
١٦ ــ بيليكتو	٧٧١
١٧ ــ أوسوخال	٧٨٠
١٨ ــ أنكه سريكتو	٧٩٠
١٩ ــ ألباك	٧٩٤
٢٠ ــ كون تيمور	٨٠٢
٢١ ــ أولجاى تيمور	٨٠٥
٢٢ ــ دلباك ، (قتل سنة ٨١٧)	٨١٤
٢٣ ــ أدساى	٨٣٧
٢٤ ــ تايسونغ	٨٤٣
٢٥ ــ أقبارجى	٨٥٦
٢٦ ــ أوككتو	٨٥٧

ايلخانات فارس

(بنو هولاكو)

			سنة هجرية
١ ـ هولاكو	... ...		٦٥٤
٢ ـ آباقآ ، (توفى فى ٢٠ ذى الحجة ٦٨٠)		ربيع الثانى	٦٦٣
٣ ـ أحمد تكودار	... ...	ذو الحجة	٦٨٠
٤ ـ أرغون ، (توفى فى ٧ ربيع الأول ٦٩٠)		٢٧ جمادى الأولى	٦٨٣
٥ ـ كيخنو ، (إرينجين تورجى)	... ...	ربيع الأول	٦٩٠
٦ ـ بايدو	... ...	جمادى الآخرة	٦٩٤
٧ ـ غازان محمود	... ...	ذو الحجة	٦٩٤
٨ ـ أولجايتو خدا بنده محمد	... ...	شوال	٧٠٣
٩ ـ أبو سعيد بهادر	... ...	مستهل شوال	٧١٦
١٠ ـ آربا كاول (معز الدين)	... ...		٧٣٦
١١ ـ موسى	... ...		٧٣٦

المنـافسون :

١٢ ـ محمد	... ...	٧٣٦ ـ ٧٣٨
١٣ ـ طغاتيمور	ولاهم حسن ترك	٧٣٨ ـ ٧٥٢
١٤ ـ جهان تيمور ...	الجلائرى	٧٣٩ ـ ٧٤١

خانات ما وراء النهر

(بنو جغتاي)

الخان			سنة هجرية
١ ـ جغتاي ، (توفي حول شوال سنة ٦٣٩)			٦٢٤
٢ ـ قرا هولاكو			٦٣٩
٣ ـ يسو منكو			٦٤٥
قرا هولا كو ، (للمرة الثانية) ٦٥٠			
٤ ـ أركنة خانون ، (أرملة السابق)			٦٥٠
٥ ـ آلكو ، (توفي سنة ٦٦٤)			٦٥٩
٦ ـ مبارك شاه ، (لم يعترف به ، أعتنق الإسلام) ، جمادى الآخرة ٦٦٤			
٧ ـ براق خان ، (هزمه أبقا) مستهل ذي الحجة سنة ٦٦٨	عمال من قبل بني اوكتاي	ذو الحجة	٦٦٤
٨ ـ نيكباي		حول	٦٧٠
٩ ـ توقا تيمور			٦٧٠
١٠ ـ دووا خان		حول	٦٩٠
١١ ـ قونجوق خان			٧٠٦
١٢ ـ تاليقو	وثنيون		٧٠٨
١٣ ـ كبك خان			٧٠٩
١٤ ـ إسن بغا			
كبك خ ن ، (للمرة الثنية) حول سة ٧١٨			
١٥ ـ إيلجي كداي			٧٢٦
١٦ ـ دووا تيمور			٧٢٦

		سنة هجرية
١٧ – ترما شيرين ، (أسلم واتخذ		
لقب علاء الدين)		٧٢٦
سنجر ، (انفصلت الأقاليم		
الشرقية سنة ٧٣٤) ٧٣٠		
١٨ – جنكشي (أو جنكشاي) ، (وثني ،		
حكم حتى سنة ٧٣٩)		٧٣٤
١٩ – بوزون	حول	٧٣٥
٢٠ – إسن تيمور	»	٧٣٩
٢١ – ... على خليل الله ، (من قبيلة أوكتاي ،		
حتى سنة ٧٤٤) ... ... حول ٧٤٣		
٢٢ – محمد ، (حتى سنة ٧٤٦)	حول	٧٤٣
٢٣ – قازان تيمور		٧٤٤
٢٤ – دانشمندجه ، (من قبيلة اوكتاي) ،		
(ولاه الأمير قرغان) ٧٤٧		
٢٥ – بويسان قولي		٧٤٩
٢٦ – شاه تيمور بن عبد الله بن قرغان ،		
(توفي سنة ٧٦٠)		٧٦٠
٢٧ – توقلق تيمور ، (منافسه حسن بن شاه		
تيمور صهر تيمور)		
ضم تيمور البلاد ٧٧١		
٢٨ – إلياس خواجه بن توقلق تيمور		٧٦٤
قمر الدين ، (مغتصب)		—
٢٩ – خضر خواجه بن توقلق تيمور		٧٩١
٣٠ – شمع جهان بن خضر خواجه		٨٠١

	سنة هجرية
٣١ — محمد خان بن خضر خواجه	٨١٠
٣٢ — نقش جهان بن شمع جهان	٨١٨
٣٣ — أويس خان بن شير على بن خضر خواجه	٨٢١
٣٤ — شير محمد بن شاه جهان بن خضر خواجه أويس ، (للمرة الثانية) ٨٢٨	٨٢٤
٣٥ — أسن بوغا بن أويس خان	٨٣٨
٣٦ — يونس خان بن أويس خان	٨٦٦
٣٧ — دوست محمد بن أسن بوغا ، (أقسو وتورفان)	٨٦٦
٣٨ — كبك سلفات بن دوست محمد ، (تورفان)	٨٧٣ — ٨٧٧
٣٩ — محمود خان بن يونس	٨٩٢
٤٠ — أحمد خان بن يونس ، (أقسو وتورفان)	٨٩٠ — ٩٠٨
٤١ — منصور خان بن أحمد ، (تورفان وقراشار	٩٠٧ — ٩٢٠
٤٢ — سيد خان بن أحمد ، (كاشغر)	٩٢٠ — ٩٣٩
٤٣ — عبد الرشيد خان بن سيد ، (كاشغر)	٩٣٩
٤٤ — شاه خان بن منصور ، (تورفان وقراشار)	٩٥٠ — ٩٧٨

تاسعا ــ بنــو تيمور

(١) الإمارة الكبرى

حكم هؤلاء الأمراء بلاد ما وراء النهر أيضاً وكانت الحاضرة سمرقند :

		سنة هجرية
١ ــ تيمور كورخان ، قطب الدين (تيمور لنكث)		٧٧١
سيور غتمش بن دانشمندجه (جغتاى)	خانات اسما	٧٧١ ــ ٧٩٠
محمود بن سيور غتمش (جغتاى) ...		٧٩٠ ــ ٨٠٠
٢ ــ خليل ، (حتى سنة ٨١٢)		٨٠٧
٣ ــ شاه رخ ، (حتى سنة ٨٥٠)		٨٠٧
٤ ــ علاء الدولة أولوغ بلك بن شاه رخ ، (قتله ابنه عبد اللطيف فى رمضان سنة ٨٥٣)		٨٥٠
٥ ــ ركن الدين عبد اللطيف بن أولوغ بلك ، (اغتيل فى ربيع الأول سنة ٨٥٤)	رمضان	٨٥٣
٦ ــ عبد الله بن إبراهيم بن شاه رخ	ربيع الأول	٨٥٤
٧ ــ أبو سعيد بن محمد بن ميرانشاه ، (توفى فى ٢٥ رجب سنة ٨٧٣)		٨٥٥
٨ ــ أحمد بن أبى سعيد		٨٧٢
٩ ــ محمود بن أبى سعد		٨٩٩

أمراء ليس لهم غير ما وراء النهر :

بايسنقر بن محمود ، (ببدخشان منذ ٨٧٩) ٩٠٠

على بن محمود ٩٠٣

بـابر ... ... ربيع أول ٩٠٣

فتح الشيبانيون البلاد ٩٠٦

المصادر والمراجع

١ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم .
« الكامل فى التاريخ » .

٢ - أحمد أمين :

(أ) ضحى الإسلام (الجزءان الأول والثانى - القاهرة ١٩٣٨) ؛

٣ - (ب) ظهر الإسلام (جزءان - القاهرة ١٩٤٥) .

٤ - أحمد الساداتى :

(أ) تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية (القاهرة ١٩٥٨) .

٥ - (ب) تاريخ بخارى - تأليف أرمينيوس فا .

٦ - ابن أبى أصيبعه : ت ٦٦٧ هـ - ١٢٧٠ م - أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة موفق الدين .
«عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» .

٧ - ابن بطوطه :

٨ - (أ) بروكلمان : كارل
« تاريخ الشعوب الإسلامية » (بيروت ١٩٤٨)

٩ - تاريخ الآداب الإسلامية .

١٠ - البيرونى : (ت ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد بن أحمد .
(أ) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » طبعة أدوارد سخاو .

١١ - (ب) « الجماهر فى أحوال الجواهر » .

١٢ - (ج) « تاريخ الهند » .

١٣ - تاريخ البيهقى (ت ٤٧٠ هـ) محمد بن حسين ، نقله إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب وآخرون .

١٤ — حتى فيليب .
« تاريخ العرب المطول » .
١٥ — حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ؛
١٦ — حسن أحمد محمود : « الإسلام فى اسيا الوسطى » ؛
١٧ — ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) ؛
« العبر وديوان المبتدأ والخبر » (بولاق ١٣٨٤ هـ) .
١٨ — ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ - ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر الشافعى ؛
« وفيات الأعيان » تحقيق محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٤٨) .
١٩ — زامباور : ادوارفون ؛
« معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » .
نقله إلى العربية الدكتور زكى حسن والدكتور حسن محمود (جامعة
القاهرة ١٩٥١) .
٢٠ — السيوطى : (ت ٩١١ هـ - ١٢٩٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر
جلال الدين .
(أ) « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » (القاهرة
١٣٥١ هـ) .
٢١ — (ب) « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » .
(جزءان — القاهرة ١٣١١ هـ) ؛
٢٢ — العتبى : (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار
« تاريخ اليمينى » (جزءان — القاهرة ١٣٨٦ هـ) ؛
٢٣ — ابن العماد الحنبلى : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى
ابن العماد الحنبلى .

« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .
٢٤ – ابن العميد (٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس ابن العميد .
« تاريخ المسلمين » .
٢٥ – القلشقندى : (ت ٨٢١ هـ - ١٤٨٨ م) أبو العباس أحمد .
« صبح الأعشى فى صناعة الانشا » .
٢٦ – ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى .
« البداية والنهاية » (القاهرة ١٩٣٢) .
٢٧ – لوبون : جوستاف : « حضارات الهند » .
٢٨ – متز : آدم .
« الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » .
(جزءان – القاهرة ١٩٤٠) .
٢٩ – أبو المحاسن : (ت ٨٤٨ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى .
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » – دار الكتب المصرية .
٣٠ – محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق » .
٣١ – المقريزى : (ت ٧٤٥ هـ - ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .
« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .
٣٢ – ياقوت : « معجم البلدان » .

مراجع فارسية

١ ـ عبد الحميد لاهوری : بادشاهنامه .

٢ ـ علاء الدين عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاى (ليدن ١٩٣٧) .

٣ ـ غياث الدين بن همام الدين الحسينى : « حبيب السير فى أخبار أفراد البشر » (طهران ١٣٧٣ هـ) .

٤ ـ أحمد بادكر : « تاريخ سلاطين أفغانى » .

٥ ـ عباس خان سرواني : « تاريخ شيرشاه » .

٦ ـ عباس إقبال : « تاريخ عمومى إيران » .

٧ ـ محمد قاسم هندو شاه : « تاريخ فرشته » .

٨ ـ شاه أبو تراب ولى : « تاريخ كجرات » .

٩ ـ رستم على : « تاريخ هندى » .

١٠ ـ غلام حسين سليم : « رياض السلاطين أو تاريخ بنغاله » .

١١ ـ محمد إسلام : « فرحة الناظرين » .

١٢ ـ عبد القادر بن ملوك شاه بداونى : « منتخب التواريخ » .

ثالثا : مراجع اوربية

1. Ali, M. A.A. : History of Ind-Pakistan. Dacca. 1970.
2. Ameer — Ali : The Spirit of Islam. London. 1923.
3. Barthold W. : Histoire des Turs. d'Asie. Paris. 1945.
4. Barthold : "Hist of Turkestan".
5. Binyon. Laurence : "The Court Painters of the Grand Moghul".
6. Browne : Edward. "A Literary History of Persia".
7. Czaplika M.A. "The Turks of Central Asia".
8. Defremery : "Histoire des Sameinides".
9. Degwgnes, J. "Histoire General des Huns", des Turs, des Mongols. Paris, 1940.
10. D'ohsson, Baron. C. "Histoire des Mongols".
11. Duff, Grant. "Hist. of the Mahrattas". 1921.
12. Dumbar, G. " History of India From the Earliest Times to the Present Day. London 1956.
13. Elliot H.M. Dowson. John. "The History of India as told by Its own Historians The Mohammadan Period. London. 1867.
14. Gait, Edward. "Hist. of Assam. Calcutta. 1929.
15. Garratt. G.T. "The Legacy of India. Oxford 1930.
16. Garret Ed. Mughol Rule in India. 1930.
17. Gibon. "The History of the Decline and Fall of the Roman Empire".
18. Grousset, R. "L'Empire Mongol".
19. Grousset, R. "Hist. de l'Extreme Orient." Paris, 1929.
20. Habib, Mohammed. "Sultan Mahmud of Ghaznin". (New Delhi 1967).
21. Hammer, J.D. "Histoire de l'Empire Otoman, (Paris 1930).
22. Harvel, F.B. "The History of Aryan Rule in India".
23. Howorth, H. "Hisory of he Mongols. 3 vols. London 1864
24. "The Indian Moslems by an Indian Mohamedan. London 1938.

25. Lal. "A Hist. of the Khaljis".
26. Lane Poole : The Muhammadan Dynasties". Paris. 1935.
27. "Medieval India under the Mohamedan Rule". (New York 1962).
28. Majundar, R.C. "An Advanced History of India". (New York 1968).
29. Morel. "A Short History of India". (London 1890).
30. Munshi. "The Struggle for Empire". (Bombay 1969).
31. Nicholson. A. Reynold. «Literary History of the Arabs.» (Cambridge 1960).
32. Noldeke, "Sketches from Eastern History.
33. "A Modern History of India."
34. Prasad : "A short History of Muslim Rule in India". (Allahabad 1933).
35. Sarkar : "Hist. of Aurengzib." (Calcutta 1924).
36. Smith. V.A. "Hist. of fine Arts in India". (Oxford 1930).
37. Spear, P. "Twilight of the Mughuls". (Cambridge 1951).
38. Vambery. A. "A History of Bokhara (London 1873).
39. Weil : "History of the Khalifs".
40. Cambridge Medieval History.
41. Cambridge Hist. of India.
42. Cambridge Hist. of Iran.
43. Ency. of Islam.